المساجد وأهلها/ 1:

عبد السلام البسيوني

المساجد وأهلها:

قراءة شرعية وعصرية

من الهدي الرباني

يقول الله تبارك وتعالى:

(في بيوت أذن الله أن تُرفع، ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدووالآصال* رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، يخافون يومًا تشخص فيه القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب) النور:36–38.

ويقول صلى الله عليه وسلم:

(أحبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها)!

مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

تقدير وعرفان

لأبي وأمي عليهما رحمات الله ورضوانه، اللذين أخذاني للمسجد منذ فتحت عيني على هذه الدنيا

ولروح الشيخ السباعي لَبَح رحمه الله تعالى أول من رأيته يبكي في الصلاة في مطالع طفولتي، ولا يزال صوته وسمته محفورين في وجداني

ولروح السيد بك كشك باني المسجد الأنيق في مدينتي الصغيرة مطلع القرن العشرين والذي بجماله وسحره انبهر قلبي وازدهرت مخيلتي

وللعبقري العثماني معمار سنان باني أعظم المساجد في تاريخ الحضارة الإسلامية مطلقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن – إذا شئت – سهلًا)

مقدمة ضرورية:

لا شك أننا نعيش في عالم يموج بالتناقض، والازدواجية، وسلب الأشياء مفاهيمها، وتحويلها عن مسارها؛ بحسن نية وجهلٍ بالدين، أو طاعةً للشيطان، أو ركضًا وراء الأهواء، أو دعوة للمفاهيم المعادية للدين، أو المنحرفة به عن صراطه الذي أمر به رب العالمين تبارك وتعالى:

- صار فينا من يعادي بناء المساجد، ويراها بؤرًا للإرهاب، والتخلف، وعداوة الحضارة، ويطالب بالتوسع في بناء الكنائس، والنوادي، والمنتجعات، ويراها مرابع للحرية والتحضر والأمان!
- استبحنا بيوت الله تعالى، وداهمناها، وقتلنا فيها راكعين وساجدين، وتتبعنا المحافظين على الصلوات، وجعلنا الدخول ببطاقة إلكترونية، لنحاسب من يصلي خمس صلوات في مسجد، أو يصلي في غير ما أذن له، ثم افتتحنا في الجهة الأخرى المنتجعات، وشواطئ العري، وقرى المترفين المستبيحين، وجعلنا زيارة الكنائس، والمجمعات الماسونية باب ارتفاع وحظوة، واستزرعنا تيارات هدامة ليس آخرها البهائية، والقاديانية، والرافضة، والشواذ، وعبدة الشيطان، كي يرضى عنا أولياء الشيطان!
- وانحرافًا بالمساجد عن مسارها صيرنا بعضها مزارات سياحية، وبعضها أُلهيات بدعية، وخرافات (دينية) وطرقًا وطوائف داجنة، تهتف للظلوم، وتسبح بحمد جلادي الشعوب، وعملاء الصهاينة، وأعداء الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم!
- وحول سادتنا وكبراؤنا قاتلهم الله كثيرًا من العاملين بالمساجد إلى مرشدين يقدمون قوائم بأسماء المصلين، وتفاصيل أي حدث يحصل بالمكان لرجال القمع (أمن الدولة) وضيقوا على الدعاة الكبار قبل الصغار أن يتحركوا بدعوتهم، وجعلوا لأحدهم مسجدًا بعينه لا يعدوه، ومنعوهم من الخروج حتى للعمرة، وسجلوا المحاضرات،

والاحتفالات الاجتماعية كالزواج، بل ولفقوا لهم، وأوقعوا بهم، وشوهوهم، واعتقلوهم بشكل دوري؛ إن لم يكن بشكل طويل!

- ثم فرضوا أن يقتصر دور المسجد على مجرد أداء الفرائض، ليغلق بعد الصلاة مباشرة، فلا يمكن أن يجلس فيه أحد، أو يعقد مناسبة – كزواج أو وليمة أو عقيقة أو عزاء – وكان بعض الضباط المتعسفين يعتبرونها تجمهرًا ضد القانون، يعتقلون بموجبه أصحابه تحت ظل قانون القهر (الطوارئ)!

وما كانت المساجد يومًا ما للصلاة والانصراف؛ إلا في ظل العسكر الطغاة، كما سيأتي إن شاء الله!

- افتتن الحكام والأغنياء بالمساجد (الاستعراضية) التي تحوي أعلى مئذنة في العالم، أو أضخم قبة في الدنيا، أو أكبر ثريا في المعمورة، أو أوسع مساحة، أو أغلى سجاد، وصاروا يتباهون في المساجد، ويتغالون في زخرفتها، وينفقون عليها مليارات، ويغربون في تصاميمها وإكسسواراتها، ويغطونها بالذهب والمرمر والسجاد الغالي والديكور الباذخ والسيراميك اليدوي الفريد، واستحدثوا ما يسمى بالسياحة الدينية!

ثم هي لا يصلي فيها أحد؛ إلا في مناسبات وأحوال محددة! في حين أن مناطق كثيرة لا تجد مصلىً لائقًا، أو واسعًا، أو صالحًا! ويضطر الخلائق للصلاة في الشوارع، والدروب الجانبية، وعلى الأرصفة، وأمام المحالّ التجارية...

وقد أردت يومًا أن أصلي العصر في أوسع المساجد مساحة بعد الحرمين الشريفين، والذي يحوى أعلى مئذنة في الدنيا، فلما دخلت وجدته من الداخل – على سعته وضخامته – مظلمًا، ولم أر فيه أكثر من عشرين شخصًا، واندهشت، فلما خرجت وجدت الشباب على سوره المطل على الأطلسي، ثم على امتداد الشاطئ، أزواجًا أزواجًا في أوضاع غرامية صادمة، ووجدت عامة من قابلتهم يدعون على من بناه من دمائهم!

- وبينما أُمرنا أن تكون المساجد لله تعالى العلي العظيم وحده (وأن المساجد لله؛ فلا تدعوا مع الله أحدًا) تُحارب مساجد السنة وعلماؤها، ويضيَّق على عمارها، وتحصر

أنفاسهم، وينتشر المخبرون والبصاصون وأنواع الجواسيس والوشاة بينهم، ثم تُنشأ وتحمى مساجد الضرار والطوائف الخارجة عن الإسلام: كالأحمدية والبهائية والرافضة المنحرفين الغلاة، بل طالب بعض أكابر مجرميهم أن تفتتح معابد للبوذيين وغيرهم!

ثم اجتهد أولئكم في تحويل المساجد الرمزية الكبرى إلى مساجد ضرار، تحارب فيها السنة، ويصفَّق للحكومات العميلة المتعاقبة، من خلال مشائخ داجنين انتموا للحزب الحاكم وأهواء مسؤوليه طوعًا أوكرهًا، لولا بعض الأحرار ممن يرفضون التدجين والتطويع والتجاوب مع الباطل والقهر!

- وأنشئت مساجد ضرار مشهورة في الغرب كمسجد المتنبئ الهالك رشاد خليفة، والمسجد الذي أمت فيه المرأة أمينة ودود المصلين!
- كما سرقت أوقاف المساجد، التي كانت تنفق على صيانتها، وتجري جرايات على العاملين بها، والفقراء الذي يعتادونها، ونهبت نهبًا صريحًا، حتى باتت المساجد تستجدي ثمن (حنفية ماء) أو حصيرة، أو مصباح كهربائي، وصار عمالها أفقر العمال وأردأهم على الإطلاق، كما أبعد العلماء الحقيقيون عنها ليتمكن بعض ممن فشلوا في التعليم، أو حصلوا على شهادة بصعوبة، ليتمكنوا من المنابر، وأُقصى أساتذة جامعات وعلماء أجلاء، ودعاة يهزون الدنيا هزًّا، ولو حدث أن اعتلّ الإمام الراتب، وصعد أحد الجالسين ليقوم بحق الجمعة لاستُدعي أو اعتقل وسئل: لماذا أنقذ الموقف، وصعد المنبر!
- وتُوسع في المساجد التي قامت فيها قبور ومزارات، للتمكن من رقاب العامة، ونشر البدع، ومحاربة الدين باسم الدين، مستغلين أهواء من رأوا الإسلام رقصًا وخرافات وبلاهات؛ حاشا سيدي رسول الله وأصحابه وعلماء الأمة أن يباركوها أو يدعوا لها!
- ولأن للمساجد دورها المركزي والرئيس في حياة الأمة يجب أن نعيد لها دورها، واحترامها، وفاعلياتها، وأوقافها، ومرافقها التعليمية والاجتماعية والخيرية – لن أقول كالكنيسة؛ فحاشا أن أقارن – كما كانت في الأمة، لتخرج للأمة مسلمين وعاة

يقظين، وترعى الفقراء، وتكفكف الجامحين، وترشد الجانحين، وتعلم الصبيان والنساء والرجال!

وفي هذا الكتاب، سأحاول استيعاب ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة سيدي الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وما قاله العلماء المعتبرون عن المساجد ودورها، مع إطلالة على بعض الجوانب المعاصرة التي يثرى بها الموضوع ويعمُق..

سائلًا ربي تبارك وتعالى أن يصفي نيتي، ويخلص قصدي لوجهه الكريم، وأن يرزقني التوفيق، والإضافة، والجدة، والفائدة لكل قارئ لهذا العمل من المتخصصين وغير المتخصصين، كل بحسب سعة واديه، والجانب الذي يهتم به..

وأطمع من فضلك قارئي الكريم في دعوة صالحة بظهر الغيب، لي ولوالديّ، بأن يبارك في هذه العمل وغيره، وان يختم لنا بالصالحات، ولا يحرمنا فردوسه الأعلى والنظر لوجهه الكريم، ورفقة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والصحابة الأجلة، والعلماء الكرام، بمنه وفضله وعفوه، وتجاوزه، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه..

أبو سهيل عبد السلام البسيوني

إطلالة لغوية

يستخدم العامة في أماكن عبادة المسلمين ألفاظًا شتى، منها: المسجد، والجامع، والزاوية، والمصلى..

المسجد:

وردت لفظة المسجد مفردة ومجموعة في المصحف الشريف ثمانيًا وعشرين مرة..

قال في لسان العرب: قال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا)، وإلى قوله عز وجل: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله)؛ المعنى على هذا المذهب أنه من أظلم ممن خالف ملة الإسلام؟

وقال ابن الأعرابي: المسجَد – بفتح الجيم – محراب البيوت؛ ومصلى الجماعات مسجِد – بكسر الجيم – والمساجد جمعها..

والمساجد أيضًا: الآراب التي يُسجد عليها، والآراب: السبعة مساجد.

والمسجدان: مسجد مكة ومسجد المدينة شرفهما الله عز وجل؛ قال الكميت يمدح بني أمية:

لكم مسجدا الله المزوران والحصى..... لكم قِبصُه من بين أثرى وأقترا

والمسجَدة والسجادة: الخُمرة المسجود عليها. والسجادة: أثر السجود في الوجه.

والمسجَد، بالفتح: جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود..

وقوله تعالى: وأن المساجد لله؛ قيل: هي مواضع السجود من الإنسان: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان.

ومنه سجود الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض؛ ولا خضوع أعظم منه. والاسم السِّجدة، بالكسر، وسورة السجدة، بالفتح. وكل من ذل وخضع لما أمر به، فقد سجد.

ويكون السجود على جهة الخضوع والتواضع،كقوله عز وجل: (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات.....) الآية..

قلت: وقد جاء المسجد بمعنى موضع السجود في حديث البخاري عن سيدتي أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها أنها كانت تكون حائضًا لا تصلي، وهي مفترشة بحذاء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي على خمرته، إذا سجد أصابني بعض ثوبه.

وكذا حديث سيدي جابر رضي الله تعالى عنه في الصحيحين مرفوعًا: (وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) وغيرهما..

الجامع:

لم ترد في المصحف الشريف بمعنى: المكان الذي يجتمع الناس فيه للصلاة والعبادة، ولا مرة واحدة..

والمسجد الجامع: الذي يجمع أهله – نعت له؛ لأنه علامة للاجتماع – وإن شئت قلت: مسجد الجامع؛ بالإضافة كقولك: الحق اليقين، وحق اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع..

المصلَّى:

وردت لفظة مصلى في المصحف الشريف مرة واحدة في سورة البقرة:125: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

قال في معجم اللغة العربية المعاصر: المصلى: اسم مكان من صلَّى/ صلَّى على: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وكذا ما يُتَّخذ من فراش ونحوه ليُصلَّى عليه: "فرش المُصَلَّى لأداء الصَّلاة."

هل المسجد والمصلى شيء واحد:

ولم يسوَّ العلماء بين المسجد والمصلى؛ فقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: عن الفرق بين المسجد والمصلى، وهل أحكامهما واحدة من حيث تحية المسجد وإنشاد الضالة، والبيع، والشراء وغير ذلك؟ وما حكم تحية المسجد، وإن قيل بأنها سنة مؤكدة فكيف نوجه أدلة القائلين بالوجوب؟

فأجاب رحمه الله تعالى: الفرق بين المصلى والمسجد أن المصلى مكان صلاة فقط، والمسجد معد للصلاة عمومًا، كل من جاء فيه فإنه يصلي فيه، ويعرف أن هذا وقف، لا يمكن بيعه ولا التصرف فيه، وأما المصلى فإنه يمكن أن يترك، ولا يصلى فيه، وأن يباع تبعًا للبيت الذي هو فيه..

وبناء على ذلك يختلف الحكم؛ فالمساجد لا بد لها من تحية، ولا تمكث فيها الحائض مطلقًا ولا الجنب إلا بوضوء، ولا يجوز فيه البيع والشراء؛ بخلاف المصلى.

وقال الشيخ ابن جبرين: المسجد هو الذي خُصص للصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف، ووجه نحو القبلة، وجُعل له محراب ومنارة يتميز بها، فله حُرمة المسجد، فينزه عن الملاهي واللعب، والخوض في أمور الدنيا، والبيع والشراء، وإنشاد الضالة، ويُطهر عن الأدناس والأنجاس، ويُصان عن دخول الكفَار والمُشركين..

وأما المصلى: فهو الذي لا يُصلى فيه إلا في مناسبة أو سبب، كصلاة العيد والاستسقاء إذا كان في صحراء، وحصل أن حُدد ذلك المصلى، فإنه لا يأخذ حكم المسجد من كل الوجوه، ولكن يُحرص على حمايته وحفظه عن العبث واللعب والنجاسات والقُمامات وما أشبهها.

الزاوية:

في العامية المصرية: المكان الصغير المعد للصلاة/ المسجد الصغير قليل الإمكانات..

توقيعات

- **المساجد أحب البقاع طرًّا إلى الله تعالى:**

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) أخرجه مسلم.

- **لا بد أن تكون المساجد لله تعالى خالصة:**

قال الله تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا) الجن:18.

- **إعمارها بناءً دليل إيمان:**

قال الله تبارك وتعالى: (إنما يعمر مساجد الله: من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله؛ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) التوبة:18.

- **إعمارها حضورًا ومكثًا فيها دليل إيمان:**

ففي أحمد وغيره بسند ضعيف، وإن كان في منطوق آية التوبة ما يشهد له: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان).

والأسن هنا أن نتأسى بسنة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في المدح: (إن كنت مادحًا لا محالة فقل: أحسب فلانًا كذا، ولا أزكي على الله أحدًا) الصحيحان.

- **وهو دليل تقوى:**

ففي السلسلة الصحيحة مرفوعًا: (المسجد بَيتُ كُلّ تَقيّ).

- **ينبغي أن يؤسس على التقوى:**

وهذا أمر الله تبارك وتعالى في سورة التوبة–108: (لا تقم فيه أبدًا؛ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين)..

وفي ذلك إشارة إلى أن هناك مساجد لا تؤسس لوجه الله تعالى، وأحيانًا لأغراض مريبة، وأن مثل هذه المساجد مما لا يصلى فيه!

- **حض النبي صلى الله عليه وسلم على بنائه وخدمته، وتنظيفه، وتعظيمه:**

فعن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (من بنى لله مسجدًا – ولو كمفحص قطاة – بنى الله له بيتًا في الجنة) أحمد وغيره.

وعن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من بنى مسجدًا صغيرًا كان أم كبيرًا، بني الله له بيتًا في الجنة) الترمذي وغيره..

وروى الترمذي وأبو داود، وغيرهما عن أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب.

كيف وردت لفظة المسجد في القرآن الكريم؟:

وردت لفظة مسجد (مفردة ومجموعة) في المصحف الشريف ثمانيًا وعشرين مرة، على النحو التالي:

الأرض كلها – خصوصًا المساجد – لله وحده:

يقول الله تبارك وتعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا) الجن:18.

قال الإمام ابن العربي في أحكام القرآن: الأرض كلها لله ملكًا وخلقًا، كما قال الله سبحانه وتعالى: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) ..

والمساجد لله رفعة وتشريفًا، كما قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا).

والكعبة بيت الله تخصيصًا وتعظيمًا، كما قال تعالى: (أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين) البقرة:125.

وقال: ومع أن المساجد لله، لا يذكر فيها غير الله، فإنه: تجوز القسمة للأموال فيها، ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين، فكل من جاء أكل، ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنوم فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار، وإنشاء الشعر فيها إذا عري عن الباطل – ولا نبالي أن يكون غزلًا – وقد بينا ذلك في موضعه.

المسألة الخامسة قوله: (فلا تدعوا مع الله أحدًا) هذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام، وهو لله سبحانه اصطفاه لهم، واختصهم به، ووضعه مسكنًا لهم، وأحياه بعد الممات على يد أبيهم، وعمره من الخراب بسلفهم، وحين بلغت الحالة إليهم كفروا هذه النعمة، وأشركوا بالله غيره، فنبه الله ورسوله عليهم، وأوعز على لسانه إليهم به، وأمرهم بإقامة الحق فيه، وإخلاص الدعوة لله بمعالمه.

المباني بعد الأسس والمعاني:

المسجد ليس مجرد بناء، بل هو منهج ومعتقَد ونية، يقول الله تبارك وتعالى: (أجعلتم سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام،كمن آمن بالله، واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله؟ لا يستوون عند الله، والله لا يهدي القوم الظالمين* الذين آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم، وأنفسهم، أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون* يبشرهم ربهم برحمة منه، ورضوان، وجنات لهم فيها نعيم مقيم* خالدين فيها أبدًا؛ إن الله عنده أجر عظيم) التوبة:19–22..

قال صاحب المنار رحمه الله: هذه الآيات تكملة لموضوع الآيتين اللتين قبلها، في بيان كون الحق في عمارة المسجد الحرام بنوعيها، للمسلمين دون المشركين، وكون إيمانهم وإسلامهم أفضل مما كان يفخر به المشركون من عمارته، وسقاية الحاج فيه، وإن قام بهما المسلمون أنفسهم – خلافًا لما توهم بعضهم في الأعمال التي بعد الإسلام – فقد روى مسلم وأبو داود وابن حبان، وبعض رواة التفسير المأثور من حديث سيدي النعمان ابن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه..

فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج!

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم!

فزجرهم عمر رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم – وذلك يوم الجمعة – ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فدخل بعد الصلاة فاستفتاه، فأنزل الله تبارك وتعالى: (أجعلتم سقاية الحاج...) إلى قوله سبحانه: (لا يهدي القوم الظالمين)..

وروى الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكة، فقال للعباس: أي عم: ألا تهاجر؟ ألا تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أعمر المسجد، وأحجب البيت، فأنزل الله تبارك وتعالى: (أجعلتم سقاية الحاج) الآية.

وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس رضي الله تعالى عنه حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني (أي الأسير)! فأنزل الله سبحانه وتعالى: (أجعلتم سقاية الحاج).

الله تعالى نبهنا أن من المساجد ما يقام للإضرار بالإسلام والكيد لأهله:

يقول الله تبارك وتعالى: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارًا، وكفرًا، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى؛ والله يشهد إنهم لكاذبون* لا تقم فيه أبدًا....) التوبة:107–108!

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له: أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير.

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألبهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه، وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وشج رأسه، صلوات الله وسلامه عليه.

وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم، واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول، صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده ومناه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويغلبه، ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وجاؤوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم، فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم، وأهل العلة، في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله)!

فلما قفل عليه السلام راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة!

وفي زماننا تقام مساجد للطوائف والفرق والنحل المارقة في كثير من الأحيان، للتأسيس لباطل، والتلبيس على أهل الحق، كما أسس الهالك رشاد خليفة لنفسه مسجدًا، يدعو لنفسه فيه بالرسالة، وكالمساجد القاديانية والبهائية وغيرها..

تأسيس المساجد على التقوى أمر أساس:

يقول الله تبارك وتعالى في شأن مسجد الضرار الذي اتخذ تفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا للمعادين: (لا تقم فيه أبدًا؛ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين) التوبة:108، قال الإمام ابن كثير:

وقوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى، من أول يوم، أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين) دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة، المؤسسة – من أول بنائها – على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والعباد العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء، والتنزه عن ملابسة القاذورات.

وقال الإمام القرطبي: وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – لما نزلت هذه الآية – كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة، تلقى فيها الجيف، والأقذار، والقمامات.

وفي إبراز معنى هذه المقطع من قصة مسجد الضرار يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في الظلال:

هذا المسجد – مسجد الضرار – الذي اتخذ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيدةً للإسلام والمسلمين، لا يراد به إلا الإضرار بالمسلمين، وإلا الكفر بالله، وإلا ستر المتآمرين على الجماعة المسلمة، الكائدين لها في الظلام، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين..

هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى، تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة، التي يتخذها أعداء هذا الدين!

تتخذ في صورة نشاط ظاهره للإسلام، وباطنه لسحق الإسلام، أو تشويهه وتمويهه وتمييعه!

وتتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتتترس وراءها وهي ترمي هذا الدين!

وتتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب إلى أن الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق!

وتتخذ في صور شتى كثيرة..

ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشفها وإنزل اللافتات الخادعة عنها؛ وبيان حقيقتها للناس، وما تخفيه وراءها.

ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك البيان القوي الصريح: (والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا، وكفرًا، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن: إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون* لا تقم فيه أبدًا؛ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين* أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير؟ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم؟ والله لا يهدي القوم الظالمين* لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم، إلا أن تقطع قلوبهم، والله عليم حكيم).

والتعبير القرآني الفريد يرسم هنا صورة حافلة بالحركة، تنبئ عن مصير كل مسجد ضرار يقام إلى جوار مسجد التقوى، ويراد به ما أريد بمسجد الضرار، وتكشف عن نهاية كل محاولة خادعة تخفي وراءها نية خبيثة؛ وتطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يراد بهم، مهما لبس أصحابه مسوح المصلحين.. أ.هـ.

لا يعمر المساجد إلا مؤمن:

يقول تبارك وتعالى: (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر؛ أولئك حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون* إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله؛ فعسى أولئك أن يكونوا

من المهتدين) التوبة:17–18، قال الإمام ابن كثير: يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله، التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له.

ومن قرأ: "مسجد الله" فأراد به المسجد الحرام، أشرف المساجد في الأرض، الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له. وأسسه خليل الرحمن، هذا وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي: بحالهم وقالهم، كما قال السدي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال: نصراني، واليهودي: ما دينك؟ لقال يهودي، والصابئي لقال: صابئي، والمشرك لقال: مشرك.

وقال في التحرير والتنوير: هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام القابل، وهو مرتبط بما تضمنته البراءة في قوله تعالى: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) ولما اتصل بتلك الآية من بيان النبيء صلى الله عليه وسلم الذي أرسل به مع أبي بكر الصديق ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. وهو توطئة لقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس؛ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)..

وتركيب ما كان لهم أن يفعلوا: يدل على أنهم بعداء من ذلك، كما تقدم عند قوله تعالى: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) في سورة آل عمران، أي ليسوا بأهل لأن يعمروا مساجد الله، بما تعمر به من العبادات.

منع المساجد من أداء مهماتها أعظم الظلم:

يقول الله تبارك وتعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها؛ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم) البقرة:114..

قال في التحرير والتنوير: والآية نازلة في مشركي العرب، كما في رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهو الذي يقتضيه قوله: (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) الآية كما سيأتي، وهي تشير إلى منع أهل مكة النبيء صلى الله عليه وسلم

والمسلمين من الدخول لمكة، كما جاء في حديث سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه حين دخل مكة خفية، وقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بالبيت آمنًا، وقد آويتم الصبّاء!

وتكرر ذلك في عام الحديبية!

وقيل نزلت في بختنصر ملك أشور وغزوه بيت المقدس ثلاث غزوات، أولاها في سنة 606 قبل المسيح عليه السلام، زمن الملك يهوياقيم ملك اليهود، سبى فيها جمعًا من شعب إسرائيل..

والثانية بعد ثمان سنين، سبى فيها رؤساء المملكة، والملك يهواكين بن يهوياقيم، ونهب المسجد المقدس من جميع نفائسه وكنوزه..

والثالثة بعد عشر سنين، في زمن الملك صدقيا، فأسر الملك، وسمل عينيه، وأحرق المسجد الأقصى وجميع المدينة، وسبى جميع بني إسرائيل، وانقرضت بذلك مملكة يهوذا وذلك سنة 578 قبل المسيح. وتسمى هذه الواقعة بالسبي الثالث، فهو في كل ذلك قد منع مسجد بيت المقدس من أن يذكر فيه اسم الله،وتسبب في خرابه.

ويجهد اليهود من عقود لتحقيق هذه الغاية وتخريب الأقصى وإعلاء هيكلهم فيه!

المساجد للذكر والدعاء، ولا مجال فيها للشهوات والنساء:

يقول الله تبارك وتعالى: (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد؛ تلك حدود الله فلا تقربوها، كذلك يبين الله آياته للناس؛ لعلهم يتقون) البقرة:187..

قال الإمام الطبري في تفسرها: يعني تعالى ذكره بقوله: (ولا تباشروهن) لا تجامعوا نساءكم.

وبقوله: (وأنتم عاكفون في المساجد) في حال عكوفكم في المساجد، وتلك حال حبسِهم أنفسهم على عبادة الله في مساجدهم.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: بين جل وتعالى أن الجماع يفسد الاعتكاف.

وأجمع أهل العلم على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامدًا لذلك، في فرجها، أنه مفسد لاعتكافه، واختلفوا فيما عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن البصري والزهري: عليه ما على المواقع أهله في رمضان!

فأما المباشرة من غير جماع: فإن قصد بها التلذذ فهي مكروهة، وإن لم يقصد لم يكره؛ لأن عائشةرضي الله عنها كانت ترجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف، وكانت لا محالة تمس بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها، فدل بذلك على أن المباشرة بغير شهوة غير محظورة، هذا قول عطاء، والشافعي، وابن المنذر.

قال أبو عمر: وأجمعوا على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل، واختلفوا فيما عليه إن فعل، فقال مالك والشافعي رحمهما الله: إن فعل شيئًا من ذلك فسد اعتكافه، قاله المزني، وقال في موضع آخر من مسائل الاعتكاف: لا يفسد الاعتكاف من الوطء إلا ما يوجب الحد، واختاره المزني قياسًا على أصله في الحج والصوم!

سنة المدافعة تحمي بيوت الله تعالى:

يقول الله تبارك وتعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع، وبيع، وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا) الحج:40، قال في التحرير والتنوير:

لولا دفاع الناس عن مواضع عبادة المسلمين لانتصر المشركون، ولتجاوزوا فيه المسلمين إلى الاعتداء على ما يجاور بلادهم من أهل الملل الأخرى، المناوئة لملة الشرك، ولهدموا معابدهم من صوامع، وبيع، وصلوات، ومساجد، للأديان المخالفة للشرك. فذكر الصوامع، والبيع، إدماج لينتبهوا إلى تأييد المسلمين؛ فالتعريف في (الناس) تعريف العهد، أي الناس الذين يتقاتلون، وهم المسلمون ومشركو أهل مكة.

ويجوز أن يكون المراد: لولا ما سبق قبل الإسلام من إذن الله لأمم التوحيد بقتال أهل الشرك كما قاتل داود جالوت، وكما تغلب سليمان على ملكة سبأ لمحق المشركون معالم التوحيد، كما محق بختنصر هيكل سليمان، فتكون هذه الجملة تذييلًا لجملة: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن للمسلمين بالقتال – كما أذن لأمم قبلهم – لكيلا

يطغى عليهم المشركون كما طغوا على من قبلهم، حين لم يأذن الله لهم بالقتال، فالتعريف في (الناس) تعريف الجنس. وإضافة الدفاع إلى الله إسناد مجازي عقلي؛ لأنه إذنٌ للناس أن يدفعوا عن معابدهم، فكان إذن الله سبب الدفع. وهذا يهيب بأهل الأديان إلى التألب على مقاومة أهل الشرك.

في الشرائع السابقة اتخذت المساجد على القبور

قال الله تبارك وتعالى حكاية عن أصحاب الكهف وتنازع الناس فيهم: (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدًا) الكهف:21، قال في فتح القدير:

وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم أحياء، أمات الله الفتية، فقال بعضهم: ابنوا عليهم بنيانًا يسترهم عن أعين الناس، ثم قال سبحانه حاكيًا لقول المتنازعين فيهم، وفي عددهم، وفي مدة لبثهم، وفي نحو ذلك مما يتعلق بهم: (ربهم أعلم بهم) من هؤلاء المتنازعين فيهم، قالوا ذلك تفويضًا للعلم إلى الله سبحانه..

وقيل: هو من كلام الله سبحانه؛ ردًّا لقول المتنازعين فيهم أي: دعوا ما أنتم فيه من التنازع، فإني أعلم بهم منكم..

ويمكن أن يقال: إن أولئك القوم ما زالوا متنازعين فيما بينهم قرنًا بعد قرن، منذ أووا إلى الكهف إلى وقت الإعثار، ويؤيد ذلك أن خبرهم كان مكتوبًا على باب الغار، كتبه بعض المعاصرين لهم من المؤمنين الذين كانوا يخفون إيمانهم – كما قاله المفسرون – (قال الذين غلبوا على أمرهم: لنتخذن عليهم مسجدًا) ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وقيل: هم أهل السلطان والملك من القوم المذكورين؛ فإنهم الذين يغلبون على أمر من عداهم، والأول أولى.

قال الزجاج: هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور؛ لأن المساجد للمؤمنين.

أما في الإسلام فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال عليه الصلاة وأزكي السلام لما أخبرته أما المؤمنين أم سلمة وأم حبيبة رضي الله تعالى عنهما بكنيسة في

الحبشة فيها تصاوير، فقال صلى الله عليه وسلم: (أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)..كما ورد في الصحيحين.

وقال عليه الصلاة والسلام (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك) صحيح مسلم.

فالأمر إذن من شرع من قبلنا، مما جاء شرعنا بخلافه، فلا نتعبد الله تعالى به، والله سبحانه أعلى وأعلم.

جعل الله البيت الحرام قبلة للمسلمين يولون إليها وجوههم:

وحكاية ذلك مشتهرة من قوله تبارك وتعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم، وما الله بغافل عما يعملون) البقرة:144 وما بعدها.

قال الإمام ابن كثير: عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، فأمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرًا، وكان يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله سبحانه: (قد نرى تقلب وجهك في السماء) إلى قوله سبحانه وتعالى: (فولوا وجوهكم شطره) فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) ..

وكان تغيير القبلة امتحانًا لثبات القلوب، قال الله تعالى: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول، ممن ينقلب على عقبيه) البقرة:143.

مع أن الأرض كلها لله سبحانه، القائل: (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة: 115.

جعل الله تعالى مكة ومسجدها حرمًا آمنًا:

يقول الله العلي العظيم عز من قائل: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم؛ كذلك جزاء الكافرين* فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم) البقرة:191–192، قال في فتح القدير:

لا خلاف بين أهل العلم أن القتال كان ممنوعًا قبل الهجرة؛ لقوله تعالى: (فاعف عنهم واصفح) وقوله سبحانه: (واهجرهم هجرًا جميلًا) وقوله جل وعز: (لست عليهم بمسيطر) وقوله تبارك اسمه: (ادفع بالتي هي أحسن) ونحو ذلك مما نزل بمكة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله سبحانه بالقتال، ونزلت هذه الآية..

وقيل: إن أول ما نزل قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) فلما نزلت الآية كان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه؛ حتى نزل قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين) وقوله تعالى: (وقاتلوا المشركين كافة).

وقوله جل ذكره: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) الآية.. اختلف أهل العلم في ذلك، فذهبت طائفة إلى أنها محكمة، وأنه لا يجوز القتال في الحرم إلا بعد أن يتعدى بالقتال فيه؛ فإنه يجوز دفعه بالمقاتلة له، وهذا هو الحق!

وقالت طائفة: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقد احتج القائلون بالنسخ بقتله صلى الله عليه وسلم لابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ويجاب عنه بأنه وقع في تلك الساعة التي أحل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي القتال عند المسجد الحرام وأحكامه وردت آيات كثيرة ليس هذا موضع بسطها، مثل قوله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام – قتالٍ فيه – قل: قتال فيه كبير، وصدٌّ عن سبيل الله، وكفر به والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم؛ إن استطاعوا) البقرة:217..

وقوله سبحانه: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) المائدة:2..

وقوله جل ذكره: (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام، وما كانوا أولياءه؛ إن أولياؤه إلا المتقون....) الأنفال:34..

وقوله عز من قائل: (إلا الذين عاهدتم من المشركين، ثم لم ينقصوكم شيئًا، ولم يظاهروا عليكم أحدًا، فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم؛ إن الله يحب المتقين) التوبة:4..

وقوله جل اسمه: (إنما المشركون نجس؛ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله؛ إن شاء، إن الله عليم حكيم) التوبة:28..

وقوله تقدست ذاته: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله، والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس – سواء العاكف فيه والباد – ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) الحج:25..

وقوله جل في علاه: (هم الذين كفروا، وصدوكم عن المسجد الحرام،والهدي معكوفًا أن يبلغ محله.....) الفتح:25.. وغير ذلك من الأدلة.

من تعظيم شعائر الله تعالى تعظيم المساجد:

يقول الله تبارك وتعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الأعراف:31..

قال في فتح القدير:

هذا خطاب لجميع بني آدم؛ وإن كان واردًا على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والزينة: ما يتزين به الناس من الملبوس؛ أمروا بالتزين عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف.

وقد استدل بالآية على وجوب ستر العورة في الصلاة، وإليه ذهب جمهور أهل العلم، بل سترها واجب في كل حال من الأحوال – وإن كان الرجل خاليًا – كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

وقال الإمام ابن كثير: هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة، كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير – واللفظ له – عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء: الرجال بالنهار، والنساء بالليل. وكانت المرأة تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فقال الله تعالى: (خذوا زينتكم عند كل مسجد)!

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية، قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة – والزينة: اللباس، وهو ما يواري السوأة – وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد.

قلت: الكلام بأخذ الزينة أمر يؤخذ أيضًا على ظاهره – والظاهر يدخل في الحكم قطعًا كما يقول الأصوليون – ليشمل ما هو أكثر من ستر العورة، بل يلزم (التزين) للمسجد؛ بلبس ثياب أكثر من مناسبة – إلا لمعذور– والتطيب، والعناية بالمسجد، تعظيمًا لشعائر الله تعالى التي هي (من تقوى القلوب).

وهل تنكشف العورات في زماننا هذا؟

نعم، وكثير من الشباب يصلون بادي العورات في بيوت الله، فـ(الموضة) الآن لبس تيشيرتات قصيرة، وبنطلونات ضيقة و(ساقطة)، فإذا ركع الشاب أو سجد ظهر ظهره وأعلى سوأته، وهذا من عجائب المصلين في زماننا هذا، وهو كذلك منتشر انتشارًا شنيعًا، حتى كاد لا ينكر في المساجد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

كذلك يلبس بعض الرجال الثياب الشفيفة الرقيقة، ويلبسون تحتها ملبسًا داخليًّا يغطي العورة المغلظة فقط، فإذا صلى أحدهم أمامك انكشف بشكل سيئ!

وأذكر أنني خلعت يومًا غطاء رأسي وألقيته على من أمامي؛ حتى يستر نفسه لتصح صلاته، وكان هذا – للأسف – في الحرم المكي الشريف!

ولعل من ذلك أيضًا ما يفعله بعض الذين يسجدون سجود الشكر في الملاعب عند إحراز هدف أو نصر نهائي، حين يسجدون مكشوفي الأفخاذ وأحيانًا الظهر..

وقد أفتى كبير المفتين في دبي بدولة الإمارات الدكتور أحمد عبد العزيز الحداد بأن سجود لاعبي كرة القدم في الملاعب على صورته الحالية: أمر باطل، ما لم تتوفر شروط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة.

وقال إن سجود الشكر هو عبادة تستوجب لصحتها: التوجه نحو القبلة، والوضوء، وطهارة البدن والثوب والمكان، وستر العورة إلى الركبة، وهو ما لا يحدث، مشيرًا إلى أن السواد الأعظم من لاعبي كرة القدم لا يسترون العورة بزيهم الرياضي، ولا يكونون على طهارة، ولا يستقبلون القبلة عند سجودهم؛ لذلك فسجدتهم باطلة!

وقال الشيخ صالح الفوزان إن سجود الشكر يكون عند تجدد نعمة، وإحراز هدف ليس بنعمة متجددة؛ فهو بدعة في هذا الموضع!

وهو رأي أمانة الفتوى في دار الإفتاء المصرية، التي قالت: صرح الشافعية والحنابلة بأن سجود الشكر يشترط له ما يشترط للصلاة؛ أي من الطهارة، واستقبال القبلة، وستر العورة، واجتناب النجاسة؛ فعلى هذا لا يجوز لهم السجود للشكر مع إظهار العورة!

ويقول د. عجيل النشمي رئيس رابطة علماء الشريعة لدول مجلس التعاون الخليجي، والعميد السابق لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية إن سجود الشكر عبادة، وورد في الحديث الصحيح: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته قد سجد سجدة الشكر وقال: سجدت شكرا» فيجوز السجود لله شكرًا، لحدث أخبر به المسلم مفاجئ يسر المسلم أو المسلمة، ويشترط لسجود الشكر، ما يشترط للعبادة، ومنها الوضوء، وستر العورة، وهذا لا يتحقق للاعب.

وقد يكون اللاعب متوضئًا لكن فخذه مكشوفة، لذا أرى ان الفوز أو تحقيق هدف لا يعتبر انتصارًا في معركة أو نجاحًا في اختبار نهائي أو شفاء من مرض، ونحو ذلك مما يشكر الإنسان فيه الله تعالى بالسجود.

وأشار د. النشمي إلى أنه على اللاعب الذي فاز أن يكتفي بقول الحمد، والشكر لله. ونتمنى أن يتوقف اللاعبون عن هذا الفعل – رغم احترامنا لمشاعرهم – لئلا يصبح عرفًا يلتزم به.

علمًا أن من العلماء من خالف في ذلك، واستجازه، ومنهم مجمع الفقه الإسلامي في السودان الذي أكد على أن سجود اللاعبين يحولهم إلى دعاة؛ لأن غالبية الجماهير المتابعة للكرة جاهلة أو غير مسلمة، وبهذا يتحول اللاعبون إلى دعاة في ميدان لا يصله غيرهم. كما أن هذا يمثل تحول سيئات العادة إلى حسنات، شأن من سبق من سلف الأمة.

وجاء في نص الفتوى أن الدائرة المختصة بالمجمع درست الموضوع، وأجابت عنه بأن سجدة الشكر هي سجدة واحدة يسجدها المسلم عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة، ويثاب على فعلها، لأنها ثناء على الله عز وجل، ولا سلام بعدها، وليس من شرطها القبلة.

وأوردت الفتوى حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم:"كان إذا اتاه أمر يسره أو بشر به خر ساجدًا شكرا لله"، وروى البيهقي بإسناد على شرط البخاري أن عليًّا رضي الله عنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام همدان، فخر ساجدًا. وذكر ما جاء في البخاري ومسلم أن كعب بن مالك رضي الله عنه سجد حين جاءه خبر توبة الله عليه، ونزل ابن عباس رضي الله عنهما، من على دابته، وسجد لما بشر بمولود له، وسجد أبو بكر رضي الله عنه حين جاءه خبر قتل مسيلمة الكذاب، وسجد علي رضي الله عنه حين جاءه من رأى ذا الثدية بين قتلى الخوارج. وأشارت الفتوى إلى أن الأحاديث بهذا المعنى في هذا الباب كثيرة.

وخلصت الفتوى وبتوقيع أ. د. أحمد خالد بابكر الأمين العام للمجمع، استنادًا إلى قول الشوكاني: (ليس في الأحاديث ما يدل على اشتراط الوضوء أو طهارة الثياب والمكان، ولا ما يدل على التكبير)، وقول بعض أهل العلم: ولا يسجد للشكر في الصلاة، إذ ليس ذلك من توابعها.

وذكر المجمع في فتواه أن ما يفعله لاعبو الكرة من سجود في الميدان – إن هم أصابوا هدفًا – له شواهد.

http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=4698

المن على محمد صلى الله عليه وسلم ببعض المساجد ذات الخصوصية:

من الله تعالى على سيدي النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ببعض المساجد ذات المناقب والخصصيات المباركة، كما قال تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله؛ لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير) الإسراء:1، (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) الإسراء:7، (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله، آمنين، محلقين رؤوسكم ومقصرين، لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا) الفتح:27... وسيأتي من ذلك مزيد إن شاء الله تعالى..

فضل المساجد

فضل المساجد

كذلك خص الله تبارك وتعالى المساجد كلها بمزايا ومنح ليست لغيرها من البيوت – مهما كانت – وجعل فيها من البركة والخير والأجر شيئًا يُطمع العقلاء ويغري الباحثين عن الجنة..

ومن فضائلها ومزاياها:

الخارج للمسجد في ضمانة الله تبارك وتعالى وحفظه:

ففي صحيح الجامع، عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (ثلاثة في ضمان الله عز وجل: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله تعالى، ورجل خرج حاجًّا).

والجالس في المسجد في ضمانة الله تعالى:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (ست مجالس، المؤمن ضامن على الله تعالى ما كان في شيء منها: في مسجد جماعة، وعند مريض، أو في جنازة، أو في بيته، أو عند إمام مقسط يعزره ويوقره، أو في مشهد جهاد).

الأرض كلها مسجد (عام) للمسلم:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما بسند حسن مرفوع: (لقد أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن أحد قبلي: أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة؛ وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه/ ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر لملىء منه (رعبًا)/ وأحلت لي الغنائم آكلها، وكانوا من قبلي يعظمون أكلها، وكانوا يحرقونها/ وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا؛ أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت؛ وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم/ والخامسة هي ما هي! قيل لي: سل؛ فإن كل نبي قد سأل، فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة، فهي لكم، ولمن شهد أن لا إله إلا الله).

المساجد حبيبة إلى ربنا تبارك وتعالى:

ففي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أحبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها)!

وفي صحيح الترغيب عن سيدي جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله: أي البلدان أحب إلى الله، وأي البلدان أبغض إلى الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (لا أدري، حتى أسأل جبريل) فأتاه جبريل، فأخبره أن أحسن البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق.

والله تعالى يحتفي بأهلها:

ففي صحيح الترغيب، والجامع الصغير واللفظ له، بسند صحيح، عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر، إلا تبشبش الله له من حين يخرج من بيته، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم، إذا قدم عليهم).

وهي خير المجالس:

ففي الجامع الصغير بسند صحيح عن سيدي واثلة بن الأسقع أبي فسيلة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (شر المجالس الأسواق والطرق، وخير المجالس المساجد، وإن لم تجلس في المسجد فالزم بيتك)!

كل خطوة للمسجد ترفع حسنة وتضع خطيئة:

ففي مسلم عن سيدي عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله تعالى عنه؛ قال: (من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث يُنادى بهن؛ فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى. وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو أنكم تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر، فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى يهادي بين الرجلين؛ حتى يقام في الصف)!

التعلق بالمسجد سبب للاستظلال بالعرش يوم القيامة:

ففي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)!

كثرةُ الخطا إلى المساجد مما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفع الدرجات:

ففي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط)!

تنظيفها – بحسب العرف – قربة وثواب:

ففي سنن أبي داود عن سيدتي أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أمر رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب).

وفي سنن أبي داود عن سيدي سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه: (....فإن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بًالمساجد أن نصنعها في ديارنا، ونصلح صنعتها، ونطهرها).

وللمشائين إليها في الظلمات نور:

ففي سنن أبي داود عن سيدي بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)!

وفي صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إن الله ليضيء للذين يتخللون إلى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة).

وهم الخواضون في الرحمات:

ففي الجامع الصغير عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (المشاؤون إلى المساجد في الظلم، أولئك الخواضون في رحمة الله)!

والملائكة جلساؤهم:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:

(إن للمساجد أوتادًا؛ الملائكة جلساؤهم: إن غابو ا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم. ثم قال: جليس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، أو كلمة محكمة، أو رحمة منتظرة).

والمساجد رياض الجنة في الأرض:

ففي الترمذي عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا). قلت: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (المساجد)، قلت: وما الرتع يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وهي ملاذ للخائفين:

ففي تحفة المحتاج لابن الملقن بسند صحيح أو حسن – كما اشترط على نفسه في المقدمة – عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله؛ فإذا انكسف أحدهما فافزعوا إلى المساجد).

والمسجد من دوافع البلاء في القبر:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:

(يؤتى الرجل في قبره: فإذا أتي من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن، وإذا أتي من قبل يديه دفعته الصدقة، وإذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد)..

والخطو نحو المسجد ماحٍ للذنب:

ففي صحيح سنن النسائي عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:

(ألا أخبركم، بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)..

والجلوس فيه كفارة للذنوب:

ففي صحيح الجامع عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والدرجات، والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره. قال: صدقت يا محمد! ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي، وترحمني، وتتوب علي، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. والدرجات: إفشاء السلام وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام)!

والغدو إليه مع النية كأجر الحاج!

ففي صحيح الترغيب عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:

(من غدا إلى مسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه، كان له كأجر حاج، تاما حجته).

والغدو إليه يمحو ويثبت!

ففي صحيح الترغيب عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا:

(من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة، وخطوة تكتتب له حسنة، ذاهبًا وراجعًا).

والجلوس فيه للتلاوة والذكر مَنَزلة للسكينة والرحمة والملائكة:

ففي صحيح الترمذي عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره

الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر؛ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا؛ سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما قعد قوم في مسجد يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)!

والآثار تكتب:

ففي مسلم عن سيدي جابرِ بنِ عبدِ اللهِ؛ رضي الله تعالى عنهما قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقال: (يا بني سلمة! دياركم؛ تكتب آثاركم، فقالوا ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا)!

وفي سنن أبي داود عن سيدي أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (كان رجلٌ لا أعلم أحدًا من الناسِ ممن يُصلِّي القبلةَ من أهلِ المدينةِ أبعدَ منزلًا من المسجدِ من ذلك الرجلِ، وكان لا تُخطئُه صلاةٌ في المسجدِ! فقلتُ: لو اشتريتَ حمارًا تركبُه في الرَّمضاءِ والظُّلمةِ؟! فقال: ما أُحبُّ أنَّ منزلي إلى جنبِ المسجدِ!

فنمِيَ الحديثُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فسأله عن قولِه ذلك، فقال: أردتُ يا رسولَ اللهِ أن يُكتبَ لي إقبالي إلى المسجدِ، ورُجوعي إلى أهلي إذا رجعتُ! فقال صلى الله عليه وسلم: (أعطاك الله ذلك كله، أنطاك الله جل وعز ما احتسبت كله أجمع).

وفي صحيح الجامع عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (إذا توضأَ أحدُكم فأحسنَ الوُضوءَ، ثمَّ خرجَ إلى المسجدِ لا ينزِعه إلا الصلاةُ، لمْ تزل رجلُه اليسرى تمحو عنهُ سيئةً، وتكتبُ له اليمنى حسنةً، حتى يدخلَ المسجدَ. ولو يعلمُ الناسُ ما في العَتَمةِ والصبحِ لأتوهما؛ ولو حبوًا)!

وانتظار الصلاة فيها مجلبة لدعاء الملائكة:

ففي سنن أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ تزيدُ على صلاته في بيتِه وصلاتِه في سُوقِه خمسًا وعشرين درجةً؛ وذلك بأنَّ

أحدَكم إذا توضأ، فأحسنَ الوضوءَ، وأتى المسجدَ لا يريد إلا الصلاةَ، ولا ينهَزُه إلا الصلاةُ، لم يخطُ خطوةً إلا رُفع له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ؛ حتى يدخلَ المسجدَ، فإذا دخل المسجدَ كان في صلاةٍ ما كانت الصلاةُ هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدِكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، ويقولون: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحمْه، اللهمَّ تُبْ عليه؛ ما لم يُؤذِ فيه، أو يُحدثُ فيه).

وفي صحيح الترغيب عن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا، ويزيد به في الحسنات)؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: (إسباغ الوضوء أو الطهور فى المكاره، وكثرة الخطا إلى هذا المسجد، والصلاة بعد الصلاة، وما من أحد يخرج من بيته متطهرًا حتى يأتي المسجد، فيصلى فيه مع المسلمين أو مع الإمام، ثم ينتظر الصلاة التى بعدها، إلا قالت الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه).

وهو بيت كل تقي:

ففي السلسلة الصحيحة عن سيدي أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: (كتب أبو الدرداءِ إلى سلمانَ – رضي الله عنهما – أما بعدُ يا أخي: فاغتنم صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل أن ينزل من البلاءِ ما لا يستطيع أحدٌ من الناسِ رده، ويا أخي اغتنم دعوةَ المؤمنِ المُبتلى، ويا أخي ليكنْ المسجدُ بيتك؛ فإني سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يقول: (المسجدُ بيتُ كلِّ تقيٍّ).

يكتب المسلم مصليًّا منذ يخرج حتى يعود!

ففي صحيح الترغيب عن سيدي عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة، كتب له كاتباه – أو كاتبه – بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات. والقاعد يرعى الصلاة كالقانت، ويكتب من المصلين، من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه)!

وهو معبر المؤمن إلى الجنة:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالرَّوح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة)!

وفي كل روحة له نُزل من غفور رحيم:

ففي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من غدا إلى المسجد وراح، أعد الله له نزلًا من الجنة كلما غدا وراح)!

والجلوس في المسجد رباط في سبيل الله تعالى:

ففي صحيح مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: (إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط)!

وانتظار الصلاة صلاة:

ففي الجامع الصغير عن سيدي سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (منْ كانَ في المسجدِ ينتظرُ الصلاةَ، فهو في الصلاةِ ما لمْ يُحدِثْ)

وسبحة الضحى في المسجد كالغزو والغُنم!

ففي صحيح الترغيب عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن سيدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه:

(ألا أدلكم على أقرب منهم مغزًى، وأكثر غنيمة، وأوشك رجعة؟ من توضأ، ثم غدا إلى المسجد لسبحة الضحى، فهو أقرب منهم مغزًى، وأكثر غنيمة، وأوشك رجعة)!

وهو زائر لله تعالى يستحق الإكرام:

ففي صحيح الترغيب عن سيدنا سلمان رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر)!

لأول من يغدو للمسجد فضيلة خاصة:

ففي صحيح الجامع عن سيدنا عبد الله بن الحارث رضي الله تعالى عنه بسند صحيح موقوفًا: (بلغني أنَّ الملَك يغدو برايته معَ أول من يغدو إلى المسجد؛ فلا يزالُ بها معه حتى يرجع فيدخل بِها منزلهُ. وإن الشيطانَ يغدو برايته إلى السوق معَ أول من يغدو؛ فلا يزال بِها معه حتى يرجع فيدخلَها منزله).

وضبط النفس فيه باب للمغفرة:

ففي صحيح الجامع عن سيدنا أبي ذر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من اغتسل يوم الجمعة، فأحسن الغسل، وتطهر فأحسن الطهور، ولبس من أحسن ثيابه، ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله، ثم أتى المسجد، فلم يلغ، ولم يفرق بين اثنين، غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى).

وبناء مسجد يساوي مسجدًا في الجنة:

ففي مسلم أن سيدنا عثمان بن عفان قال – عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم –: إنكم قد أكثرتم، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بنى مسجدًا – قال بكير حسبت أنه قال – يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة) وفي رواية هارون (بنى الله له بيتًا في الجنة)!

دور المسجد

دور المسجد

المساجد والواقع الكنود

عن قصد وتخطيط حُجّم دور المساجد في حياة المسلمين – حول العالم الإسلامي – وشُلت فاعليتها، وانحسر أداؤها في صلوات سريعة، وخطباء – في جملتهم – غير معنيين، وغير مؤهلين، ولا يراد لهم أن يطوروا أنفسهم، ولا أن تتحسن أوضاعهم!

كما احتُجنت أوقاف المساجد وصودرت علنًا، وأكلت لصالح الحاكمين أو للحرب على الدين، وامتلأت بيوت الله تبارك وتعالى بالمخبرين والجواسيس الذين يراقبون الناس، ويكتبون عنهم التقارير..

بل بلغ الحال إلى إلغاء وظيفة المؤذن، ورفع الأذان من جهة واحدة ليشمل مساجد المدينة بأسرها..

بل صارت الخطب تكتب، حتى لم يعد من حق الخطيب في بعض الدول العربية أن يرتجل..

بل لا بد أن يقرأ خطبته المعلبة من ورقة معدة سلفًا، وفق نموذج لا حق له أن يتجاوزه،

بل طالب بعضهم بخطبة موحدة، تأتي من جهة بعينها، ثم تبث في كل المساجد!

بل عُملت بطاقات إلكترونية في بعض البلاد يدخل بها المسلم المسجد، ويثبت حضوره بها، فإن صلى في غير مسجده سوئل وأوذي!

وبعد أن كانت المساجد أماكن مفتوحة على مدار الساعة، منوعة الفاعلية، جمة الأنشطة، واسعة التأثير، صارت تفتح قبل الصلاة بقليل، وتغلق مباشرة بعد ختمها، ولا يسمح فيها بفاعليات وأنشطة تخدم التعليم، أو المجتمع، أو الصحة، أو غير ذلك..

وجهل الناس دور المسجد الذي صار مهجورًا بنسب عالية – إلا في الجمعة – وظنوا أنه – فقط – مكان لـ(خطف الركعتين) لا أكثر، فلا يرد ببالهم دور آخر له..

ومن لطيف ما يحكى في هذا الباب ما بلغت إليه حال بعض الناس في دول إسلامية، فقد أراد شاب أن يعقد زواجه في المسجد، تبركًا، واقتصادًا، وتوسعة على نفسه وعلى

الناس في المكان والحال، فاندهش كثيرون، وقالوا: معقول؟ نشرب بيبسى في المسجد؟ ناكل شوكولاته في المسجد؟ حراااام!

وبلغ جهل بعض الناس بدور المسجد، وبالصلاة نفسها مبلغًا عظيمًا، حتى إن أحدهم – ذات سفر إلى العاصمة – صلى قصرًا في ثمانينيات القرن الفائت، بمجموعة من كبار المتعلمين (داخل إحدى الكليات) فغضبوا واستنكروا استنكارًا شديدًا، واعتبروه قد أتى بدين جديد منحرف؛ إذ جعل الظهر ركعتين بدلَ أربع! ولم يفهموا أن هناك شيئًا يسمى قصر الصلاة إلا بعد أيام قضاها بينهم في المكان، حتى فهموا، وهدأ غضبهم!

ولا شك أن المطلع على نصوص السنة المشرفة سيلحظ أن للمساجد أدوارًا عديدة، دينية، واجتماعية، وتعليمية، وترفيهية، وسياسية، ورسمية، حرصت على أن أرصدها فيما يلي من مقاطع؛ سائلًا الله تبارك وتعالى التوفيق والنفع:

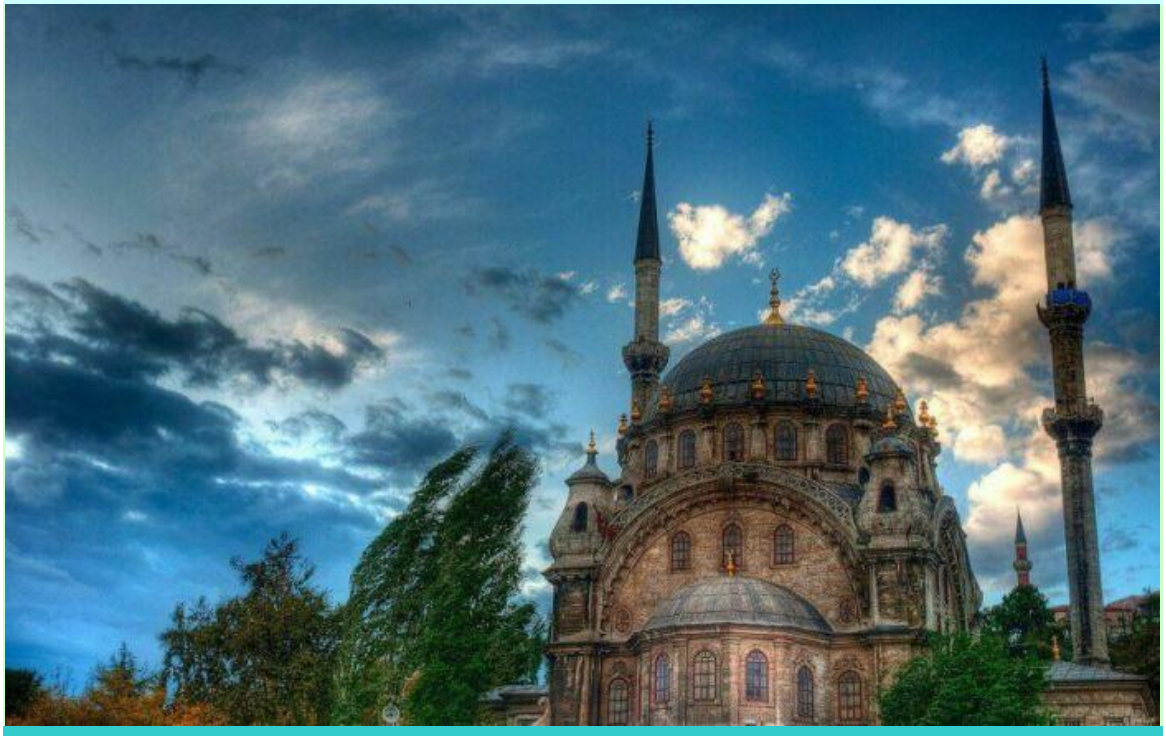

الدور الإيماني للمسجد

المسجد هو الأساس في الصلوات بأنواعها، والاعتكاف، والمدارسة، والواجبات الدينية، فاقرأ:

في البخاري وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (من غدا إلى المسجدِ أو راح، أعد الله له نُزُلًا من الجنةِ كلما غدا أوراح)!

وفي الجامع الصغير عن أبي حميد أو أبي أسيد الساعدي قال: إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي، وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي وليقل اللهم إني أسألك من فضلك!

وفي مسلم عن سيدتي عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم! أعوذ برضاك من سخطك. وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك؛ لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)!

وفي مسلم عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا بالمدينةِ. فإذا أذن المؤذن لصلاةِ المغربِ ابتدروا السواريَ، فيركعون ركعتين ركعتين؛ حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صُليت، من كثرة من يصليهما.

وفي مسلم عن قزعة، قال: أتيتُ أبا سعيدٍ الخُدري وهو مكثورٌ عليه، فلما تفرق الناسُ عنه، قلتُ: إني لا أسألك عما يسألك هؤلاء عنه، أسألك عن صلاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: ما لك في ذاك من خيرٍ! فأعادها عليه، فقال: كانت صلاةُ الظهرِ تقام، فينطلق أحدُنا إلى البقيعِ، فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ، ثم يرجع إلى المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأُولى!

وفي مسلم عن سيدتي عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنه لما تُوفي سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله تعالى عنه، أرسل أزواجُ النبي صلى الله عليه وسلم أن يمروا بجنازته في المسجد، فيصلين عليه، ففعلوا، فوقف به على حجرهن يصلين عليه، ثم أُخرج به من باب الجنائزِ الذي كان إلى المقاعدِ! فبلغهنَّ أنَّ الناسَ عابو ا ذلك، وقالوا: ما كانت الجنائزُ يدخلُ بها المسجدُ! فبلغ ذلك عائشةَ رضي الله تعالى عنها، فقالت: ما أسرعَ الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به! عابوا علينا أن يُمر بجنازةٍ في المسجدِ، وما صلَّى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على سُهيل بن بيضاء إلا في جوفِ المسجدِ.

وفي مسلم عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ!

قال نافعٌ: وقد أراني عبدُ اللهِ رضيَ الله عنهُ المكانَ الذي كان يعتكفُ فيه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، من المسجدِ.

وفي البخاري عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن عمر قال:

يا رسولَ الله، إني نذرتُ في الجاهلية أن أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرامِ، قال صلى الله عليه وسلم: (أَوفِ بنذرك).

وفي مسلم عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: خرج معاويةُ على حلقةٍ في المسجدِ. فقال ما أجلَسَكم؟ قالوا جلَسْنا نذكرُ اللهَ.

قال آللهِ! ما أجلسكم إلا ذاك؟

قالوا: واللهِ! ما أجلسَنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفْكم تهمةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أقلَّ عنه حديثًا مني. وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقةٍ من أصحابِه. فقال: (ما أجلسكم)؟ قالوا: جلسنا نذكرُ اللهَ، ونحمدُه على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا.

قال صلى الله عليه وسلم: (آللهِ! ما أجلسكم إلا ذاك)؟

قالوا واللهِ! ما أجلسنا إلا ذاك.

قال صلى الله عليه وسلم: (أما إني لم أستحلِفْكم تهمةً لكم، ولكنه أتاني جبريلُ فأخبرني أن الله عزَّ وجل يباهي بكم الملائكةَ)!

وفي البخاري عن سيدتي عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت:

خسفت الشمسُ في حياة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فخرج إلى المسجد، فصفّ الناسَ وراءَه، فكبر، فاقترأ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قراءةً طويلةً، ثم كبر فركع ركوعًا طويلًا، ثم قال سمع اللهُ لمن حمده، فقام ولم يسجد، وقرأ قراءةً طويلةً، هي أدنى من القراءةِ الأولى، ثم كبر وركع ركوعًا طويلًا، وهو أدنى من الركوعِ الأولِ، ثم قال: سمع اللهُ لمن حمده، ربنا ولك الحمدُ. ثم سجد، ثم قال في الركعةِ الآخرةِ مثلَ ذلك، فاستكمل أربعَ ركعاتٍ في أربعِ سجداتٍ، وانجلتِ الشمسُ قبل أن ينصرف، ثم قام صلى الله عليه وسلم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

هما من آياتِ اللهِ، لا يخسفان لموتِ أحد ولا لحياته، فإذا رأيتُموهما فافزعوا إلى الصلاةِ.

وفي البخاري روى سيدي أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه، قال: خُسفتِ الشمسُ، فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم فزعًا، يخشى أن تكون الساعةُ، فأتى المسجدَ، فصلى بأطولِ قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ رأيتُه قطُّ يفعله، وقال هذه الآياتُ التي يرسلها اللهُ، لا تكون لموتِ أحدٍ، ولا لحياتِه، ولكن يخوف اللهُ بها عبادَه، فإذا رأيتُم شيئًا من ذلك، فافزعوا إلى ذكرِه ودعائِه واستغفارِه.

وفي البخاري عن سيدي السائب بن يزيد رضي الله عنه أنَّ التأذينَ الثاني يومَ الجمعةِ، أمرَ بهِ عثمانُ، حينَ كثرَ أهلُ المسجدِ، كانَ التأذينُ يومَ الجمعةِ حينَ يجلس الإمام.

وفي الجواب الصحيح لابن تيمية رحمه الله بسند متواتر أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعةَ بأذانٍ وإقامةٍ، لا يؤذنُ لها إلَّا إذا قعد على المنبرِ، وكذلك كان الأمرُ على عهدِ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، فلما كان في أثناءِ خلافةِ عثمانَ كثر الناسُ، فأمرَ بالنداءِ الثالث على دارٍ قريبةٍ من المسجدِ من جهةِ المشرقِ، يقالُ لها الزَّوراءُ!

وفي حديث أحمد وغيره عن سيديّ أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (من اغتسل يوم الجمعة، واستاك، ومسَّ من طيب؛ إن كان عنده، ولبس أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام، فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها) وفي الصحيحين أحاديث بمعنى بعضه.

الدور الاجتماعي للمسجد

هو مأوى من لا بيت له ولا أهل:

ففي البخاري عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم، قال: أخبرني عبد الله أنه كان ينام وهو شاب أعزب، لا أهل له، في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

هو مكان للاحتفال الاجتماعي بالأعراس:

ففي تخريج مشكاة المصابيح بسند حسن – كما قال في المقدمة – عن سيدتي عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها مرفوعًا: (أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف).

وهو مكان للجلوس والاجتماع:

ففي الجامع الصغير عن سيدي واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة، مرفوعًا:

(شر المجالس: الأسواق والطرق، وخير المجالس المساجد، وإن لم تجلس في المسجد فالزم بيتك)!

وهو مكان لتقاضي الحقوق:

ففي البخاري عن سيدي عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه تقاضى ابنَ أبي حدرد دينًا كان لهُ عليه في المسجدِ، فارتفعت أصواتُهما، حتى سمعها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو في بيته، فخرج إليهما صلى الله عليه وسلم حتى كشف سجفَ حجرته، فنادى: (يا كعبُ). قال: لبيك يا رسول الله، قال: (ضع من دينك هذا) فأومأ إليه، أي الشَّطرَ، قال: لقد فعلتُ يا رسولَ اللهِ، قال صلى الله عليه وسلم: (قم فاقضه).

وفي البخاري عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، قال:

كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأبطأ بي جملي – أعيا – فأتى علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (جابر). فقلت: نعم، قال: (ما شأنك)؟

قلت أبطأ علي جملي، أعيا، فتخلفت، فنزل يحجنه بمحجنه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (اركب) فركبت فلقد رأيته أكفه عنه صلى الله عليه وسلم!

قال صلى الله عليه وسلم: تزوجت؟ قلت: نعم..

قال صلى الله عليه وسلم: (بكرًا أم ثيبًا)؟

قلت: بل ثيبًا!

قال صلى الله عليه وسلم: (أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك)؟

قلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن!

قال صلى الله عليه وسلم: (أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس). ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أتبيع جملك)؟ قلت: نعم!

فاشتراه صلى الله عليه وسلم مني بأوقية، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي، وقدمت بالغداة، فجئنا إلى المسجد، فوجدته على باب المسجد، قال صلى الله عليه وسلم: (آلآن قدمت)؟ قلت: نعم.

قال صلى الله عليه وسلم: (فدع جملك، فادخل فصل ركعتين).

فدخلت فصليت، فأمر بلالا أن يزن لي أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح في الميزان، فانطلقت حتى وليت فقال: (ادع لي جابرًا). قلت: الآن يرد علي الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه!

قال صلى الله عليه وسلم: (خذ جملك، ولك ثمنه).

وهو راحة للمهموم والمأزوم:

ففي سنن أبي داود عن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: دخل رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار، يقال له: أبو أمامة، فقال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا أمامة: ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة)؟

قال: هموم لزمتني وديون يا رسول اللهِ!

قال صلى الله عليه وسلم: (أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك، وقضى عنك دينك)؟!

قال: بلى يا رسول اللهِ!

قال صلى الله عليه وسلم: (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)!

قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني ديني!

وهو ملاذ للقلِق والمكروب:

ففي البخاري عن سيدي سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: جاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بيت فاطمةَ، فلم يجد عليًّا في البيتِ، فقال: (أين ابن عمك)؟

قالتْ رضي الله تعالى عنها: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني فخرج، فلم يقِل عِندي!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسانٍ: (انظر أين هو). فجاء فقال يا رسول الله، هو في المسجد راقدٌ..

فجاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو مضطجعٌ، قد سقَط رداؤه عن شِقه، وأصابه ترابٌ، فجعَل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يمسحُه عنه، ويقول: (قم أبا تراب، قم أبا ترابٍ).

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أتى رجل النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المسجد، فقال: احترقت!

قال صلى الله عليه وسلم: (ممّ ذاك)؟

قال: وقعت بامرأتي في رمضان!

قال له صلى الله عليه وسلم: (تصدق)!

قال: ما عندي شيء، فجلس، وأتاه إنسان يسوق حمارًا، ومعه طعام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: (أين المحترق)؟

فقال: ها أنا ذا.

قال صلى الله عليه وسلم: خذ هذا فتصدّق به.

قال: على أحوج مني؟ ما لأهلي طعام!

قال صلى الله عليه وسلم: (فكلوه)!

وهو متنَزَّلُ الرحمات ومحضِر الملائكة:

ففي صحيح سنن الترمذي عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه، مرفوعًا:

(من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة،

ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما؛ سهل الله له طريقا إلى الجنة..

وما قعد قوم في مسجد يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)!

وفيه ستر للفقراء والمساكين:

ففي البخاري عن سيدي معن بنِ يزيد رضي الله عنهما، قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وأبي وجدي، وخطب علي فأنكحني، وخاصمت إليه، وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدَّق بها، فوضعها عند رجلٍ في المسجد، فجئت، فأخذتها، فأتيته بها، فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: (لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن)!

وفي سنن أبي داود عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من كل جادّ عشرة أوسقٍ من التمر بقِنو يعلق في المسجد للمساكين!

وفي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي البراء بن عازب في قوله سبحانه: (يأيها الذين آمنوا: أنفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) قال: نزلت في الأنصار، كانت الأنصار تخرج – إذا كان جِداد النخل– من حيطانها أقناء البسر، فيعلقونه على حبل بين أسطوانتين، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأكل منه فقراء المهاجرين، فيعمد أحدهم فيدخل قنوًا فيه الحشف، يظن أنه

جائز؛ في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) يقول لا تعمدوا للحشَف منه تنفقون (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه)! يقول لو أهدي لكم ما قبلتموه؛ إلا على استحياء من صاحبه، غيظًا أنه بعث إليكم ما لم يكن لكم فيه حاجة، واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم.

وفي صحيح دلائل النبوة صحيح ورواته ثقات عن سيدي بلال بن رباح رضي الله تعالى عنه أنه سئل: كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

قال ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي ذلك منه، منذ بعثه الله تعالى حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكان إذا أتاه الإنسان مسلمًا فرآه عاريًا، يأمرني فأنطلق، فأستقرض، فأشتري له البردة، فأكسوه، وأطعمه..

حتى اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال: إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني، ففعلت!

فلما أن كان ذات يوم توضأت، ثم قمت لأؤذن بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار، فلما أن رآني قال: يا حبشي، قلت: يا لباه! فتجهمني، وقال لي قولًا غليظًا، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت: قريب. قال إنما بينك وبينه أربع، فآخذك بالذي عليك، فأردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك!

فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، حتى إذا صليت العتمة رجع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أهله، فاستأذنت عليه، فأذن لي، قلت: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي؛ إن المشرك الذي كنت أتدين منه، قال لي كذا وكذا، وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي، فأذن لي أن آبق إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا؛ حتى يرزق الله تعالى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما يقضي عني!

فخرجت حتى إذا أتيت منزلي، فجعلت سيفي وجرابي ونعلي ومجني عند رأسي، حتى إذا انشق عمود الصبح الأول، أردت أن أنطلق، فإذا إنسان يسعى يدعو: يا بلال: أجب

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فانطلقت حتى أتيته، فإذا أربع ركائب مناخات عليهن أحمالهن، فاستأذنت. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

(أبشر؛ فقد جاءك الله تعالى بقضائك)، ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ألم تر الركائب المناخات الأربع)؟ فقلت: بلى. فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إن لك رقابهن وما عليهن؛ فإن عليهن كسوة وطعامًا، أهداهن إلي عظيم فدك، فاقبضهن واقض دينك)! ففعلت..

ثم انطلقت إلى المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاعد في المسجد، فسلمت عليه، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ما فعل ما قبلك)؟

قلت: قد قضى الله تعالى كل شيء كان على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلم يبق شيء.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أفضل شيء؟ قلت: نعم.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: انظر أن تريحني منه، فإني لست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منه، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العتمة دعاني، فقال: ما فعل الذي قبلك؟ قلت: هو معي لم يأتنا أحد، فبات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المسجد، حتى إذا صلى العتمة – يعني من الغد – دعاني صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ما فعل الذي قبلك؟

قلت: قد أراحك الله منه يا رسول الله، فكبر، وحمد الله؛ شفقًا من أن يدركه الموت وعنده ذلك!

وهو مكان لقسمة الصدقات وهدايا المسلمين:

ففي البخاري عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين، فقال: (انثروه في المسجد)! وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحدًا إلا أعطاه... الحديث.

وهو مجتمع الأمة في النوازل والملمات:

ففي البخاري عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أصبحنا يومًا ونساء النبي صلى الله عليه وسلم يبكين، عند كل امرأة منهن أهلها! فخرجت إلى المسجد، فإذا هو ملآن من الناس. فجاء عمر بن الخطاب، فصعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة له، فسلم فلم يجبه أحد، ثم سلم فلم يجبه أحد، ثم سلم فلم يجبه أحد، فناداه فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (أطلقت نساءك) فقال: (لا، ولكن آليت منهن شهرًا) فمكث صلى الله عليه وسلم تسعًا وعشرين، ثم دخل على نسائه.

وفي البخاري عن سيدي سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه أن رجلًا من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلًا، أيقتله؟ فتلاعنا في المسجد، وأنا شاهد.

الدور التعليمي للمسجد

وكما يقوم المسجد بدور اجتماعي واضح وقوي، فله كذلك دور تعليمي عام لا يخفى، ويأخذ هذا الدور أشكالًا شتى، منها:

تعليم كتاب الله تبارك وتعالى:

في البخاري عن أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله تعالى عنه، قال: كنتُ أُصلِّي في المسجدِ، فدعاني رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فلمْ أُجبْهُ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ، إني كنتُ أُصلِّي، فقالَ ألم يقلِ الله تعالى: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}. ثم قال لي: (لأعلمنك سورة، هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد). ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظمُ سورةٍ في القرآنِ. قال: ({الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ} هي السبعُ المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيته).

وفي صحيح سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا:

(.....ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا؛ سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما قعد قوم في مسجد يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

وفي مسلم وأبي داود واللفظ لهما – وغيرهما – عن سيدي عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، قال: خرج علينا رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، ونحن في الصفة، فقال صلى الله عليه وسلم: (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو العقيق، فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين؛ بغير إثم بالله عز وجل، ولا قطع رحم)؟

قالوا: كلنا يا رسول اللهِ!

قال صلى الله عليه وسلم: (فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد، فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وإن ثلاث فثلاث، مثل أعدادهن من الإبل)!

وفي مسلم عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يستمعُ قراءةَ رجُلٍ في المسجدِ. فقال: (رحمه الله؛ لقد أذكرني آية كنت أُنسيتُها).

وفي مسلم عن أبي إسحق قال: رأيتُ رجلًا سأل الأسودَ بن يزيدَ، وهو يُعلم القرآنَ في المسجدِ، فقال: كيف تقرأُ هذه الآيةَ؟ (فهل من مُدَّكِرٍ): أدالًا أم ذالًا؟

قال بل دالًا؛ سمعتُ عبدَ الله بن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه يقول: سمعتُ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (مُدَّكِرٍ) دالًا..

الإجابة عن مسائل الناس:

في البخاري عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينما أنا والنبيُّ صلى الله عليه وسلم خارجانِ من المسجدِ، فلقِيَنا رجلٌ عند سُدَّةِ المسجدِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، متى الساعةُ؟ قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (ما أعدَدْتَ لها)؟

فكأنَّ الرجلَ استكانَ، ثم قال: يا رسولَ اللهِ، ما أعددتُ لها كبيرَ صيامٍ ولا صلاةٍ ولا صدقةٍ، ولكني أُحبُّ اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم!

فقال صلى الله عليه وسلم: (أنت معَ مَن أحببْتَ).

النصيحة وتصحيح الأخطاء عند الاقتضاء:

في البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رجلًا دخل المسجد، ورسول اللهِ صلى الله عليه وسلم جالِسٌ في ناحِيةِ المسجدِ، فصلَّى، ثم جاء فسلَّم عليه، فقال له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

(وعليكَ السلامُ، ارجِعْ فصلِّ فإنَّك لم تُصَلِّ).

فرجَع فصلَّى ثم جاء فسلَّم.. فقال صلى الله عليه وسلم: (وعلَيكَ السلامُ، فارجِعْ فصلِّ، فإنَّك لم تُصَلِّ).

فقال في الثانيةِ، أو في التي بعدَها: علِّمْني يا رسولَ اللهِ!

فقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قمت إلى الصلاةِ فأسبِغِ الوُضوءَ، ثم استقبلِ القبلةَ فكبر، ثم اقرَأْ بما تيسر معك منَ القرآنِ، ثم اركع حتى تطمئنَّ راكعًا، ثم ارفع حتى تستويَ

قائمًا، ثم اسجدْ حتى تَطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفعْ حتى تَطمئنَّ جالسًا، ثم اسجدْ حتى تَطمئنَّ ساجدًا، ثم ارفعْ حتى تَطمئنَّ جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتكَ كلِّها).

تعليم الجاهل:

ففي البخاري عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن جلوسٌ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في المسجدِ، دخل رجلٌ على جملٍ، فأناخه في المسجدِ ثم عقلهُ، ثم قال: لهم أَيكم محمدٌ؟ والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مُتكئٌ بين ظهرانيهم!

فقلنا: هذا الرجلُ الأبيضُ المتكئ!

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟

فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (قد أَجبتك).

فقال الرجلُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تَجِدْ عليَّ في نفسكَ!

فقال صلى الله عليه وسلم: (سل عما بَدَا لك).

فقال: أسألكَ بربِّكَ وربِّ من قبلَكَ، آللهُ أرسلكَ إلى الناس كلهم؟

فقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

قال أَنشدك باللهِ، آللهُ أمركَ أن نصليَ الصلواتِ الخَمْسَ في اليوم والليلةِ؟

فقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

قال: أَنشدك باللهِ، آللهُ أمرك أن نصومَ هذا الشهرَ من السنةِ؟

فقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

قال: أَنْشُدُكَ باللهِ، آلله أمرك أن تأخذَ هذه الصدقةَ من أغنيائنا فتَقسمَها على فقرائِنا؟

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

فقال الرجلُ: آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي، وأنَا ضِمامُ بنُ ثعلبةَ، أخو بني سعدِ بنِ بكرٍ!

إزالة الخلافات، وتصحيح المفاهيم:

روى مسلم عن سيدي أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، قال:

كنت في المسجد فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما صلى الله عليه وسلم فقرآ، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهم، قال: فسقط في نفسي ولا إذ كنت في الجاهلية..

فلما رأى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقًا، وكأنما أنظر إلى الله فرقًا، فقال لي صلى الله عليه وسلم:

(يا أبي، أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم)!

الدور التربوي للمسجد

كان للمسجد دوره البارز في تهذيب النفوس، وتربية القلوب، وتغيير جفاف بعض الطبائع إلى رقة وخشية، وتفكُّر واستبصار، ونماذج ذلك كثيرة:

في البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلًا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما عندك يا ثمامة)!؟

فقال عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت!

فترك حتى كان الغد، فقال له صلى الله عليه وسلم: (ما عندك يا ثمامة)!؟

فقال: ما قُلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر!

فتركه حتى كان بعد الغد فقال صلى الله عليه وسلم: (ما عندك يا ثمامة)!؟

فقال عندي ما قُلت لك!

فقال صلى الله عليه وسلم: (أطلقوا ثمامة)!

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله!

ثم قال: يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم!

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت:جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة) ووقع نحو ذلك لعيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري فيما أخرجه أبو يعلى في مسنده بسند رجاله ثقات إلى أبي هريرة قال: " دخل عيينة بن حصن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه يقبل الحسن والحسين فقال: أتقبلهما يا رسول الله؟ إن لي عشرة فما قبلت أحدًا منهم!

وفي مسند أبي يعلى، عن عبد الله بن عوف العصري، أشج عبد القيس (وقيل هو المنذر بن عَمْرو، أو ابن الحارث) أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم في رفقة من عبد القيس يزوره، فأقبلوا، فلما قدموا رفع لهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأناخوا ركابهم، وابتدره القوم، ولم يلبسوا إلا ثياب سفرهم، وأقام العصري يعقل ركاب أصحابه وبعيره، ثم أخرج ثيابه من عيبته، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسلم عليه، فقال صلى الله عليه وسلم:

(إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله).

قال: ما هما يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وسلم: (الأناة والحلم)!

قال: شيء جبلت عليه أو شيء أتخلقه؟

قال صلى الله عليه وسلم: (لا، بل جبلت عليه).

قال: الحمد لله.

وفي سنن أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال:

.....صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال:

(هل منكم الرجل إذا أتى أهله، فأغلق عليه بَابه، وألقى عليه ستره، واستتر بستر الله، ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا، فعلت كذا)!؟ فسكتوا!

فأقبل صلى الله عليه وسلم على النساء فقال: (هل منكن من تحدث؟) فسكتن!

فجثت كعاب على إحدى ركبتيها، وتطاولت لرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ليراها، ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول اللهِ إنهم ليتحدثون، وإنهن ليتحدثنه!

فقال صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون ما مثل ذلك!؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانًا في السكة، فقضى منها حاجته، والناس ينظرون إليه! ألا وإن طيب الرجال ما ظهر ريحه،ولم يظهر لونه! ألا إن طيب النساء ما ظهر لونه، ولم يظهر ريحه)!

وفي الموطأ وغيره عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده؛ أن اخرج – كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته – ففعل الرجل ثم رجع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان)!؟

وأخرج مسلم وغيره مرفوعًا: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)!

قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة!

فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس).

وأخرج أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون، فقال ألك مال، قال نعم، قال من أي المال، قال قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته

وفي البخاري مرفوعًا: لأن يأخذ الرجل حبلا فيأتي رأس جبل فيحتطب ثم يحمله فيبيعه فيستعف به خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

وروى أبو داود وابن ماجه عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلًا من الأنصار رضي الله عنهم أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال له: (أما في بيتك شيء؟)

فقال: بلى حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء!

قال صلى الله عليه وسلم: (ائتني بهما) فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: (من يشتري هذين)؟

قال رجل: أنا آخذهما بدرهم،

فقال صلى الله عليه وسلم: (من يزيد على درهم)؟ مرتين أو ثلاثًا،

قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: (اشتر بأحدهما طعامًا، فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا، فائتني به)!

فأتاه به، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودًا بيده، ثم قال: (اذهب، فاحتطب، وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا)!

فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه، وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع) رواه أبو داود، وغيره.

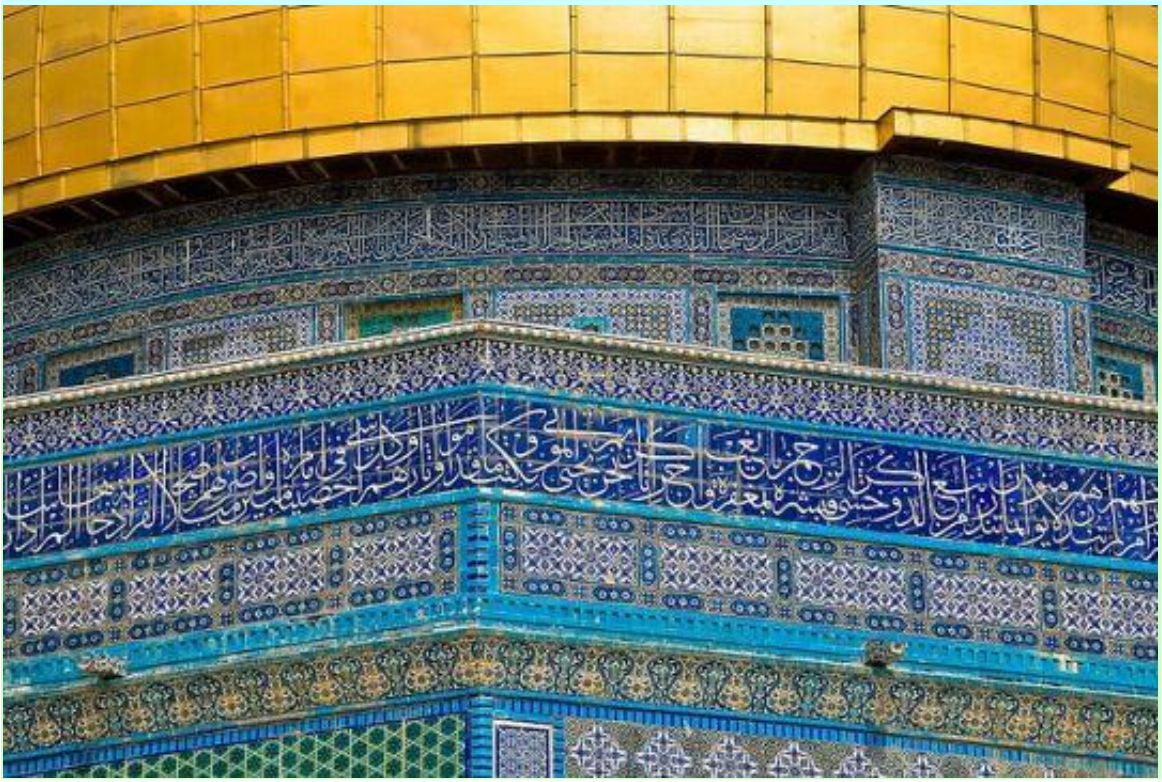

الأطفال في المسجد

وكان المسجد مسرحًا لأحكام كثيرة خاصة بالأطفال:

ففي الترمذي وغيره عن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والله إني لأسمع بكاء الصبي – وأنا في الصلاة – فأخفف؛ مخافة أن تفتتن أمه)!

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن الحسن البصري، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ جاء صبي، حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه، وأقعده على فخذه اليمنى! قال: فلبث قليلًا فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها، وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فهلا على فخذك الأخرى) فحملها على فخذه الأخرى فقال صلى الله عليه وسلم (الآن عدلت)!

وروى الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن شداد قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذا أتاه الحسن أو الحسين، فركب على عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس؛ حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: يا رسول الله لقد أطلت السجود حتى ظننا أنه قد حدث أمر؟!

فقال صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا قد ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)!

وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن أبي قتادة صاحب رسول الله قال: بينما نحن ننتظر رسول الله في الظهر أو العصر – وقد دعا بلال للصلاة – إذ خرج إلينا، وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته على عنقه، فقام رسول الله في مصلاه وقمنا خلفه، وهي في مكانها الذي هي فيه. قال: فكبر فكبرنا، حتى إذا أراد رسول الله أن يركع أخذها فوضعها، ثم ركع وسجد، حتى إذا فرغ من سجوده، ثم قام، أخذها فردها في مكانها، فما زال رسول الله يصنع بها ذلك في كل ركعة، حتى فرغ من صلاته!

الدور السياسي للمسجد

كان المسجد مقر حكم الدولة الإسلامية وديوان إدارتها لا شك في ذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل فيه الوفود على اختلاف عقائدهم – يهودًا أو نصارى أو مشركين – ومنه جيشت الجيوش، ونظمت الدولة، وأديرت شؤون الأمة، فتأمل معي هذه النصوص:

استقبال من يريدون الإسلام:

في سنن أبي داود عن سيدي عثمان ابن أبي العاص رضي الله تعالى عنه أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد؛ ليكون أرق لقلوبهم! فاشترطوا عليه ألا يحشروا، ولا يعَشّروا، ولا يُجبوا، فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لكم ألا تحشروا، ولا تعشروا، ولا خير في دين ليس فيه ركوع)!

ومعنى: ألا يحشروا: أي لا يندبون إلى المغازي، ولا تضرب عليهم البعوث، ومعنى ألا يعشروا: أي لا يؤخذ عشر أموالهم، ومعنى ألا يجبوا: أي ألا يركعوا/ ألا يصلوا!

استقبال النصارى السائلين:

في أحكام أهل الذمة لابن القيم بسد صحيح عن سيدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه أنزل وفد نصارى نجران في مسجدِه، وحانت صلاتُهم، فصلوا فيه!

استقبال اليهود والتعامل معهم:

وفي سنن أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه زنى رجل من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي؛ فإنه نبي بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها، واحتججنا بها عند الله، قلنا: فتيا نبي من أنبيائك!

فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا:

يا أبا القاسم: ما ترى في رجل وامرأة زنيا؟

فلم يكلمهم صلى الله عليه وسلم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب فقال: (أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى: ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن)؟!

قالوا: يحمم، ويجبه، ويجلد! – والتجبيه أن يحمل الزانيان على حمار، وتقابل أقفيتهما، ويطاف بهما – قال: وسكت شاب منهم!

فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم سكت ألَظَّ به النشدة، فقال:

اللهم إذ نشدتنا فإنا نجد في التوراة الرجم!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فما أول ما ارتخصتم أمر الله)؟!

قال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم، ثم زنى رجل في أسرة من الناس فأراد رجمه، فحال قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه! فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإني أحكم بما في التوراة)، فأمر بهما فرجما!

التعامل مع الفئات الخارجة على الأمة وإمامها:

ففي صحيح دلائل النبوة عن سيدي علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، في موقف عن الخوارج:

كانت مجالسُ الناس المساجدَ حتى رجعوا من صفين وبرئوا من القضية، فاستخف الناس وقعدوا في السكك يتخبرون الأخبار، فينما نحن قعود عند علي وهو يتكلم بأمر الناس، فقام رجل عليه فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أتكلم، فشغل بما كان فيه من أمر الناس، فأخذنا الرجل فأقعدناه إلينا، وقلنا: ما هذا الذي تريد أن تسأل عنه أمير المؤمنين؟

فقال: إني كنت في العمرة، فدخلت على أم المؤمنين عائشة، فقالت: ما هؤلاء الذين خرجوا قبلكم يقال لهم حروراء؟

فقلت: قوم خرجوا إلى أرض قرية منا يقال لها حروراء. قالت: فشهدت هلكتهم؟

قال عاصم: فلا أدري ما قال الرجل نعم أم لا. فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أما إن ابن أبي طالب لو شاء حدثكم حديثهم، فجئت أسأله عن ذلك..

فلما فرغ علي رضي الله تعالى عنه مما كان فيه قال: أين الرجل المستأذن؟

قال فقام فقص عليه ما قص علينا. قال: فأهل علي وكبر، وقال:

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس عنده غير عائشة، فقال: (كيف أنت يا بن أبي طالب وقوم كذا وكذا)؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

فأعادها فقلت: الله ورسوله أعلم. قال قوم يخرجون من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم!

هو منطقة آمنة في الحرب:

ففي السلسلة الصحيحة عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما في الحديث عن فتح مكة، وما حصل من تفاصيل أثناء ذلك: (.....فعرفت صوته، فقلت يا أبا حنظلة! فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟!

فقلت ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، واصباح قريش والله!

قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟!

قال: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب معي هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمنه لك. فركب خلفي (سيدنا العباس رضي الله تعالى عنه) فحركت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الناقة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد!

ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركضت البغلة، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل عمر، فقال يا رسول الله! هذا أبو سفيان، قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه!

قال: قلت: يا رسول الله! إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت برأسه فقلت لا والله؛ لا يناجيه الليلة رجل دوني، فلما أكثر عمر في شأنه، قلت: مهلا يا عمر! والله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك عرفت أنه رجل من رجال بني عبد مناف!

فقال: مهلا يا عباس! فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب به إلى رحلك يا عباس! فإذا أصبح فأتني به. فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟!

قال بأبي أنت وأمي؛ ما أكرمك وأحلمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره؛ لقد أغنى عني شيئًا بعد!

قال ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟!

قال: بأبي أنت وأمي؛ ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! هذه – والله – كان في نفسي منها شيء حتى الآن!

قال سيدنا العباس رضي الله تعالى عنه: ويحك يا أبا سفيان! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله قبل أن يضرب عنقك! فشهد بشهادة الحق وأسلم.

قال سيدنا العباس رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئًا!

قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: نعم، من دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن أغلق بابه؛ فهو آمن، ومن دخل المسجد؛ فهو آمن.

فلما ذهب لينصرف؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس! احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها. قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه. قال ومرت به القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء؟ فأقول: سليم، فيقول ما لي ولسليم؟ قال ثم تمر القبيلة، قال من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول ما لي ولمزينة؟ حتى نفذت القبائل؛ لا تمر قبيلة إلا قال من هؤلاء؟ فأقول: بنو فلان، فيقول ما لي ولبني فلان؟

حتى مر رسول الله في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله! من هؤلاء يا عباس؟!

قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل! لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا!

قلت: يا أبا سفيان! إنها النبوة، قال: فنعم إذًا، قلت: النجاء إلى قومك.

فخرج حتى إذا جاءهم؛ صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن!

فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الدسم الأحمش، قبح من طليعة قوم!

قال: وي! لا تغرنكم هذه من أنفسكم؛ فإنه قد جاء ما لا قبل لكم به؛ من دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، قالوا: ويلك وما تغني دارك؟!

قال: ومن أغلق بابه؛ فهو آمن، ومن دخل المسجد؛ فهو آمن.

فتفرق الناس إلى دورهم، وإلى المسجد!

فيه يناقَش حالُ الأمة:

في مسلم عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة التابعي، قال: دخلتُ المسجدَ فإذا عبدُ اللهِ بنُ عمرو بن العاصِ جالس في ظل الكعبةِ، والناس مجتمعون عليهِ، فأتيتهم، فجلستُ إليهِ، فقال كنا مع رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم في سفرٍ، فنزلنا منزلًا، فمنا من يصلحُ خباءه، ومنا من ينتضلُ، ومنا من هو في جشرِه، إذ نادى منادي رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: الصلاةُ جامعةٌ.

فاجتمعنا إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: (إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليهِ أن يدلَّ أُمته على خيرِ ما يعلمه لهم، ويُنذرهم شرَّ ما يعلمه لهم.

وإنَّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها. وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها. وتجيءُ فتنة فيُرققُ بعضها بعضها، وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمنُ: هذه مهلكتي؛ ثم تنكشفُ، وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمنُ هذه هذه! فمن أحبَّ أن يزحزحَ عن النارِ ويدخلَ الجنةَ، فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يحبُّ أن يؤتى إليهِ.

ومن بايعَ إمامًا، فأعطاهُ صفقةَ يدِه، وثمرةَ قلبِه، فليُطعْه إن استطاعَ؛ فإن جاء آخر يُنازعُه فاضربوا عنقَ الآخر).

فدنوتُ منهُ فقلتُ أنشدكَ اللهَ! آنت سمعتَ هذا من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيهِ وقلبِه بيديهِ، وقال: سمعتْهُ أذنايَ ووعاهُ قلبي.

الدور الحضاري والترفيهي للمسجد

كان للمسجد دور كبير في التأسيس لمعانٍ حضارية وإنسانية و(ترفيهية) لا يتوقعها أكثرنا، وهي ثابتة بالأدلة الشرعية القوية، ومن ذلك:

التطبيب داخل المسجد:

ففي البخاري عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت:

أصيب سعد رضي الله عنه يوم الخندق في الأكحل، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد – ليعوده من قريب – فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة: ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دمًا، فمات فيها.

اللعب الرجولي داخل المسجد:

ففي مسلم عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت:

واللهِ لقد رأيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقوم على بابِ حُجرتي، والحبشةُ يلعبون بحِرابِهم، في مسجدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يستُرُني بردائِه؛ لكى أنظرَ إلى لعبِهم، ثم يقومُ من أجلي، حتى أكون أنا التي أنصرفُ؛ فاقدُروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ، الحريصة على اللَّهوِ.

وفي مسلم عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت:

جاء حَبَشٌ يزْفِنونَ في يومِ عيدٍ في المسجدِ (والزفن الرقص أو شبهه، واللعب كما في اللسان، وهو المقصود هنا) فدعاني النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فوضَعْتُ رأسي، على منكبِه، فجعلتُ أنظرُ إلى لعبِهم، حتى كنتُ أنا التي أنصرفُ عن النظرِ إليهم. وفي روايةٍ: ولم يذكرا في المسجدِ.

إنشاد الشعر في المسجد:

ففي الترمذي وغيره عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع لحسان منبرًا في المسجد، يقوم عليه قائمًا، يفاخر عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم – أو قال ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما يفاخر، أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)!

وفي البخاري أَنَّ سيدي عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ الله عنه مرَّ على حسان وهو يُنشدُ في مسجدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فانتهرَه عمر رضيَ اللهُ عنه، فأقبل عليه حسَّان رضيَ اللهُ عنه فقال: قد كنتُ أنشد فيه، وفيه من هو خيرٌ منكَ!

فانطلق عنه عمرُ، فقال حسّان لأبي هريرةَ: يا أبا هريرةَ أما سمعتَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (يا حسَان أجب عن رسول الله؛ اللهم أيده بروح القدُسِ)؟

قال: اللهمَّ نعمْ!

التسابق حول المسجد:

وفي مسلم وغيره عن سيدي ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل، يرسلها من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر، وكان أمدها من الثنية إلى مسجد بني زريق.

وقد سمي مسجد بني زريق بعد ذلك مسجد السبق، وقد صليت فيه غير مرة في السبعينيات من القرن الماضي..

مسجد السبق

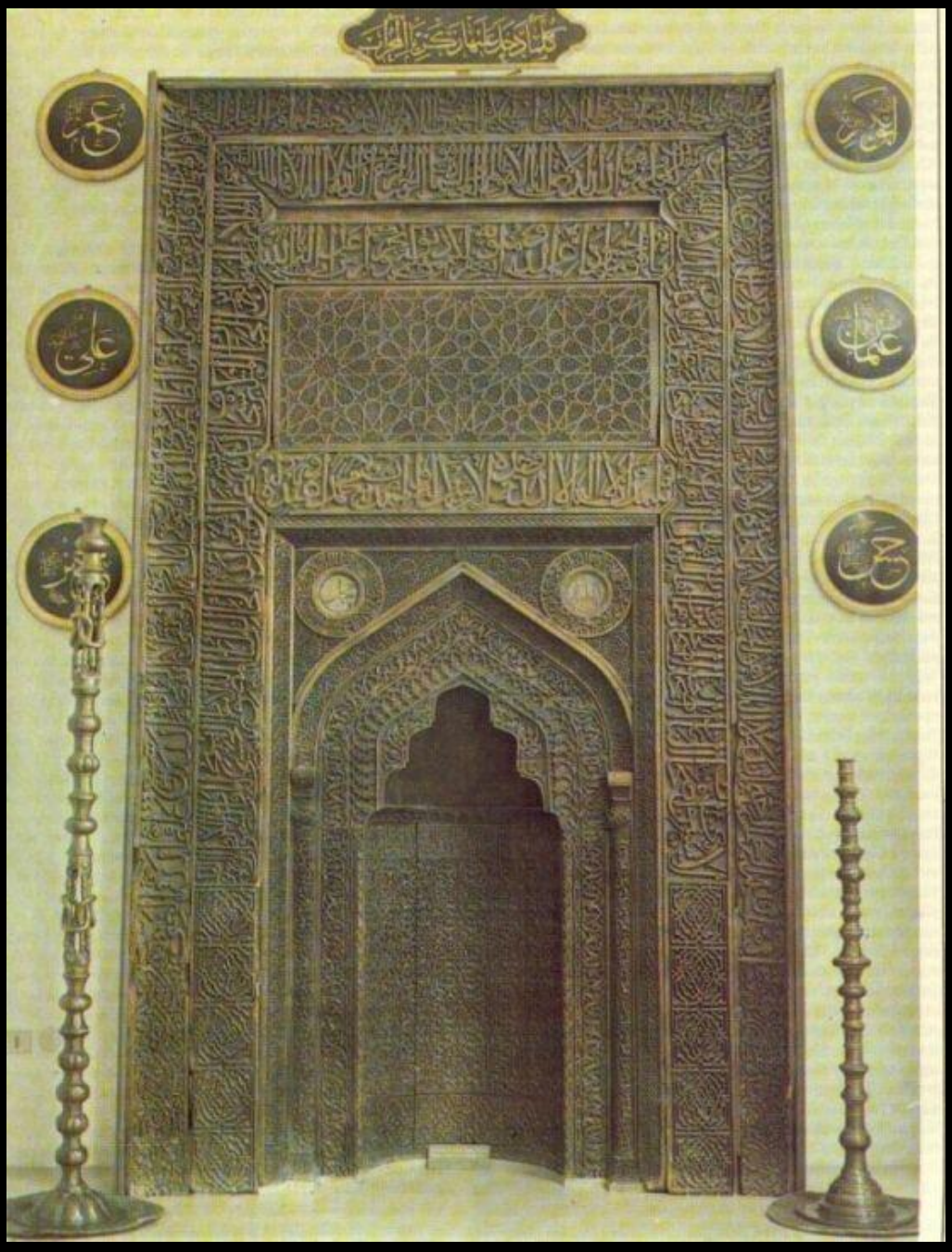

المحاريب: هل هي بدعة؟!

المحاريب في المساجد

لا أشك أن المحراب جزء بارز ومكون رئيس من مكونات المسجد في الإسلام، وحين يدخل داخلٌ مسجدًا جديدًا لأول وهلة فإن عينه تتجه حيث المحراب؛ الذي يحدد له جهة القبلة بشمل دقيق، ليقف مطمئنًا بين يدي ربه سبحانه وتعالى.

ولم أر في حياتي مسجدًا – على كثرة ما دخلت من المساجد، في بلاد شتى – يخلو من محراب بسيط أو مبهرج..

فهل سؤالي عن بدعية المحاريب سؤال غريب، أو في غير محله؟

لا أعتقد ذلك، كما لا أنسى تبني بعض من لم يحسن قراءة الفقه – من السبعينيات الماضية – فتوى بحرمة المحراب في المسجد؛ بحجة أنه يشبه مذابح الكنائس، وأنه بدعة لم يكن موجودًا زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه..

لذا لم يكن بد من أن أنظر في آراء العلماء في الأمر، وبالله تعالى التوفيق والاستعانة:

المحراب في اللغة:

قال في اللسان: المحراب أكرم مجالس الملوك، وهو سيد المجالس ومقدمها وأشرفها، قال وكذلك هو من المساجد، وكانت العرب تسمي القصر محرابًا لشرفه.

وروى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: دخلت محرابًا من محاريب حمير فنفح في وجهي ريح المسك – أراد قصرًا أو ما يشبهه – وقيل: المحراب الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد من الناس، قال الأزهري: وسمي المحراب محرابًا لانفراد الإمام فيه، وبعده من الناس.

وقال الفراء في قوله عز وجل: (....من محاريب وتماثيل) ذكر أنها صور الأنبياء والملائكة ، كانت تصور في المساجد، ليراها الناس؛ فيزدادوا عبادة!

والمحراب عرفًا: هو نتوء في منتصف جدار المسجد المواجه للقبلة (غالبًا) يدل على اتجاهها؛ يكون المحراب عادة على شكل طاقة نصف دائرية أو مضلعة مجوفة، تسع أن يقف فيها رجل.

لماذا المحراب في المسجد؟

للمحاريب في المساجد فوائد جمة:

- فبها يُحدد اتجاه القبلة لمن هم داخل المسجد، حتى لا يأتي داخل فيقف إلى غير الاتجاه الصحيح! كما أن اتجاهها لمن هم خارجها يحدد باتجاه الهلال الموجود أعلى المئذنة.
- وبها يتحدد مكان وقوف الإمام، أمام الناس..
- إضافة إلى وظيفتها التجميلية، والفيزيائية الصوتية، فإن المحارب في العادة مقوسة، وليست مضلعة ولا حادة الزوايا أو قائمتها، وهذا التقوس ذو فائدة في رد الصوت وتضخيمه، لذلك كان يستخدم في المساجد بشكل واسع، في المحاريب والقباب، لقدرتها على جمع الصوت ورده مضخمًا، حين كان الإمام يعتمد على صوته في القراءة لا على المكبرات.
- ومن العجيب أن المحاريب كانت تتعدد في المسجد الواحد أحيانًا، كما حصل بالحرم الشريف، فقد كانت هناك محاريب أربعة يصلي في كل منها واحد من علماء المذاهب الأربعة، ويمكن رؤيتها بسهولة في رسوم المستشرقين، كما أن جامع أحمد بن طولون، في القاهرة كانت له ستة محاريب، على ما قرأت!

ويمكن أن تتأمل الرسم أدناه من أيام الدولة العثمانية لترى كيف كانت هناك محاريب أربعة حول الكعبة المشرفة، المقام الحنفي من جهة الحِجر، والمقام المالكي أمام باب العمرة، والحنبلي بين الركن اليماني والحجَر، والشافعي أمام باب الكعبة.. والمقام هنا هو المحراب كما اتضح في صور أخرى رسمها المستشرقون..

كما أن في الحرم النبوي محرابين أحدهما في الروضة، والآخر هو مصلى إمام الحرم.

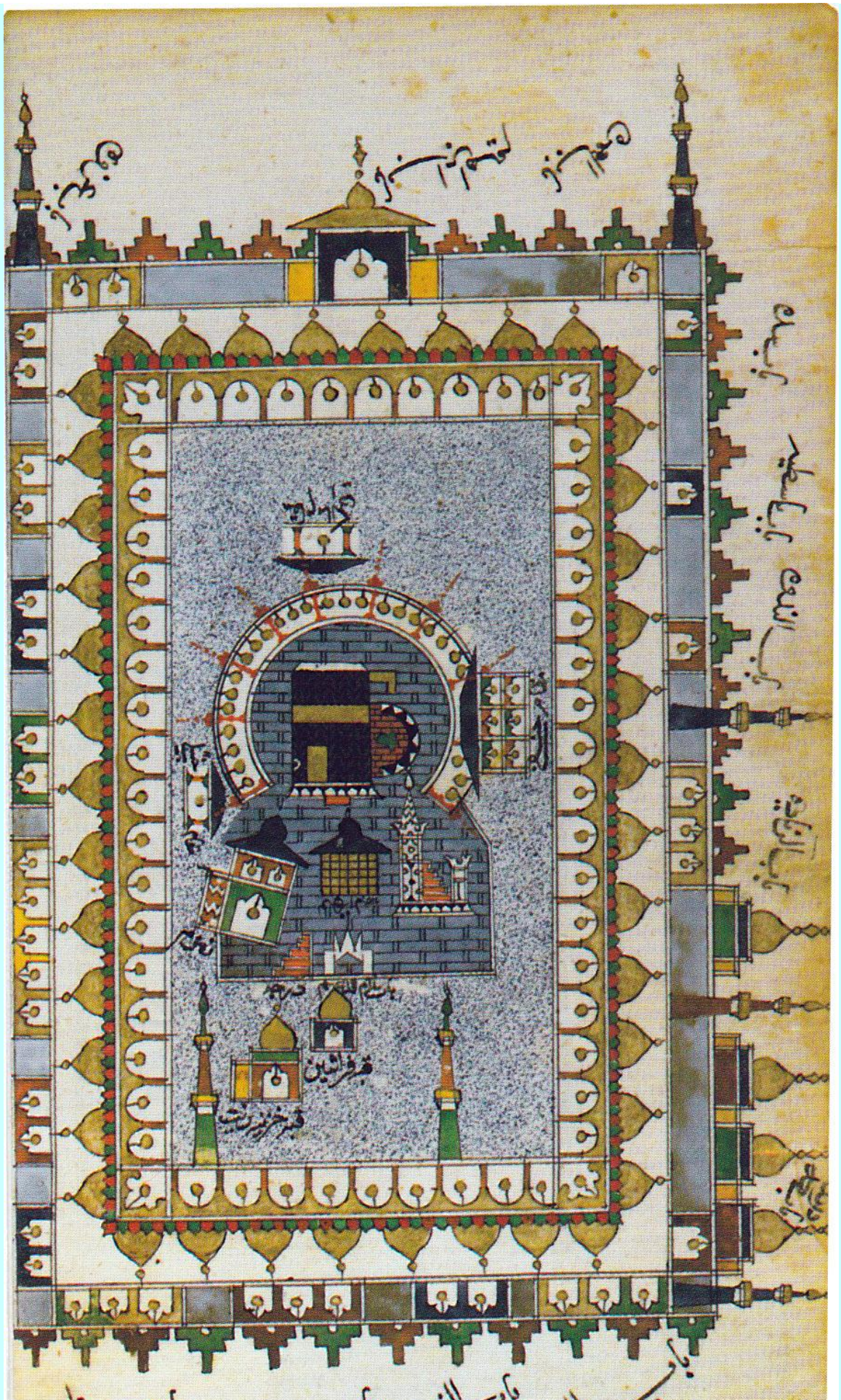

المحراب في التاريخ؟

وقد ذكر الشيخ طه الولي في كتابه "المساجد في الإسلام" أن أول من وضع المحراب في المسجد هو الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، من أجل تعيين اتجاه القبلة، وتحديد مكان وقوف الإمام في صلاة الجماعة؛ وذلك في المسجد النبوي في المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام.

ولربما كان محراب سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه مجرد علامة في الجدار، فقد اتفق المؤرخون على أن أول من أدخل المحراب المجوف في المسجد هو الراشد سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أثناء ولايته على المدينة المنورة، أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك؛ إذ قال السمهودي في وفاء الوفا بأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم: لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة – من قريش والأنصار والعرب والموالي – فقال لهم: تعالوا احضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غَيَّر عمرُ قبلتنا. فجعل لا ينزع حجرًا إلا وضع مكانه حجرًا!

ويرى المؤرخ المصري الدكتور أحمد فكري أن أول محراب أنشئ في الإسلام، هو محراب سيدي عقبة بن نافع رحمه الله في مدينة القيروان، بقوله: "وقد أجمع المؤرخون أنه في سنة خمسين للهجرة 50، خط عقبة بن نافع (فاتح المغرب) مسجد القيروان، وأبان مكان القبلة منه، وأقام محرابه فيه. وأن هذا المحراب ظل طوال السنين موضع إجلال القوم وتقديسهم؛ فلم يمسه أحد منهم بسوء، حتى إنه لما ارتد زيادة الله (ابن الأغلب) هدمه وألح في ذلك، لم يُجبه أحد إليه وحِيل بينه وبين هدمه؛ لما كان قد وضعه عقبةُ بنُ نافع ومن معه! (هذه الفقرة عن ويكي).

المحراب في فتاوى العلماء:

المانعون: قال الشيخ المنجد في موقعه:

ذهب بعض العلماء إلى أن اتخاذ هذه المحاريب بدعة، ويُنهى عنها، لما رواه الطبراني والبيهقي في سننه عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا هذه المذابح) يعني: المحاريب! صححه الألباني في صحيح الجامع.

ويجاب عن هذا الاستدلال بأن المحاريب في هذا الحديث ليست هي المحاريب التي في المساجد، وإنما المراد بذلك صدور المجالس، فهذا نهي من النبي صلى الله عليه وسلم عن التصدر في المجلس، لما يُخشى منه من حصول الرياء أو شيء من العجب في صاحبه.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": قلت: المحاريب صدور المجالس. انتهى.

وقال المناوي في فيض القدير: أي: تجنبوا تحري صدور المجالس، يعني التنافس فيها..

ووقع للإمام السيوطي أنه جعل هذا نهيًا عن اتخاذ المحاريب في المساجد والوقوف فيها وقال: خفي على قوم كون المحراب بالمسجد بدعة، وظنوا أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن في زمنه، ولا في زمن أحد من خلفائه؛ بل حدث في المئة الثانية مع ثبوت النهي عن اتخاذه...

ثم قال المناوي: أقول: وهذا بناء منه على ما فهمه من لفظ الحديث أن مراده بالمحراب ليس إلا ما هو المتعارف في المسجد الآن، ولا كذلك، فإن الإمام الشهير المعروف بابن الأثير قد نص على أن المراد بالمحاريب في الحديث صدور المجالس، واقتفاه في ذلك جمع، جازمين به، ولم يحكوا خلافه، منهم الحافظ الهيتمي وغيره.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن موسى الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى)!

وهذا الحديث إن صح، فالمراد بهذا النهي إذا اتخذت محاريب كمحاريب النصارى، فأما إن كانت ليست كمحاريب النصارى فلا يُنهى عنها.

وقد ألف الإمام السيوطى رسالته: (إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب)) مستشهدًا بحديث سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه كره الصلاة في المحراب، معللًا: إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب!

المجيزون:

في بحث للدكتور مسعود صبري على موقع أون إسلام جاء:

قال الحنابلة: اتخاذ المحراب مباح. نص عليه. وقيل: يستحب، أومأ إليه أحمد، واختاره الآجري وابن عقيل وابن الجوزي وابن تميم، ليستدل به الجاهل.

وكان أحمد يكره كل محدث، واقتصر ابن البناء عليه، فدل على أنه قال به.

وقال الزركشي في إعلام الساجد: كره بعض السلف اتخاذ المحاريب في المساجد. وعبارة الحنفية والمالكية تدل على إباحته: قال ابن عابدين الحنفي: إن الإمام (الراتب) لو ترك المحراب، وقام في غيره، يكره – ولو كان وسط الصف – لأنه خلاف عمل الأمة.

وقال الدسوقي المالكي: المشهور أن الإمام يقوم في المحراب حال صلاته الفريضة كيف اتفق.

وقال الشافعية: لا تكره الصلاة في المحراب، ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير. وهذا هو الذي ينبغي اعتماده: أن لا كراهة في اتخاذ المحراب في المسجد، بل ينبغي اعتماد ما قاله بعض الحنابلة من استحبابه، لما له من فوائد عدة، فهو دليل على جهة القبلة، لأي داخل للمسجد، بل حتى لمن هو خارج المسجد، ثم هو يوفر صفًّا يحتاج إليه المصلون في صلاة الجمعة ونحوها، فإن الإمام إذا صلى في المحراب بدأت الصفوف من خلفه، وإلا أخذ وحده صفًّا كاملًا.

وترك الرسول والخلفاء الراشدون إقامة المحاريب في زمانهم، لأنهم لم تبد لهم بها حاجة، ولم يقترحها أحد عليهم، كما اقترح المنبر على النبي، والترك إنما يكون بدعة إذا توافرت الدواعي على فعله في عصر النبوة وامتنع عن فعله؛ فأما مجرد الترك فلا، فكم من أشياء لم يفعلها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وفعلها الراشدون رضي الله تعالى عنهم، مثل توسعة مسجده عليه السلام، وبنائه بالحجارة المنقوشة، كما فعل عثمان، وأقره الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومثل اتخاذه أذانًا آخر بالزوراء يوم الجمعة، حين اتسعت المدينة وكثر الناس.

ولم أر عالمًا في عصرنا ينكر إقامة المحاريب في المساجد، بل استقر هذا منذ قرون؛ من غير نكير من أحد يعتد به.

وكره بعض العلماء الكتابة في المحراب: آية من القرآن أو نحوها. ونقل ذلك عن مالك. قال الزركشي: وجوزه بعض العلماء. وقال: لا بأس به لقوله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر....) التوبة:18، ولما روي من فعل عثمان بالمسجد النبوي (أنه بناه بالحجارة المنقوشة) ولم ينكر ذلك.

وهذا هو الذي نرجحه، ولم يزل المسلمون يكتبون آيات في المحاريب، ويزخرفونها، ولكن ينبغي الاعتدال في ذلك ما أمكن، حتى لا تشغل الإمام والمصلين خلفه.

وأفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

لم يزل المسلمون يعملون المحاريب في المساجد في القرون المفضلة وما بعدها؛ لما في ذلك من المصلحة العامة للمسلمين، ومن ذلك بيان القبلة، وإيضاح أن المكان مسجد!

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى عن حكم اتخاذ المحاريب في المساجد، وما الجواب عما روي من النهي عن مذابح كمذابح النصارى؟

فأجاب رحمه الله تعالى: اختلف العلماء رحمهم الله في اتخاذ المحراب هل هو سنة، أو مستحب، أو مباح؟ والذي أرى أن اتخاذ المحاريب مباح، وهذا هو المشهور من المذهب، ولو قيل باستحبابه لغيره لما فيه من المصالح الكثيرة، ومنها تعليم الجاهل القبلة: لكان حسنًا.

وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن مذابح كمذابح النصارى، أي: المحاريب: فهذا النهي وارد على ما إذا اتخذت محاريب كمحاريب النصارى، أما إذا اتخذت محاريب متميزة للمسلمين فإن هذا لا ينهى عنه!

وقال الشيخ صالح الفوزان:

وجود المحاريب ليس بدعة كما يقول بعض الناس؛ لأنها موجودة من العصور الأولى عند المسلمين، ولا تعرف القبلة إلا بها، فهي من عمل المسلمين جيلًا بعد جيل. وفيها مصلحة عظيمة وليست من البدع , ولكن المبالغة والتكلف في عمل المحاريب هذا هو الذي لا يجوز، أما وجود محراب يسير يدل على القبلة من غير مبالغة في بنائه أو نقوش تجعل فيه فلا بأس، والمصلحة تقتضي وجوده.

وفي فتوى للشيخ عبد الله الجبرين إجابة عن سؤال وصله جاء:

سؤال: لقد حصل في دولة تنزانيا مشكلة كبيرة ونزاع بين طلبة العلم والمشايخ حول حكم الصلاة في المحراب: هل يجوز ذلك أم لا؟ حيث يرى الطلبة أن وجود المحراب للمسجد مكروه بل هو بدعة، ويجب الإنكار بإزالة جميع المحاريب في مساجد البلد، ما أدى إلى إثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين في الدولة، حتى إن الشباب المتحمسين هجروا المساجد التي لها محاريب، وقام الشباب بهدم بعض المحاريب لبعض المساجد، فأرجو من سماحتكم الفتوى المعتمدة في هذه القضية والمسألة بالأدلة، والتوجيه الصحيح إلى كيفية بناء المساجد، حيث طلب مني سؤال أهل العلم في المسألة!

الجواب: هذه المحاريب جعلت في المساجد حتى تميزها، ويفرق بها بين المسجد والمنازل الأخرى، وكذلك تعرف بها جهة القبلة، حيث إن المحراب يكون في الجهة التي هي قبلة المصلين، وقد ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالى: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا) وقوله تعالى: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب)، وقوله تعالى: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) فهو الموضع الذي يصلي فيه الإمام إذا ضاق المسجد، والذي يوضع فيه المنبر، وقد كان منبر موضوعًا في محراب، وكان يخطب عليه، وله ثلاث درجات، وصلى مرة على الدرجة الأولى ليسمع الناس القراءة، وإذا أراد السجود نزل وسجد في المحراب، فهؤلاء الذين أنكروا هذه السنة واعتقدوه بدعة محدثة خُيل إليهم محاريب الكنائس، وظنوا أنها مماثلة لمحاريب المساجد، وقد نص العلماء على أن القبلة هي ما تحدده تلك المحاريب، وذكروا أن المسافر إذا وجد محاريب إسلامية في البرية عمل بها في تحديد القبلة، والله أعلم. قاله وأملاه: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

المساجد في البيوت

المساجد في البيوت

تمنيت ذات يوم أمنية، رجوت أن يلتقطها رجل أعمال ذكي يربح منها، وينفع المسلمين، ولا أزال أتمناها، طمعًا في ثوابها:

فقد لاحظت أن بيوتنا تحوي مكانًا لكل شيء؛ إن لم يكن أكثر من مكان واحدًا: فثم مكان لاستقبال الضيوف، وآخر لجلوس أهل البيت، وثالث للنوم، ورابع للطبخ، وخامس لقضاء الحاجة، وسادس للخدم، وسابع لـ.... وثامن وتاسع وعاشر.. إلا للصلاة!

فنحن نصلي كيفما اتفق/ في أي مكان/ على أي شكل: أحيانًا أمام التلفزيون حتى لا يفوتنا مشهد/ أحيانًا بجوار غرفة النوم حتى (ناخد حس الواد اللي نايم)/ أحيانًا قريبًا من المطبخ حتى لا (يفور) الطعام.. وهكذا..

وحين نجهز بناتنا للزواج، فإننا نشتري للعروس (من الإبرة للصاروخ) إن استطعنا؛ لكننا أبدًا لا نفكر في مسجد البيت، أو ركن الصلاة في الشقة، ولا في إكسسوارات الصلاة: ملابس صلاة خاصة بنساء البيت حتى لا يقابلن الله تعالى (بريحة البصل)/ سجاجيد للصلاة إظهارًا للعناية/ مصاحف كافية أو تزيد عن العدد؛ لاحتمال عقد مقرأة صغيرة/ مقاعد مصاحف/ (فاصل خشبي أنيق) يعزلنا عن الجو المحيط، ويضفي خصوصية على المكان/ هذا فضلاً عن أن ننظف المكان ونطهره ونعطر ونطيبه ونعنى به!

فهل يبدأ أحدًا بإضافة (مسجد الشقة) للأثاث، إظهارًا لعظيم شعائر الله تعالى، وحتى لا نجعل بيوتنا قبورًا؟!

ما حكاية مساجد البيوت إذن؟ أليست من السنن المهجورة التي تحتاج إحياءً، لنطهر بيوتنا، ونباركها، ونطرد منها الشياطين؟

بوب الإمام البخاري في صحيحه/ كتاب الصلاة/ أبواب استقبال القبلة/ باب المساجد في البيوت (وسأختصر وأحذف الأسانيد): باب المساجد في البيوت وصلى البراء بن عازب في مسجده في داره جماعة: قال: حدثنا..... أنسيدنا عتبان بن مالك رضي الله عنه – وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ممن شهد بدرًا من

الأنصار– أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم، فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني، فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى!

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سأفعل إن شاء الله) فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر – حين ارتفع النهار – فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أين تحب أن أصلي من بيتك)؟

فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكبر، فقمنا فصفنا، فصلى ركعتين، ثم سلم.. الحديث!

قال في الفتح:

وفي هذا الحديث من الفوائد: إمامة الأعمى، وإخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة ولا يكون من الشكوى، وأنه كان في المدينة مساجد للجماعة سوى مسجده صلى الله عليه وسلم، والتخلف عن الجماعة في المطر والظلمة ونحو ذلك، واتخاذ موضع معين للصلاة..

وأما النهي عن إيطان موضع معين من المسجد ففيه حديث رواه أبو داود، وهو محمول على ما إذا استلزم رياء ونحوه، وفيه تسوية الصفوف، وأن عموم النهي عن إمامة

الزائر من زاره مخصوص بما إذا كان الزائر هو الإمام الأعظم فلا يكره، وكذا من أذن له صاحب المنزل.

وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أو وطئها..

ويستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب؛ هذا فيه نظر، والصواب أن مثل هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لما جعل الله فيه من البركة، وغيره لا يقاس عليه، لما بينهما من الفرق العظيم، ولأن فتح هذا الباب قد يفضي إلى الغلو والشرك كما قد وقع من بعض الناس؛ نسأل الله العافية!

ويحتمل أن يكون عتبان رضي الله عنه إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القبلة بالقطع، وفيه إجابة الفاضل دعوة المفضول، والتبرك بالمشيئة والوفاء بالوعد، واستصحاب الزائر بعض أصحابه إذا علم أن المستدعي لا يكره ذلك، والاستئذان على الداعي في بيته وإن تقدم منه طلب الحضور، وأن اتخاذ مكان في البيت للصلاة لا يستلزم وقفيته؛ ولو أطلق عليه اسم المسجد!

وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم، ليستفيدوا منه، ويتبركوا به هذا غلط. والصواب منع ذلك كما تقدم في غير النبي صلى الله عليه وسلم سدًّا للذريعة المفضية إلى الشرك، والتنبيه على من يظن به الفساد في الدين عند الإمام على جهة النصيحة ولا يعد ذلك غيبة، وأن على الإمام أن يتثبت في ذلك، ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل، وفيه افتقاد من غاب عن الجماعة بلا عذر، وأنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد، وأنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد!

وترجم عليه البخاري غير ترجمة الباب والذي قبله: الرخصة في الصلاة في الرحال عند المطر، وصلاة النوافل جماعة، وسلام المأموم حين يسلم الإمام، وأن رد السلام على الإمام لا يجب، وأن الإمام إذا زار قومًا أمهم، وشهود عتبان بدرًا، وأكل الخزيرة، وأن العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى ينجي صاحبه إذا قبله الله تعالى، وأن من نسب من

يظهر الإسلام إلى النفاق ونحوه بقرينة تقوم عنده لا يكفر بذلك، ولا يفسق؛ بل يعذر بالتأويل!

وقد وردت فتوى مفصلة في إسلام ويب ردًّا على سؤال عن مساجد البيوت، جاء فيها (باختصار وتصرف مني):

..... فقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في بناء المساجد وحث عليه؛ فعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بنى لله مسجدًا بنى الله له مثله في الجنة) متفق عليه. ووقع في بعض الروايات في غير الصحيح زيادة: (ولو كمفحص قطاة) قال الشوكاني رحمه الله: والتنكير في (مسجد) للشيوع، فيدخل فيه الكبير والصغير!

وحمل ذلك العلماء على المبالغة، لأن المكان الذي تفحصه القطاة لتضع فيه بيضها، وترقد عليه، لا يكفي مقداره للصلاة. وقيل: هي على ظاهرها، والمعنى: أنه يزيد في مسجد قدرًا يحتاج إليه تكون تلك الزيادة هذا القدر، أو يشترك جماعة في بناء مسجد، فيقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر!

وأما اتخاذك مكانا تخصه بالصلاة في بيتك فهو مشروع، وقد دل عليه عمل كثير من السلف، وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله طرفًا من أدلة هذه المسألة، في شرحه لقول البخاري في صحيحه: باب المساجد في البيوت:

قال رحمه الله: مساجد البيوت، هي أماكن الصلاة منها، وقد كان من عادة السلف أن يتخذوا في بيوتهم أماكن معدة للصلاة فيها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد بيت ميمونة رضي الله تعالى عنها، وهي مضطجعة إلى جانبه، وهي حائض.

وروى.... عن بلال رضي الله تعالى عنهأنه جاء إلى النبي يؤذنه بالصلاة، فوجده يتسحر في مسجد بيته. خرجه الإمام أحمد.

وروى محمد بن سعد أبيه قال: أول من اتخذ مسجدًا في بيته يصلي فيه عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه، وهذه المساجد لا يثبت لها شيء من أحكام المساجد المسبلة، فلا تجب صيانتها عن نجاسة ولا جنابة ولا حيض، هذا مذهب أصحابنا وأكثر الفقهاء. انتهى.

وبه تعلم أنه لا حرج عليك في تخصيص مكان معين تصلي فيه في بيتك، كما فعل عتبان بن مالك الصحابي رضي الله تعالى عنهحين أضر، وحال السيل بينه وبين المسجد، فاتخذ مسجدًا في بيته يصلي فيه، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه، كما في الصحيحين.

وليس معنى هذا أن هذه المساجد في البيوت لها نفس فضيلة المساجد المسبّلة، وأن الصلاة فيها كالصلاة في المساجد الموقوفة، ولا أنها يصدق عليها فضل بناء المساجد الوارد في الحديث، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأما إقامة الجماعة للصلوات في مساجد البيوت فلا يحصل بها فضيلة الصلاة في المساجد، وإنما حكم ذلك حكم من صلى في بيته جماعة وترك المسجد. انتهى.

وكتب الشيخ محمد جميل حمامي بحثًا خصيبًا عن: مساجد البيوت: السنة الغائبة: جمع فيه ما استطاع من أقوال السلف، والخلف، وأحسن في تحرير الأمر، فكان مما كتب (بتصرف واختصار كبيرين):

مسجد البيت: هو المكان الذي يعده صاحب البيت ويهيئه لصلاة النوافل، وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل. واتخاذه في البيوت سُنة مستحبة، للرجال و النساء سواء.

وهو إما أن يكون غرفة كاملة من البيت تتخذ مسجدًا، أو موضعًا معينًا في إحدى نواحي غرفة من غرف البيت. قال ابن عابدين: يُندب للرجل أيضًا أن يخصص موضعًا من بيته لصلاة النافلة. (حاشية ابن عابدين – 441/2)

ومن أدلة مشروعيته:

- عموم قول الله عز وجل: {واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين} يونس (87).

- ما جاء في صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا من الأنصار أرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعال فخط لي مسجدًا في داري، أصلي فيه؛ وذلك بعد ما عمي، فجاء صلى الله عليه وسلم ففعل.

- الأحاديث الكثيرة التي بها الحث على صلاة النافلة في البيت ومنها:

أ) في الموطأ وغيره عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة).

ب) وعن عبد الله بن سعد رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما أفضل: الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: (ألا ترى إلى بيتي ما أقربه من

المسجد!؟ فلأن أصلي في بيتي أحب إلي من أن أصلي في المسجد؛ إلا أن تكون صلاة مكتوبة).صحيح، صحيح سنن أبي داود وغيره.

ج) قال في زاد المعاد: هدي النبي صلى الله عليه وسلم فعل السنن والتطوع في البيت إلا لعارض، كما أن هديه كان فعل الفرائض في المسجد إلا لعارض من سفر أو مرض أو غيره مما يمنعه من المسجد.

- **ورد عن كثير من السلف أنهم اتخذوا في بيوتهم مساجد، يخصصونها للذكر والنوافل؛ ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها في قصة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة، أنه ابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن! وعليه فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو أول من بنى مسجدًا في بيته.**

وفي صحيح سنن أبي داود وغيره عن سيدي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من سره أن يلقى الله عز وجل غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس، حيث ينادى بهن، فإن الله عز وجل شرع لنبيه صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى. وإني لا أحسب منكم أحدًا إلا له مسجد يصلي فيه في بيته، فلو صليتم في بيوتكم، وتركتم مساجدكم، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم. وما من عبد مسلم يتوضأ، فيحسن الوضوء، ثم يمشي إلى صلاة، إلا كتب الله عز وجل له بكل خطوة يخطوها حسنة، أو يرفع له بها درجة، أو يكفر عنه بها خطيئة. ولقد رأيتنا نقارب بين الخطا. ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق، معلوم نفاقه. ولقد رأيت الرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف.

وهذان سيداي عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأبو مجلز يتخذان مسجدًا في داريهما، كما روى ذلك ابن ابي شيبة في المصنف، وكذا سيداتنا جويرية وزينب وأم حميد رضي الله عنهن، اتخذن مسجدًا في بيوتهن، كما روى الإمام مسلم في صحيحه، وغيره.

وكذا ورد عن ساداتنا أبي طلحة الأنصاري، والبراء بن عازب، وعبد الله بن سلام، والتابعي إبراهيم النخعي رضي الله عنهم اتخذوا في بيوتهم مساجد!

ومن أدلة مشروعيته:

كلا، ليس لمسجد البيت حكم المساجد العامة، فلا يسن للداخل إليه أن يصلي ركعتين تحية للمسجد، ولا يكون فيه اعتكاف، ويمكث فيه الحائض والجنب، ويدخله من أكل ثومًا أو بصلًا، ويجوز بيعه إذا بيع البيت؛ فإن اتخاذ تلك البقعة مكانًا مخصصًا للصلاة في البيت، لم تصيره وقفًا لله يحرم بيعه.

ولكن يُستحب أن يصلي المسلم ركعتين عند الدخول إلى البيت، وركعتين عند الخروج منه؛ لما ورد في الصحيحة عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك من مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين يمنعانك من مدخل السوء).

ليتنا نحيي هذه السنة العظيمة في بيوتنا، لينشأ أبناؤنا على الركوع والسجود، وتعظيم المساجد، والقيام بحق النوافل، وملء البيوت بالذكر.. والله المستعان!

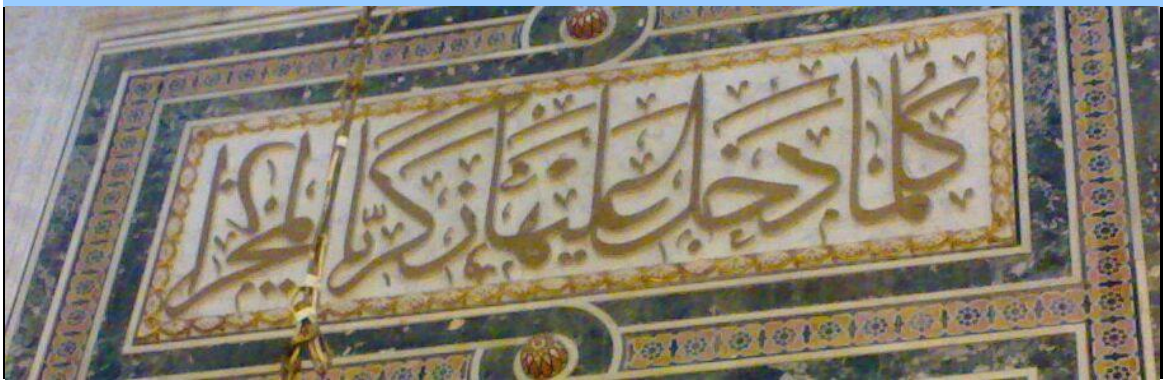

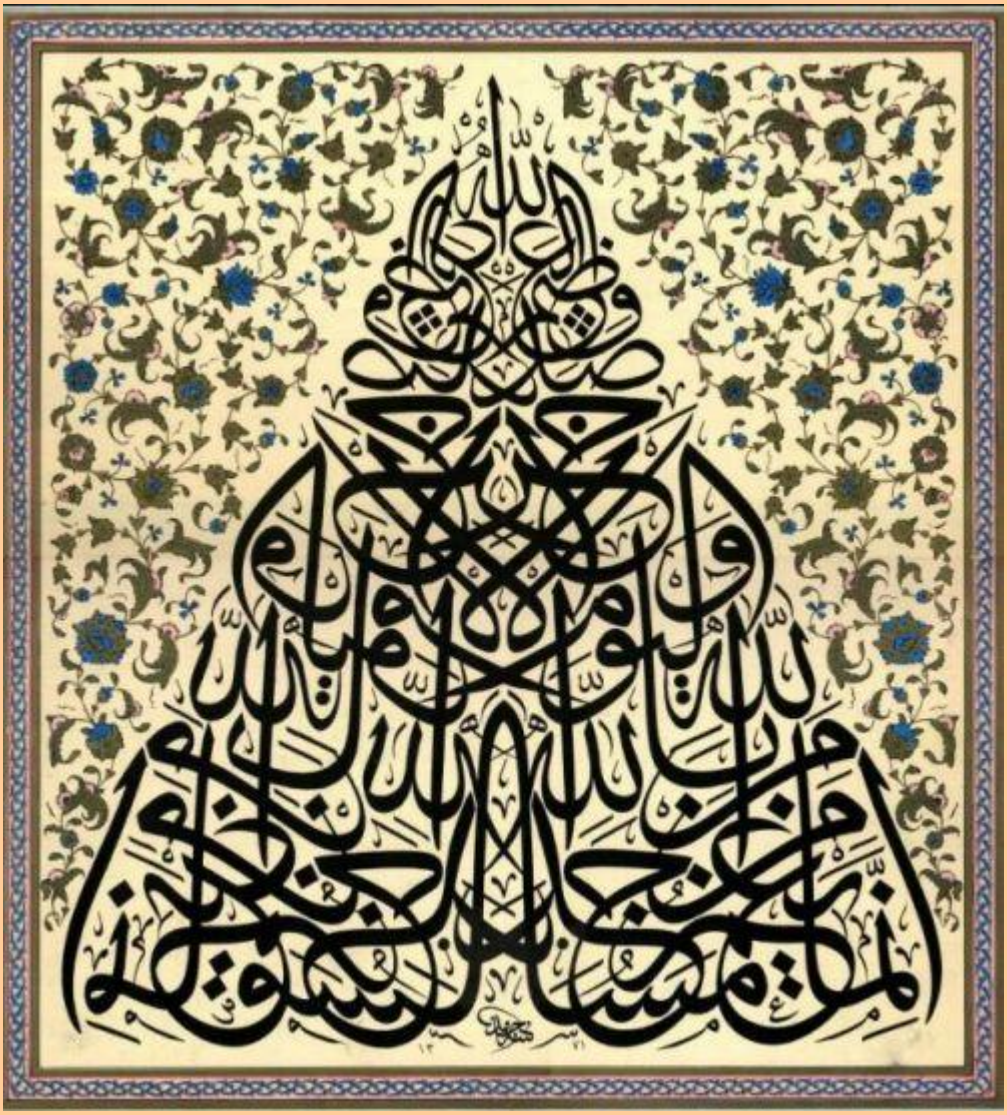

أهل المساجد

أهل المساجد

يعتاد المساجدَ طيوف شتى من البشر لا يعلم ما في قلوبهم إلا الله تبارك وتعالى:

- فمنهم الذي تعلق قلبه بها، يجد فيها أنس قلبه، وراحة روحه..
- ومنهم من يحافظ على أداء عباداته فيها، إرضاء لربه تعالى..
- ومنهم الذي يزورها بصحبة والده أو وليه عن غير قصدٍ منه ولا رغبة..
- ومنهم من يدخلها للقاء أحد، أو عقد صفقة..
- ومنهم من يزورها في الجمع والمناسبات، لا يكاد يزيد..
- ومنهم من يدخلها لينام، أو يتقي الحر والبرد..
- ومنهم من يدخلها سياحة، وتعرفًا، وإزجاء للوقت!
- ومنهم من يدخلها ليتجسس على أهلها، ويرصد أنفاسهم..
- ومنهم المنافق الذي يزورها تقيةً، يظهر غير ما يبطن.. وغير ذلك

وقد لحظت السنة المشرفة هذا التنوع في رواد المساجد، كما لاحظه العلماء، والفقهاء، وشهد له الواقع، وإن كان أهل الحديث قد ضعّفوا النص الدارج على الألسنة الذي حسنه الترمذي عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، يرفعه: (إذا رأيتُم الرجلَ يتعاهد المسجدَ، فاشهدوا له بالإيمانِ، فإن اللهَ يقول: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة) باعتبار أن المنافقين كانوا يحافظون على الذهاب للمسجد زمانَه صلى الله عليهم وسلم، وإن كان المعنى يصح إن أخذنا بالظاهر، فإنا لم نؤمر أن نشق عن البواطن..

وهو الذي أميل إليه..

ولأتناول هنا شرائح أهل المساجد وأحوالهم، كما وردت في سنة سيدي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا:

هناك المتعلقون بالمساجد، المحبون لها، المرابطون بها:

ففي الحديث المتفق عليه عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)!

وهناك من لا يبالون بالظلام والوعر، والبرد والحر، للوصول للمسجد:

ففي الترمذي وأبي داود وغيرهما عن سيدي بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة).

وفي صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إن الله ليضيء للذين يتخللون إلى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة)

ومثله حديث صحيح الترغيب، عن سيدي أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من مشى في ظلمة الليل إلى المساجد آتاه الله نورا يوم القيامة)!

وفي مسلم عن سيدي أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي الله تعالى عنه قال:

كان رجلٌ، لا أعلمُ رجلًا أبعدَ من المسجدِ منهُ، وكان لا تُخطئُه صلاةٌ، فقيل لهُ: لو اشتريتَ حمارًا تركبَه في الظلماءِ وفي الرمضاءِ!؟

قال ما يسرني أنَّ منزلي إلى جنبِ المسجدِ! إني أريدُ أن يُكتبَ لي ممشايَ إلى المسجدِ، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي!

فقال رسول اللهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم: (قد جمع اللهُ لك ذلك كلَّهُ)!

وهناك من يواجهون الحصار والعنت والتضييق الأمني للوصول للمسجد:

وقد رأينا في واقعنا كيف يحرص الفلسطينيون على الصلاة في الأقصى وما يفعله المجرمون الصهاينة من منعهم، وإرهابهم وإقصائهم عنها، وتحديدهم لأعمار معينة للوصول ومنع الباقين!

ورأينا من يدخلون بالبطاقات الإلكترونية، ويعرفون برقابة المخبرين، ولا يبالون!

ورأينا دعاة حصرت دعوتهم كليًّا، أو في مسجد بعينه، وحرموا من الدعوة في أية مساجد أخرى! (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها)! زحسبنا الله ونعم الوكيل!

الناس يتفاوتون حرصًا على المساجد ووفودًا إليها:

ففي صحيح الجامع، وصحيح الترغيب وغيرهما عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (تقعد الملائكة على أبو اب المساجد يوم الجمعة، فيكتبون الأول والثاني، والثالث، حتى إذا خرج الإمام، رفعت الصحف)!

وفي صحيح الترغيب وغيره عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد، فيكتبون من جاء من الناس على منازلهم: فرجل قدّم جزورًا، ورجل قدم بقرة، ورجل قدم شاة، ورجل قدم دجاجة، ورجل قدم بيضة، قال: فإذا أذن المؤذن، وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف، ودخلوا المسجد يستمعون الذكر)!

ومما ورد عن الحرص والمسابقة في الطاعة بالمسجد ما ورد في الموطأ، وصحيح سنن النسائي وغيرهما، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة، وصلى بصلاته ناس، ثم صلى الليلة القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم، وذلك في رمضان)!

ومن المبشرات للحريصين ما ورد في صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء، كتب الله له عتقًا من النار) والحديث حسن دون قوله: (لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء).

ويتفاوتون تأثرًا بما يقرؤون في الصلاة:

ففي سورة التوبة: 124–125 يقول تبارك تعالى: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون* وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم، وماتوا وهم كافرون)!

وفي سورة فصلت:44 يقول عز وجل: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر، وهو عليهم عمى)!

وفي صحيح الترغيب عن سيدنا بهز بن حكيم رضي الله تعالى عنه وعن أبيه وجده، قال: أمنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير، فقرأ المدثر، فلما بلغ: (فإذا نقر في الناقور) خر ميتًا!

وبعضهم يجتهد في المكث والعبادة بالمسجد:

في صحيح الترمذي عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله تعالى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ عليها وَهي في مسجدٍ، ثمَّ مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بها قريبًا من نصفِ النهارِ، فقال لَها صلى الله عليه وسلم: (ما زلتِ على حالك) قالت: نعم. فقال صلى الله عليه وسلم: (ألاَ أعلمك كلماتٍ تقولينها؟: سبحانَ الله عددَ خلقه، سبحانَ الله عددَ خلقه، سبحانَ الله عددَ خلقه، سبحانَ الله رضا نفسهِ، سبحانَ الله رضا نفسهِ، سبحانَ الله زنةَ عرشهِ، سبحانَ الله زنةَ عرشهِ، سبحانَ الله زنةَ عرشهِ، سبحانَ الله مدادَ كلماتهِ، سبحانَ الله مدادَ كلماتهِ، سبحانَ الله مدادَ كلماتهِ)!

ومنهم من يتحين جماعة يصلي بينهم:

ففي البخاري عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري رحمه الله ورضي عنه قال: خرجت مع عُمَر بن الخطابِ رضي الله عنه ليلة في رمضانَ إلى المسجدِ، فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرقون، يُصلي الرجلُ لنفسهِ، ويُصلي الرجلُ فيصلي بصلاتهِ الرهطُ، فقال عُمرُ:

إني أرى لو جمعتُ هؤلاءِ على قارئٍ واحدٍ لكان أمثلَ!

ثم عزمَ فجمعهم على أُبي بن كعبٍ، ثم خرجتُ معهُ ليلةً أخرى والناس يصلونَ بصلاةِ قارئهم، قال عمرُ: نعمَ البدعةُ هذهِ، والتي ينامونَ عنها أفضلُ منَ التي يقومونَ، يريدُ آخرَ الليلِ، وكان الناسُ يقومونَ أولهُ!

وفي فتاوى العلائي بسند صالح للاحتجاج به عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فإذا الناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد، فقال ما هؤلاء؟ فقيل هؤلاء ناس ليس معهم قرآن، وأبي بن كعب يصلي، وهم يصلون بصلاته! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أصابوا ونعم ما صنعوا)!

ومنهم من يأتي للتعلم، والقرب من أهل الخير:

ففي صحيح دلائل النبوة عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عاشرَ عشرةٍ في مسجدِ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أبو بَكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وابنُ مسعودٍ وحذيفةُ وأبو سعيدٍ الخدريُّ ورجلٌ آخرُ سماهُ، وأنا، فجاءَ فتًى منَ الأنصارِ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثمَّ جلسَ، فقال: يا رسولَ الله: أيُّ المؤمنينَ أفضلُ؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أحسنُهم خُلقًا)!

قال: أيُّ المؤمنينَ أَكيسُ؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أَكثرهم للموتِ ذكرًا، أو أحسنهم لهُ استعدادًا قبل أن ينزلَ بِهم؛ أولئك الأَكياسُ)! الحديث..

ومنهم من يأتي للذكر، والاستغفار والدعاء:

ففي مسلم عن سيدة النساء عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم! أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك؛ أنت كما أثنيت على نفسك).

وفي مسلم عن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال:

خرج معاويةُ على حلقةٍ في المسجدِ. فقال ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكرُ اللهَ.

قال: آللهِ! ما أجلسكم إلا ذاك؟

قالوا: واللهِ! ما أجلسَنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أقلَّ عنه حديثًا مني. وإنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم خرج على حلقةٍ من أصحابِه. فقال: (ما أجلَسَكم)؟

قالوا: جلسْنا نذكرُ اللهَ ونحمدُه على ما هدانا للإسلامِ، ومنَّ به علينا.

قال صلى الله عليه وسلم: (آللهِ! ما أجلسَكم إلا ذاك)؟

قالوا واللهِ! ما أجلسَنا إلا ذاك.

قال صلى الله عليه وسلم: (أما إني لم أستحلِفْكم تهمةً لكم؛ ولكنه أتاني جبريلُ فأخبرَني أنَّ الله عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكةَ)!

ومنهم من يأتي للتجسس وتتبع الناس:

ففي مسلم وغيره عن سيدي حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه عن رجل كانَ رجل ينقل الحديث إلى الأمير:

كنَّا جلوسًا معَ حذيفةَ في المسجدِ، فجاءَ رجل حتى جلس إلينا، فقيل لحذيفةَ: إنَّ هذا يرفعُ إلى السلطان أشياءَ!

فقالَ حذيفةُ رضي الله تعالى عنه؛ إرادةَ أن يُسمعه:

سمِعتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يدخل الجنةَ قتات).

والقتات هو: الذي يتسمع كلام الناس من حيث لا يعلمون، سواء أَنمَّها أَم لم يُنمها، أو هو من يُبلغ كلامَ الناس على جهة الإفساد!

وما أكثر المخبرين والجواسيس في زماننا، في ظل الأنظمة الجبرية القهرية المتعسفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

ويأتيها الموعوك والمحووج:

ففي البخاري أن سيدي أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري قال يومًا لزوجه؛ رضي الله تعالى عنهما:

لقدْ سمعت صوتَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضعيفًا، أعرف فيه الجوعَ، فهل عندك من شيءٍ؟

فأخرجتْ أقراصًا من شعيرٍ، ثم أخرجتْ خمارًا لها، فلفت الخبزَ ببعضه، ثم دستهُ تحتَ ثَوبي، وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم!

قال أنس رضي الله تعالى عنه: فذَهبتُ به، فوجَدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناسُ، فقمتُ عليهم، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

(أرسلكَ أبو طلحةَ). فقُلتُ: نعمْ!

قال (بطعامٍ). قال فقلتُ نعمْ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لمن معَه (قوموا). فانطَلَق وانطلَقتُ بينَ أيديهم، حتى جئتُ أبا طلحةَ، فقال:

يا أمّ سُليمٍ، قد جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناسِ، وليس عِندنا من الطعام ما نُطعمهم!

فقالتْ: الله ورسوله أعلمُ!

قال فانطَلَقَ أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأقبَل أبو طلحةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى دَخَلا، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (هلمي يا أم سُليم، ما عندك).

فأتت بذلك الخبز، فأمَر به فَفُتَّ، وعصرتْ أُم سُليمٍ عُك لها فأدَمته، ثم قال فيه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما شاء اللهُ أن يقولَ، ثم قال:

(ائذن لعشرة) فأذِن لهم، فأكَلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا!

ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا!

ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذِن لهم فأكَلوا حتى شبِعوا ثم خرجوا..

ثم أذِن لعشرة، فأكل القومُ كلُّهم وشبعوا، والقومُ ثمانونَ رجلًا.

وفي مسلم عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في المسجد، يتقلب ظهرًا لبطن، فأتى أم سليم فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في المسجد، يتقلب ظهرًا لبطن، وأظنه جائعًا. وساق الحديثَ.....

وفي سنن أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينا أنا أوعك في المسجد إذ جاء رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد فقال: (من أحس الفتى الدوسي؟ من أحس الفتى الدوسي؟ من أحس الفتى الدوسي)؟

فقال رجل: يا رسول اللهِ: هو ذا يوعك في جانب المسجد، فأقبل صلى الله عليه وسلم يمشي حتى انتهى إلي، فوضع يده علي، فقال لي معروفًا، فنهضت، فانطلق يمشي حتى أتى مقامه الذي يصلي فيه، فأقبل عليهم ومعه صفان من رجال وصف من نساء، أو صفان من نساء وصف من رجال، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن أنساني الشيطان شيئًا من صلاتي فليسبح القوم، وليصفق النساء) الحديث.

ويأتيه الرجل العابر الذي لا يريد إلا الجماعة والأجر:

ففي سنن أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا:

(صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ تزيدُ على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسًا وعشرين درجةً؛ وذلك بأنَّ أحدَكم إذا توضأ، فأحسنَ الوضوءَ، وأتى المسجدَ لا يريد إلا الصلاةَ، ولا ينهَزُه إلا الصلاةُ، لم يخطُ خطوةً إلا رُفِعَ له بها درجةٌ، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ؛ حتى يدخلَ المسجدَ، فإذا دخل المسجدَ كان في صلاةٍ ما كانت الصلاةُ هي تحبسُه، والملائكة يصلون على أحدِكم، ما دام في مجلسِه الذي صلَّى فيه، ويقولون: اللهمَّ اغفرْ له، اللهم ارحمه، اللهمَّ تب عليه، ما لم يؤذ فيه، أو يُحدِثُ فيه)!

ويأتيه الرجل العابر الذي لا يطيق لزوم الجماعة لعذر:

ففي سنن أبي داود عن سيدي عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه:

قلت: يا رسول اللهِ: إن لي بادية أكون فيها، وأنا أصلي فيها بحمد الله، فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد!

فقال صلى الله عليه وسلم: (انزل ليلة ثلاث وعشرين)!

فقلت لابنه: كيف كان أبوك يصنع؟

قال: كان يدخل المسجد إذا صلى العصر، فلا يخرج منه لحاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد، فجلس عليها، فلحق ببادیته!

ويأتيه الرجل الأمي الجافي قليل المعرفة بالدين والدنيا:

ففي مسلم عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال:

بينما نحن في المسجدِ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌّ، فقام يبولُ في المسجدِ! فقال أصحابُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: مَهْ مَهْ!

قال قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم لا تُزرموه، دعوهُ!

فتركوه حتى بال، ثم إن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: (إن هذه المساجد لا تَصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذَرِ؛ إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاةِ، وقراءةِ القرآنِ)، أو كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. قال فأمر رجلًا من القومِ، فجاء بدَلو من ماءٍ، فشَنَّهُ عليه.

وفي البخاري وغيره عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال:

بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد؟ وهو متكئ بين ظهرانيهم!

فقلنا له: هذا الرجل الأبيض المتكئ!

فقال له الرجل: يا بن عبد المطلب!

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني قد أجبتك)!

قال الرجل يا محمد إني سائلك فمشدد عليك في المسألة!

قال صلى الله عليه وسلم: (سل عما بدا لك)!

قال: أنشدك بربك ورب من قبلك: آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم)!

قال: فأنشدك الله: آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم)!

قال: فأنشدك الله: آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم)!

قال: فأنشدك الله: آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم)!

فقال الرجل: إني آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر!

وفي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا:

دخل أعرابي المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد، ولا تغفر لأحد معنا!

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (لقد احتظرت واسعًا)!

ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فشجّ (فرّج ما بين رجليه) يبول، فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقام إليّ – بأبي وأمي – فلم يؤنب، ولم يسب، فقال: (إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بني لذكر الله، وللصلاة) ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله!

ويأتيه أحيانًا حتى من لم يحسن الصلاة:

ففي البخاري وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رجلًا دخل المسجد، ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جالِسٌ في ناحِيةِ المسجدِ، فصلَّى ثم جاء فسلَّم عليه، فقال له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (وعلَيكَ السلامُ، ارجع فصل فإنك لم تصل).

فرجع فصلى ثم جاء فسلم، فقال: (وعليكَ السلامُ، فارجع فصلِّ، فإنك لم تصل).

فقال في الثانيةِ، أو في التي بعدها: علمني يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم:

(إذا قمت إلى الصلاة فكبر، واقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)!

ويكون لأهله جلبة في بعض الأحوال:

ففي فتح الباري والترمذي وأصل صفة الصلاة والنص له، بإسناد صحيح عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى لما سئل: أكان ابن الزبير يؤمن على إثر أم القرآن؟ قال: نعم، ويؤمن من وراءه حتى إن للمسجد للجة، وكان أبو هريرةَ يدخلُ المسجدَ وقد قام الإمامُ قبلَه فيقولُ ويناديهِ: لا تسبقني بآمين. قال عطاءٌ: ولقد كنت أسمعُ الأئمةَ يقولون هم أنفسهم على أثر أم القرآن: آمين، هم ومَن وراءَهم؛ حتى إنَّ للمسجد للجة!

ويركز بعضهم على المقاصد الظاهرة من المسجد:

ففي صحيح الترغيب عن التابعي عبد الله الروميرحمه الله تعالى بسند حسن موقوف على سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال:

يا أهل السوق! ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟

قال رضي الله تعالى عنه: ذاك ميراث رسول الله يقسم، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟

قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد!

فخرجوا سراعًا، ووقف لهم حتى رجعوا، فقال لهم رضي الله تعالى عنه: ما لكم؟

فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئًا يقسم؟

فقال لهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟

قالوا: بلى؛ رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام!

فقال لهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ويّ فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم!

وبعضهم عجلان معذور، لا يصبر على قراءة وصلاة طويلة:

ففي الصحيح المسند للوادعي وشرح ثلاثيات أحمد للسفاريني ونيل الأوطار، وغيرها بسند صحيح على شرط الشيخين عن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال:

كان معاذ بن جبل يؤم قومه، فدخل حرام رضي الله تعالى وهو يريد أن يسقي نخله، فدخل المسجد ليصلي مع القوم، فلما رأى معاذًا رضي الله تعالى طول تجوز في صلاته، ولحق بنخله يسقيه.

فلما قضى معاذ رضي الله تعالى الصلاة قيل له: إن حرامًا رضي الله تعالى دخل المسجد، فلما رآك طولت تجوز في صلاته، ولحق بنخله يسقيه!

فقال: إنه منافق؛ أفعجل عن صلاته؛ من أجل سقي نخله؟

فجاء حرام إلى النبي صلى الله عليه وسلم – ومعاذ عنده – فقال: يا نبي الله: إني أردت أن أسقي نخلًا لي، فدخلت المسجد لأصلي مع القوم، فلما طول تجوزت، ولحقت بنخلي أسقيه، فزعم أني منافق!

فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على معاذ رضي الله تعالى، فقال: (أفتان أنت؟ أفتان أنت؟ لا تطول بهم؛ اقرأ بسبح اسم ربك والشمس وضحاها ونحوهما)..

وتأتيه المرأة لها الحاجة عند زوجها:

ففي البخاري عن سيدتي أم المؤمنين صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، أنها جاءتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ، فتحدثت عنده ساعةً، ثم قامت تنقلبُ، فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم معها يقلبها، حتى إذا بلغتْ باب المسجدِ عندَ باب أمِّ سلمةَ، مرَّ رجلانِ من الأنصارِ، فسلَّما على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (على رِسلِكما، إنما هي صفيةُ بنتُ حييٍّ).

فقالا: سبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ، وكبر عليهما!

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الشيطانَ يبلغُ من الإنسانِ مبلغَ الدمِ، وإني خَشيتُ أن يقذفَ في قلوبكما شيئًا).

ومنهم من يحسن القراءة ويترك أثرًا فيمن حوله:

في البخاري عن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يقرأ في المسجد، فقال: (رحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهن من سورة كذا وكذا)..

وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنهم: تهجد النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: (يا عائشة: أصوت عباد هذا)؟ قلت: نعم. قال: (اللهم ارحم عبادًا).

وقد يأتيه المنافقون وأهل الريبة:

جاء في سيرة ابن هشام رحمه الله تعالى:

كان بعض المنافقين يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يومًا في المسجد منهم ناس، فرآهم الرسولُ يتحدثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم الرسولُ فأُخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا، فقام أبو أيوب الأنصاري إلى عمر بن قيس، أحد بني غنم بن مالك بن النجار، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية، فأخذ برجله فسحبه، حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: "أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة"؟

ثم أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافع بن وديعة، أحد بني النجار، فلببه بردائه، ثم نتره نترًا شديدًا، ولطم وجهه، ثم أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: "أف لك منافقًا خبيثًا، أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، أي ارجع من الطريق التي جئت منها، قال الشاعر :

فولى.. وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثَم

ويأتيه المغاضب أهله ينشد فيه السكينة والمهرب:

ففي البخاري أن رجلًا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان، لأمير المدينة، يدعو عليًّا عند المنبر، قال: فيقول: ماذا؟ قال: يقول له: أبو تراب، فضحك. قال:

والله ما سماه إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان والله له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلًا، وقلت: يا أبا عباس، كيف ذلك؟

قال: دخل علي على فاطمة ثم خرج، فاضطجع في المسجد، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (أين ابن عمك). قالت: في المسجد، فخرج صلى الله عليه وسلم إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: (اجلس يا أبا تراب، اجلس يا أبا تراب)!

وفي البخاري من طريق أخرى عن سيدي سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال:

جاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بيتَ فاطمةَ، فلم يجِدْ عليًّا في البيتِ، فقال: (أين ابن عمك)؟ قالتْ كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني فخرج، فلم يقل عندي، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لإنسانٍ: (انظرْ أين هو) فجاء فقال: يا رسولَ اللهِ، هو في المسجدِ راقدٌ، فجاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو مضطجِعٌ، قد سقَط رِداؤه عن شِقه، وأصابه ترابٌ، فجعل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يمسحُه عنه ويقولُ: (قُمْ أبا ترابٍ، قُمْ أبا ترابٍ).

وفي البخاري عن سيدي معن بن يزيد رضي الله عنهما، قال: بايعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنا وأبي وجدي، وخطبَ عليَّ فأنكحني، وخاصمتُ إليهِ: كان أبي يزيدُ أَخرجَ دنانيرَ يتصدقُ بها، فوضعها عندَ رجلٍ في المسجدِ، فجئت فأخذتها، فأتيته بها، فقال: واللهِ ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

(لكَ ما نويت يا يزيدُ، ولكَ ما أخذت يا معنُ).

ويأتيه طيِّب الريح وخبيثها:

ففي مسلم عن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال:

لم نعد أن فتحت خيبر، فوقعنا، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في تلك البقلة – الثوم – والناس جياع، فأكلنا منها أكلًا شديدًا، ثم رحنا إلى المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح. فقال:

(من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا يقربنا في المسجد)!

فقال الناس: حرمت، حرمت. فبلغ ذاك النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(أيها الناس! إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها)!

ويأتيه من صلى في مكان آخر، وجاء لموعد:

ففي مسلم عن سيدي عبد الله بن سرجس عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه قال:

دخل رجلٌ المسجدَ، ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في صلاةِ الغَداةِ، فصلى ركعتين في جانب المسجد، ثم دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما سلَّم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال: (يا فلانُ! بأيِّ الصلاتينِ اعتددتَ؟ أَبصلاتك وحدك، أم بصلاتك معنا)!

ويأتيه من لا بيت له، ينام فيه:

ففي مسلم عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: كان الرجلُ في حياةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إذا رأى رؤيا، قصَّها على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فتمنيتُ أن أرى رؤيا أقصُّها على النبيِّ صلى الله عليه وسلم – وكنتُ غلامًا شابًّا عزبًا. وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم – فرأيتُ في النومِ كأنَّ ملكينِ أخذاني فذهبا بي إلى النارِ، فإذا هي مطوية كطيِّ البئرِ، وإذا لها قرنانِ كقرنيِ البئرِ! وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم، فجعلتُ أقولُ: أعوذُ باللهِ من النارِ، أعوذُ باللهِ من النارِ، أعوذُ باللهِ من النارِ. قال: فلقيهما ملكٌ فقال لي: لم تُرَعْ!

فقصصتُها على حفصةَ، فقصَّتْها على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (نعمَ الرجلُ عبدُ اللهِ! لو كان يصلي من الليلِ)!

قال سالمٌ: فكان عبدُ اللهِ – بعد ذلك – لا ينامُ من الليلِ إلا قليلًا!

ويأتيه من له شكاية أو منغِّص:

ففي سنن أبي داود عن سيدي عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه قال:

إنا لليلةِ جمعةٍ في المسجدِ، إذ دخل رجلٌ من الأنصارِ في المسجدِ، فقال: لو أنَّ رجلًا وجد مع امرأتِه رجلًا فتكلَّم به جلدتُموه، أو قتل قتلتموه، فإن سكت سكت على غيظٍ! واللهِ لأسألنَّ عنه رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم!

فلما كان من الغدِ أتى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: لو أنَّ رجلًا وجد مع امرأتِه رجلًا فتكلم به جلدتُموه، أو قتل قتلتموه، أو سكت سكت على غيظٍ!

فقال صلى الله عليهِ وسلم: (اللهمَّ افتحْ) وجعل يدعو، فنزلت آيةُ الِّلعانِ: (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم.....) فابتلي به ذلك الرجلُ من بين الناسِ، فجاء هو وامرأته إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فتلاعنا، فشهد الرجلُ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنه لمن الصادقين، ثم لعن الخامسةَ عليه إن كان من الكاذبين!

فذهبتْ لتلتعن فقال لها النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (مَهْ)، فأبت، ففعلت!

فلما أدبرَا قال صلى الله عليهِ وسلم: (لعلَّها أن تجيءَ به أسودَ جعدًا) فجاءت به أسودَ جعدًا!

وهو مكان متابعة الجديد من الأحوال والأحداث:

ففي عمدة التفسير لأحمد شاكر عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله تعالى عنه قال:

كنا نغدو إلى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنمر على المسجد، فنصلي فيه، فمررنا يوما – ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر – فقلت: لقد حدث أمر، فجلست، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها} حتى فرغ من الآية. فقلت لصاحبي: تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنكون أول من صلى، فتوارينا فصليناهما. ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فصلى للناس الظهر يومئذ!

وهو مكان يجمع أغنى الناس وأفقرهم:

ففي صحيح الترغيب وغيره عن سيدي أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه، أن سيدنا المصطفى صلى الله عليه على آله وصحبه قال له:

يا أبا ذرٍّ: انظر أرفعَ رجلٍ في المسجدِ!

قالَ: فنظرتُ فإذا رجلٌ عليهِ حلةٌ، قلتُ: هذا!

ثم قالَ لي: انظر أوضعَ رجلٍ في المسجدِ، فنظرتُ فإذا رجلٌ عليهِ أخلاقٌ قلت: هذا!

فقالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لهذا عندَ الله أخير يومَ القيامةِ من ملءِ الأرضِ مِن هذا)!

بل حتى الجن والشياطين تدخله:

ففي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (إن عفريتًا من الجن تفلَّت علي البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: (رب اغفر لي، وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي).

بل حتى الغاضبون والساخطون والتكفيريون يدخلونه:

ففي البخاري عن عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله ورضي عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟

قالا: حملناها أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل.....

فقال عمر: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا!

فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال:

إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللًا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس..

فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني – أو أكلني – الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا، مات منهم سبعة!

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه!

وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله!

فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا بن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء، فقال غلام المغيرة..

قال الصنع؟ قال نعم!

قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام.... إلى آخر الحدث!

ويدخله الرجل الخامل الذي لا يعرف بين الناس:

ففي البخاري وغيره عن سيدي عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن رجلًا أسود – أو امرأة سوداء – كان يقم المسجد، فمات، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا: مات!

قال صلى الله عليه وسلم: (أفلا كنتم آذنتموني به! دلوني على قبره) – أو قال: قبرها – فأتى قبرها، فصلى عليها!

ويتفاوت المسلمون في تعظيم أنشطته وتقديرها:

ففي البخاري وغيره عن سيدي أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا..

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟

أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله..

وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه..

وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)!

وفيه من يحكي أحيانًا أشياء للتذكر أو الترفيه أو الإيضاح:

ففي البخاري وغيره عن عروة بن الزبير عن سيدتي رضي الله عنهم، قالتْ:

أسلمت امرأة سوداء لبعض العرب، وكان لها حفش في المسجد، فكانت تأتينا فتحدث عندنا، فإذا فرغت من حديثها قالتْ:

ويومَ الوشاح من تعاجيب ربنا *** ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

فلما أكثرت، قالتْ لها عائشة رضي الله عنها: وما يوم الوشاح؟

قالتْ: خرجت جويرية لبعض أهلي، وعليها وشاح من أدم، فسقط منها، فانحطت عليه الحُديا وهي تحسبه لحمًا، فأخذته، فاتهموني به، فعذبوني، حتى بلغ من أمري أنهم طلبوا في قُبلي!

فبينا هم حولي، وأنا في كربي، إذ أقبلت الحديا حتى وازت برؤوسنا، ثم ألقته، فأخذوه، فقُلت لهم: هذا الذي اتهمتموني به وأنا منه بريئة!

وفيه من سيؤخرون الصلاة عن مواقيتها:

ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي ذر رضي الله تعالى عنه؛ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم – وضرب فخذي –: (كيف أنت إذا بقيت في قومٍ يؤخرونَ الصلاةَ عن وقتها؟

قلت: ما تأمر؟ قال صلى الله عليه وسلم: (صَلِّ الصلاةَ لوقتها، ثم اذهب لحاجتك، فإن أُقيمتِ الصلاةُ وأنت في المسجدِ، فصلِّ).

وفيه من ليس متمكنًا من وضوئه:

ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه؛ مرفوعًا:

(إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه: أخرج منه شيء أم لا؛ فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتًا، أو يجد ريحًا)!

وفيه البخيل الذي لا ينفق مما يحب:

ففي سنن أبي داود عن سيدي عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال:

دخل علينا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المسجدَ وبيده عصًا، وقد علقَ رجلٌ قِنًا حَشفًا، فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: (لو شاء ربُّ هذه الصدقةِ تصدقَ بأطيبَ منها! إنَّ ربَّ هذه الصدقةِ يأكلُ الحشفَ يومَ القيامة)!

وفيه اللص الذي يدخله للسرقة، ومغافلة المصلين:

ففي صحيح سنن ابن ماجه وغيره أن صفوانَ بنَ أُميةَ رضي الله تعالى عنه نام في المسجدِ فتوسد رداءه، فجاء سارقٌ فأخذهُ من تحت رأسهِ، فأخذَ صفوانُ السارق، وجاء به إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأمرَ بقطعِ يدهِ!

فقال صفوانُ رضي الله تعالى عنه: إني لم أُرد هذا يا رسول اللهِ، وهو عليه صدقةٌ!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هلَّا كان قبل أن تأتيني به)!

ويدخله الكافر الذي يدخل تألفًا أو تعرفًا:

ففي السيل الجرار للشوكاني بسند ثابت أنه صلى الله عليه وسلم أَنزل وفد ثقيفٍ في مسجدِه قبل إسلامِهم..

وفي سنن أبي داود عن سيدي عثمان بن أبي العاص رضي الله تعالى عنه أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد؛ ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا عليه ألا يحشروا، ولا يعشروا، ولا يجبوا! فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لكم ألا تحشروا، ولا تعشروا، ولا خير في دين ليس فيه ركوع)!

وفي أحكام أهل الذمة لابن القيم بسند صحيح، عن سيدي النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم أنه أنزل وفد نصارى نجران في مسجده، وحانت صلاتهم فصلوا فيه!

وفي زماننا تحولت بعض المساجد الكبرى في العالم الإسلامي إلى مزارات؛ لما تحويه من عجائب الخط والزخرفة والنقش والبناء، فتأمل!

وقد يكون الحضور كلهم جهلة غير حفظة:

ففي سنن أبي عن داود سيدتي سلامة بنت الحر رضي الله تعالى عنها مرفوعًا: (إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد، لا يجدون إمامًا يصلي بهم)!

وقد يجلس أهله للطعام من أي نوع:

ففي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي عبد الله بن الحارث رضي الله تعالى عنه، قال:

كنا نأكلُ على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في المسجد الخبز واللحم)!

وفي مختصر الشمائل عن سيدي عبد الله بن الحارث رضي الله تعالى عنه، قال:

(أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء في المسجد)!

وفي سنن أبي داود عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمر من كلِّ جادٍّ عشرةَ أوسقٍ منَ التمرِ بِقنو يعلق في المسجدِ للمساكين!

النساء والمساجد

النساء والمساجد

للمرأة ارتباط اختياري كبير بالمساجد، عكس الرجل الذي يجب عليه أن يرتبط به في الجماعات والجمع وصلوات النوازل، ويندب له اعتيادها، والتعلق بها، وانتظار الصلاة بعد الصلاة..

فلو صلت المرأة الجمعة بالمسجد، أو الجماعة، أو حضرت دروس العلم والفعاليات الأخرى، فليس لأحد منعها بنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك..

وفي هذا الباب تنويعات نبوية عن المرأة والمسجد، أورد منها ما يوفقني الله تبارك وتعالى له، وأسأله سبحانه المغفرة على التقصير أو الخلل:

لا تمنع المرأة من المسجد في ليل أو نهار:

ففي سنن أبي داود رحمه الله وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله؛ ولكن ليخرجن وهن تفلات) والتفلة غير المتزينة ولا المتعطرة.

وفي إرواء الغليل عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله – وبيوتهن خير لهن – ليخرجن تفلات).

وتخرج للمسجد محتشمة وقورًا:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي عوف بن مالك بن نضلة أبي الأحوص عن سيدي ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما بسند صحيح موقوفًا قال:

إنما النساءُ عورةٌ، وإن المرأةَ لتخرجُ من بيتِها وما بها بأسٌ، فيستشرفُها الشيطانُ، فيقولُ إنك لا تمرين بأحدٍ إلا أعجبتِه..

وإن المرأةَ لتلبس ثيابها، فيقال أين تريدين؟ فتقولُ: أعودُ مريضًا، أو أشهدُ جنازةً، أو أصلي في مسجد!

وما عبدت امرأةٌ ربَّها مثلَ أن تعبدَه في بيتِها!

مسجد بيت المرأة أولى بها:

ففي صحيح الترغيب والجامع الصغير وغيرهما، عن سيدتي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها وأرضاها مرفوعًا: (خير مساجد النساء قعر بيوتهن)!

وفي المحلى بتخريج شاكر رحمه الله أن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله: إني أحب الصلاة معك!

قال صلى الله عليه وسلم: (قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي)!

فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها أو أظلمه، فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل)!

وفي التوحيد لابن خزيمة – وأشار في المقدمة أنه ثبت بالإسناد الثابت الصحيح – عن سيدي عوف بن مالك بن نضلة أبو الأحوص، عن عبد الله، رضي الله تعالى عنه: قال إذا لبستِ المرأةُ ثيابها ثمَّ خرجت قيل: أين تذهبين؟

فتقول أعودُ مريضًا، أو أصلي على جنازةٍ، أو أصلي في مسجدٍ!

فقيل وما تريدين؟ بذلك؟ فتقول وجهَ اللهِ..

والذي لا إله غيره ما التمست المرأةُ وجهَ اللهِ بمثلِ أن تقرَّ في بيتها، وتعبدَ ربها!

ويأذن لها وليها أي وقت؛ ما لم تدعْ ما هو أوجب:

- ففي البخاري وغيره، عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رضي عنهما وأرضاهما مرفوعًا: (ائذنوا للنساءِ بالليلِ إلى المساجِدِ).
- وفي البخاري وغيره، عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رضي عنهما وأرضاهما أنه كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد..

فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟

قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟

قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)!

- وفي مسلم أن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رضي عنهما وأرضاهما قال آثرًا: (ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد).

فقال ابن له يقال له واقد: إذن يتخذنه دغلًا!

قال فضرب في صدره، وقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول لا!؟

وفي رواية أخرى في مسلم: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن.

فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًّا سيئًا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول اللهصلى الله عليه وسلم، وتقول: والله لنمنعهن؟!

وتزور زوجها المعتكف في المسجد ليلًا:

ففي البخاري وغيره عن أم المؤمنين صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى عنها أنها جاءتْ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَزورهُ، وهو معتكفٌ في المسجدِ، في العشرِ الغوابرِ مِن رمضانَ، فتحدثت عندهُ ساعةً مِن العشاءِ، ثم قامَتْ تنقلبُ، فقام معها النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقلبها..

حتى إذا بلغت بابَ المسجدِ، الذي عندَ مَسكنِ أُمِّ سلمةَ زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، مَرَّ بهما رجلانِ من الأنصارِ، فسلما على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثم نفذا، فقال لهما رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (على رسلكما، إنَّما هي صفيةُ بنت حيي)!

قالا: سبحان اللهِ يا رسولَ اللهِ، وكَبُرَ عليهِما ما قال.. فقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الشيطانَ يجري مِنَ ابنِ آدم مبلغَ الدمِ، وإنِّي خَشيتُ أنْ يقذفَ في قُلوبكما).

وتسأل فيه المرأة عن أمر دينها ودنياها:

- ففي البخاري وغيره عن سيدتي زينب امرأة عبد الله بن مسعود البخاري رضي الله تعالى عنهما قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تصدقن ولو من حليكن – وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها – فقالت لعبد الله:

سل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق عليك، وعلى أيتام في حجري من الصدقة!؟

فقال: سلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت: فانطلقتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال، فقلنا: سل النبي صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا: لا تخبر بنا!

فدخل فسأله، فقال صلى الله عليه وسلم: (من هما)؟ قال: زينب! قال صلى الله عليه وسلم: (أي الزيانب)؟

قال: امرأة عبد الله..

قال صلى الله عليه وسلم: (نعم لها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة)!

- وفي سنن الترمذي وغيره أن الفريعة بنت مالك بن سنان جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم، تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة، وأن زوجها خرج في طلب أعبدٍ له أبَقوا، حتى إذا كان بطرف القدُّوم لحقهم فقتلوه!

قالت: فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي؛ فإن زوجي لم يترك لي مسكنًا يملكه، ولا نفقة!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم).

قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة، أو في المسجد ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم – أو أمر بي فنوديت له – فقال صلى الله عليه وسلم: (كيف قلت)؟

فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، قال صلى الله عليه وسلم: (امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله)!

قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، فلما كان عثمان أرسل إلي، فسألني عن ذلك، فأخبرته فاتبعه، وقضى به.

وتلاعن زوجها في المسجد عند الاقتضاء:

ففي البخاري عن سيدي سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه أن رجلًا من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلًا وجد مع امرأته رجلًا، أيقتله؟

فتلاعنا في المسجد، وأنا شاهد.

وتبث شكاواها وهمومها لمن تثق به:

ففي البخاري عن سيدتي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب فأعتقوها، فكانت معهم، قالت:

فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته أو وقع منها، فمرت به حدياة وهو ملقًى، فحسبته لحمًا فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه!

قالت: فاتهموني به، فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبُلها!

قالت: والله إني لقائمة معهم إذ مرت الحدياة فألقته، قالت: فوقع بينهم!

فقلت: هذا الذي اتهمتموني به، زعمتم وأنا منه بريئة وهو ذا هو!

قالت: فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، قالت عائشة: فكان لها خباء في المسجد أو حفش، فكانت تأتيني فتحدث عندي، فلا تجلس عندي مجلسًا إلا قالت:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا.... ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: فقلت لها: ما شأنك لا تقعدين معي مقعدًا إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتني بهذا الحديث!

وتجلس في مسجدها تعبد ربها:

- ففي مسلم عن سيدتي أم المؤمنين جويرية رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن

أضحى وهي جالسة، فقال صلى الله عليه وسلم: (ما زلت على الحال التي فارقتك عليها)؟

قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات؛ لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته)!

- وفي الصحيحين عن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: (ما هذا الحبل)؟

قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد)!

وفيه تستخير ربها سبحانه فيما غمي عليها:

ففي مسلم عن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال:

لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: (فاذكرها علي) فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، فقال: يا زينب: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك!

قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي سبحانه، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن.... الحديث.

وتروي الحديث وتعلم العلم:

ففي مسلم عن الإمام التابعي عامر بن شراحيل الشعبي أنه سأل فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس رضي الله تعالى عنهما – وكانت من المهاجرات الأول – فقال حدثيني حديثًا سمعتِه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تسنديه إلى أحد غيره!

فقالت: لئن شئت لأفعلن.. فقال لها: أجل حدثيني!

فقالت: نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذٍ فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في

نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه أسامة بن زيد – وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحبني فليحب أسامة) – فلما كلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: أمري بيدك، فأنكحني من شئت! فقال صلى الله عليه وسلم: (انتقلي إلى أم شريك) وأم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان.. فقلت: سأفعل..

فقال صلى الله عليه وسلم: (لا تفعلي؛ إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط عنك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين! ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم)، وهو رجل من بني فهر– فهر قريش – وهو من البطن الذي هي منه..

فانتقلت إليه، فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه..

ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أتدرون لم جمعتكم)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم!

قال صلى الله عليه وسلم: (إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًّا فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال)!

(حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام،فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفِئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب، كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر!

فقالوا: ويلك! ما أنت؟

فقالت: أنا الجساسة!

قالوا: وما الجساسة؟

قالت: أيها القوم: انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق!

قال: لما سمت لنا رجلًا فرقنا منها أن تكون شيطانة؛ فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا، وأشده وثاقًا، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد!

قلنا: ويلك؛ ما أنت؟

قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرًا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرى ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة! قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق؛ فأقبلنا إليك سراعًا، وفزعنا منه، ولم نأمن أن تكون شيطانة!

فقال: أخبروني عن نخل بيسان؟

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها: هل يثمر؟

قلنا له: نعم!

قال: أما إنه يوشك ألا تثمر!

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية!

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب!

قال: أخبروني عن عين زُغر!

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا: له نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها!

قال: أخبروني عن نبي الأميين؛ ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟

قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه.

قال: لهم قد كان ذلك؟

قلنا: نعم.

قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني" إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة؛ غير مكة وطيبة؛ فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)!

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – وطعن بمخصرته في المنبر –: (هذه طيبة، هذه طيبة،هذه طيبة؛ يعني المدينة. ألا هل كنت حدثتكم ذلك)؟

فقال الناس: نعم، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة)!

وتصابر في الصلاة الطويلة:

ففي مسلم وغيره عن سيدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت:

كسفت الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم..... فقضيت حاجتي، ثم جئت ودخلت المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، فقمت معه، فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس، ثم ألتفت إلى المرأة الضعيفة فأقول: هذه أضعف مني، فأقوم! فركع، فأطال الركوع، ثم رفع رأسه فأطال القيام؛ حتى لو أن رجلًا جاء خيل إليه أنه لم يركع!

وتصحب أطفالها معها للمسجد:

ففي صحيح سنن أبي داود وغيره عن سيدي أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، قال:

بينا نحن في المسجد جلوس خرج علينا رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع – وأمها زينب بنت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم – وهي صبية يحملها على عاتقه، فصلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم وهي على عاتقه، يضعها إذا ركع، ويعيدها إذا قام، حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها!

وفي مسلم وغيره عن سيدتي الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها، قالت:

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم – غداة عاشوراء – إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: (من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه) فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوِّم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه عند الإفطار!

وتتحرى الصفوف المتأخرة:

وإذا كانت في مصلي الرجال ذاته – كالحال في مسجده صلى الله عليه وسلم قديمًا – تحرت الصفوف المتأخرة؛ ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها)..

وتشهد ألعاب اللعابين:

ففي مسلم وغيره عن سيدي عبيد بن عمير رضي الله تعالى عنه قال:

أخبرتني عائشة رضي الله عنها أنها قالت للعابين: وددت أني أراهم! قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقمت على الباب أنظر بين أذنيه وعاتقه، وهم يلعبون في المسجد!

وتطالب بحقوقها، وتعرف ما لها!

ففي سنن أبو داود عن سيدتي الفريعة بنت مالك بن سنان رضي الله تعالى عنها أنها جاءت إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة؛ فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا، حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، فسألتُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي؛ فإني لم يتركني في مسكن يملكه، ولا نفقة!

فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: (نعم).

قالت: فخرجت، حتى إذا كنت في الحجرة، أو في المسجد، دعاني، أو أمر بي فدعيت له صلى الله عليه وسلم فقال: (كيف قلت)؟

فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال صلى الله عليه وسلم:

(امكثي في بيتك؛ حتى يبلغ الكتاب أجله).

قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي فسألني عن ذلك، فأخبرته، فاتبعه، وقضى به.

وإذا كانت بالمسجد وزوجها معتكف عاونته:

ففي سنن أبي داود وغيره عن سيدتي عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، قالت:

كان رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يكون معتكفا في المسجد، فيناولني رأسه من خلل الحجرة، فأغسل رأسه. وفي زيادة: فأرجله وأنا حائض..

وفي صحيح سنن النسائي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي تعالى عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع رأسه في حجر إحدانا، فيتلو القرآن وهي حائض، وتقوم إحدانا بالخمرة إلى المسجد فتبسطها وهي حائض.

ولا تستلفت الأنظار بهيئتها ولا بعطرها إذا ذهبت إليه:

ففي سنن أبي داود وغيره عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: (استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق) فكانت المرأة تلتصق بالجدار؛ حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به!

وفي صحيح النسائي وصحيح الجامع عن سيدتي زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما مرفوعًا: (إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تقربن طيبًا).

وفي صحيح ابن ماجه عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل).

ولا تبتدع وتستعرض في خروجها إليه:

ففي سنن أبي داود وغيره عن سيدتي عمرة بنت عبد الرحمن رضي الله عنهما أن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لو أدرك رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المسجد، كما منعه نساء بني إسرائيل!

ويسلم عليهن الرجال إذا مروا بهن:

ففي الترمذي وغيره عن سيدتي أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يومًا، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم

قال في تحفة الأحوذي في تعليقه على هذا الحديث:

وقال النووي: إن كن النساء جمعًا سلم عليهن، وإن كانت واحدة سلم عليها النساء، وزوجها، ومحرمها، سواء أكانت جميلة أو غيرها، وأما الأجنبي فإن كانت عجوزًا لا

تشتهى استحب السلام عليها، واستحب لها السلام عليه. ومن سلم منهما لزم الآخر رد السلام عليه، وإن كانت شابة أو عجوزا تشتهى، لم يسلم عليها الأجنبي ولم تسلم عليه، ومن سلم منهما لم يستحق جوابًا، ويكره رد جوابه، هذا مذهبنا، ومذهب الجمهور.

وتعتزل المصلى إذا كانت حائضًا:

ففي مسلم عن سيدتي أم عطية نسيبة الأنصارية رضي الله تعالى عنهم أجمعين قالت:

أمَرَنا – تعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم – أن نخرجَ، في العيدين العواتق وذوات الخدورِ، وأمرَ الحيَّضَ أن يعتزلن مصلى المسلمين.

وفي صحيح سنن النسائي عن سيدتي أم عطية نسيبة الأنصارية رضي الله تعالى عنهم أجمعين مرفوعًا: (أخرجوا العواتق، وذوات الخدور، فيشهدن العيد، ودعوة المسلمين، وليعتزل الحيض مصلى الناس).

وتؤذن في النساء وتقيم:

والأصل في هذا فعل عائشة رضي الله عنها فقد (كانت تؤذن، وتقيم، وتؤم النساء، وتقوم وسطهن) كما ورد في سنن البيهقي.

وأذانها وإقامتها ليسا واجبين:

فقد روى البيهقي في السنن الكبرى عن سيدتي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كنا نصلي بغير إقامة).

وتؤم النساء:

فقد أخرج الشافعي في مسنده، والبيهقي في سننه بإسناد حسن، كما المجموع للنووي أن أمي المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، أمتا نساء، فقامتا وسطهن).

وروى أبو داود والحاكم وأحمد وغيرهم، عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث، وكانت قد جمعت القرآن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها)، وقد حسنه الألباني، وقال الدار قطني: إنما أذن لها أن تؤم النساء أهل دارها).

ولا تؤم الرجال:

أفتت هيئة كبار العلماء بما يلي:

(ثانيًا: لا تصح إمامة المرأة للرجل؛ لأن الإمامة في الصلاة من العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف، والسنة العملية تدل على إمامة الرجل للرجال، ولا نعلم دليلًا يدل على أن المرأة تؤم الرجال، أما إمامتها للنساء فلا بأس بذلك، وقد فعلته عائشة رضي الله عنها، وأم سلمة رضي الله عنها، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه أمر امرأة من أصحابه أن تؤم أهل دارها – يعني من النساء – وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

ولكن، وآه من ولكن:

بدعة كفى الله الأمة شرها:

ونظرًا لما أحدثته البدعة التي اجترحتها امرأة أمريكية تسمى آمنة ودود حين صلت – على الطريقة الأميركية – بالرجال والنساء مختلطين متلاصقين، دون ستر للعورة، ودون مراعاة أية آداب ابتداء، فإني أنقل هذه الفتوى المطولة التي أفتى بها مجمع فقهاء الشريعة في أميركا، الذي يرأسه الدكتور علي السالوس، وفيه عدد جيد من أهل الفقه والورع – نحسبهم والله حسيبهم – منهم على ما أذكر: الدكتور صلاح الصاوي، والدكتور وهبه الزحيلي، والدكتور أحمد طه ريان وآخرون، وهم هنالك في الميدان يعرفون الواقع، ويمنعهم ورعهم من الانزلاق وراء ضغوط الواقع، أو الأمن، أو السياسة، أو غير ذلك.. فها هي الفتوى:

هل الذكورة شرط في خطيب الجمعة؟

اللجنة الدائمة لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

ورد إلى مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا استفسار حول مدى مشروعية إمامة المراة لصلاة الجمعة، وإلقائها لخطبتها؛ وذلك بمناسبة ما أعلن عنه مؤخرًا من اعتزام بعض النساء على إلقاء خطبة الجمعة، وإمامة صلاتها، بأحد مساجد نيويورك!

والمجمع إذ يستنكر هذا الموقف البدعي الضال ويستبشعه فإنه يقرر للأمة الحقائق التالية:

أولا: أن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الكتاب والسنة، وقد قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي) وأن الإجماع على فهم نص من النصوص حجة دامغة تقطع الشغب في دلالته، فقد عصم الله مجموع هذه الأمة من أن تجمع على ضلالة، وأن من عدل عما أجمع عليه المسلمون عبر القرون كان مفتتحًا لباب ضلالة، متبعًا لغير سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى: (ومن يشاقق الرسول، من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين، نوله ما تولى، ونصله

جهنم، وساءت مصيرًا) النساء: 115، وقال صلى الله عليه وسلم في معرض بيانه للفرقة الناجية في زحام الفرق الهالكة: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي).

ثانيًا: لقد انعقد إجماع الأمة في المشارق والمغارب على أنه لا مدخل للنساء في خطبة الجمعة ولا في إمامة صلاتها، وأن من شارك في ذلك فصلاته باطلة – إمامًا كان أو مأمومًا – فلم يسطر في كتاب من كتب المسلمين على مدى هذه القرون المتعاقبة من تاريخ الإسلام فيما نعلم قول فقيه واحد: يجيز للمرأة خطبة الجمعة، أو إمامة صلاتها؛ فهو قول محدث من جميع الوجوه، باطل في جميع المذاهب المتبوعة، السنية والبدعية على حد سواء!

ثالثًا: لقد علم بالضرورة من دين الإسلام أن سنة النساء في الصلاة التأخير عن الرجال، فخير صفوف الرجال أولها، وخير صفوف النساء آخرها، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها) وما ذلك إلا صيانة لهن من الفتنة، وقطعًا لذريعة الافتتان بهن من جميع الوجوه، فكيف يجوز لهن صعود المنابر، والتقدم لإمامة الرجال في المحافل العامة؟

رابعًا: لم يثبت أن امرأة واحدة عبر التاريخ الإسلامي قد أقدمت على هذا الفعل، أو طالبت به على مدى هذه العصور المتعاقبة من عمر الإسلام، لا في عصر النبوة، ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولا في عصر التابعين، ولا فيما تلا ذلك من العصور، وإن ذلك ليؤكد تأكيدًا قاطعًا على ضلال هذا المسلك، وبدعية من دعا إليه، أو أعان عليه.

ولو كان شيئا من ذلك جائزًا لكان أولى الناس به أمهات المؤمنين، وقد كان منهن الفقيهات النابغات، وعن بعضهن نقل كثير من الدين، وحسبك بالفصيحة البليغة العالمة النابهة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولو كان في ذلك خير لسبقونا إليه، وسنوا لنا سنة الاقتداء به!

لقد عرف تاريخ الإسلام فقيهات نابغات، ومحدثات ثقات أعلام، وقد أبلى النساء في ذلك بلاء حسنًا، وعرفن بالصدق والأمانة؛ حتى قال الحافظ الذهبي: (لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في الحديث) ويقول رحمه الله: (وما علمت من النساء من اتهمت، ولا من تركوها) ميزان الاعتدال: 4 / 604.

وحتى كان من شيوخ الحافظ بن عساكر بضع وثمانون من النساء! ومثله الإمام أبو مسلم الفراهيدي المحدث، الذي كتب عن سبعين امرأة..

ومن النساء في تاريخ هذه الأمة من كن شيوخًا لمثل الشافعي والبخاري وابن خلكان وابن حيان وغيرهم! ومع ذلك لم يؤثر عن واحدة منهن أنها تطلعت إلى خطبة الجمعة، أو تشوفت إلى إمامة الصلاة فيها؛ مع ما تفوقن فيه على كثير من الرجال يومئذٍ من الفقه في الدين، والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد عرف تاريخ الإسلام المرأة عاملة على جميع الأصعدة: عرفها عالمة وفقيهة، وعرفها مشاركة في العبادات الجماعية، ومشاركة في العمليات الإغاثية، ومشاركة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنه لم يعرفها خطيبة جمعة ولا إمامة جماعة عامة من الرجال.

وبهذا يعلم بالضرورة والبداهة من دين المسلمين أن الذكورة شرط في خطبة الجمعة وإمامة صلوات الجماعة العامة، وأمام من يجادل في ذلك عمر نوح لكي يفتش في كتب التراث ليخرج لنا شيئا من ذلك، وهيهات هيهات! وما ينبغي لهم وما يستطيعون!

خامسًا: أما تعويل من زعم ذلك على ما روي من أن أم ورقة قد أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم في إمامة أهل بيتها فإن هذا الحديث – على فرض صحته – لا علاقة له بموضوع النازلة، فإنه يتحدث عن إمامة خاصة داخل البيت بالنساء، أو بهن وببعض أهل البيت من الرجال – على أوسع التفسيرات وأكثرها ترخصًا – فأين ذلك من خطبة الجمعة، والإمامة العامة للصلاة؟!

إن المجمع ليحذر الأمة من الافتتان بمثل هذه الدعوات الضالة المارقة من الدين، والمتبعة لغير سبيل المؤمنين، ويدعوهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، ويذكرهم بأن هذا العلم دين، وأن عليهم أن ينظروا عمن يأخذون دينهم، وأن القابض على دينه في هذه الأزمنة كالقابض على الجمر، ويسأل الله لهذه الأمة السلامة من الفتن والعافية من جميع المحن، وأن يحملها في أحمد الأمور عنده وأجملها عاقبة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، والله أعلم.

من أخطاء النساء

وللنساء أخطاء كثيرة غيره ما مر، من تبرج بعضهن، والتكسر في الصوت والمشية، والعطر، والثياب الواصفة أو الشافة:

فإذا خرجت متزينة غير تفلة فقد خالفت وأثمت، ففي سنن أبي داود رحمه الله تعالى عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات)..

والأسوأ أن يظهر شيء من عورتها:

ففي مسلم رحمه الله تعالى عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (كانت المرأةُ تطوفُ بالبيتِ وهي عريانةٌ. فتقول من يُعيرني تِطوافًا؟ تجعله على فرجها، وتقول:

اليومَ يبدو بعضُه أو كُله فما بدا منه فلا أُحله

فنزلت هذه الآيةُ: (خذوا زينتَكم عند كلِّ مسجد) الأعراف:31.

وفي مسلم رحمه الله تعالى عن سيدتي أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد؛ حتى أكون أنا الذي أمامه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو.

وهي في هذه الأيام قد تبدي شيئًا من شعرها، أو ذراعها أو ساقها، أو تفاصيل جسمها بسبب ضيق الثياب أو شفافيتها، وهذا كله مما تبطل به الصلاة؛ لأن ستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة، والله أعلى وأعلم.

أن تخرج فائحة الرائحة:

ففي صحيح الترغيب وغيره أن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لقي امرأة يعصف ريحها فقال: يا أمة الجبار: المسجد تريدين؟ قالت: نعم! قال: وله تطيبت!؟ قالت: نعم! قال رضي الله تعالى عنه: فارجعي؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من امرأة تخرج إلى المسجد يعصف ريحها فتقبل منها صلاة حتَّى ترجع فتغتسل)!

أن تخرج بغير إذن زوجها:

ففي صحيح الجامع عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا: (لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد، إذا استأذنكم)!

أن تظن أن حيضها ينتقص منها:

ففي صحيح سنن أبي داود عن سيدتي عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ناوليني الخُمرة من المسجد).

فقلت: إني حائض! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن حيضتك ليست في يدك)!

وأن تدخله – على الصحيح – وهي حائض؛ لتجلس فيه:

ففي سنن أبي داود وغيره، عن سيدتي أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ووجوهُ بيوتُ أصحابهِ شارعة في المسجد فقال: (وجهوا هذه البيوتَ عن المسجدِ)!

ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يصنع القومُ شيئًا رجاءَ أن ينزل فيهم رخصةٌ، فخرج إليهِم بعد فقال: وجّهوا هذه البيوتَ عن المسجد؛ فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب)!

وأن ترفع صوتها:

ورفع الصوت منهي عنه كما سبق..

مخالفات ميدانية:

وهناك مخالفات كثيرة شهدتها في الخليج بشكل واسع، منها أن المرأة لا تريد امرأة بجوارها في بعض الأحيان أنفة وكبرًا، ومنها أنها ترمي المناديل الورقية، والنوى وغيرها دون مبالاة، ومنها إحضار أوعية الشاي والقهوة، و(تبقيع) السجاد، وغير ذلك من أدواء الأغنياء المترفين الجهلة بالدين!

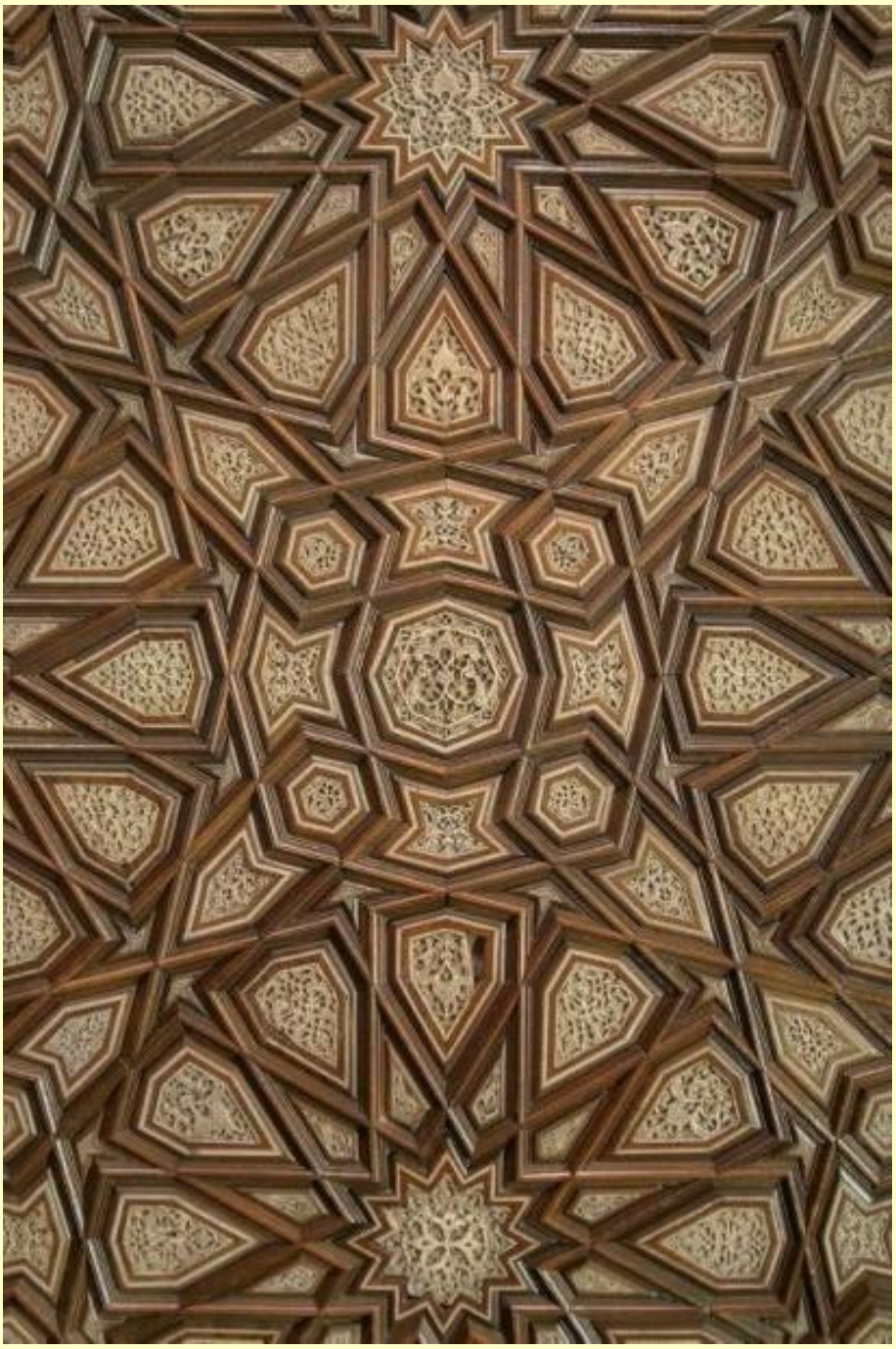

أخطاء الناس في المساجد

أخطاء الناس المساجد

للناس داخل المساجد أخطاء متعددة ينتبهون لها أو لا ينتبهون، متعلقة بالعقيدة أو العبادة، بالسلوك والمعاملة، بالخلق أو غير ذلك!

وسنتاول منها ما يوفقنا الله تعالى لتناوله، بقدر ما يسعني التناول، سائلا الله تبارك وتعالى التوفيق، والنفع، وحسن العاقبة:

أخطاء متعلقة بالبناء:

- من الأخطاء الكبيرة: اعتقاد أن بناء المسجد أعظم شأنًا من فريضة كالجهاد:

يقول الله تبارك وتعالى، ناعيًا على من يعتقدون هذا:

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كمن آمن بالله، واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله؟ لا يستوون عند الله، والله لا يهدي القوم الظالمين* الذين آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون* يبشرهم ربهم برحمة منه، ورضوان، وجنات لهم فيها نعيم مقيم* خالدين فيها أبدًا؛ إن الله عنده أجر عظيم) التوبة:19–22

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية: إن المشركين قالوا: عمارة بيت الله، وقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفخرون بالحرم، ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعمّاره، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين: (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون* مستكبرين به سامرًا تهجرون) المؤمنون: 66،67، يعني سبحانه: أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال: كانوا يسمرون به، ويهجرون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، فخيّر الله الإيمان والجهاد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت، وقيامهم على السقاية، ولم يكن ينفعهم عند الله – مع الشرك به سبحانه – أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه.

وعن سيدي النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه..

فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج!

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام..

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم..

فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم – وذلك يوم الجمعة – ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال: ففعل، فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام (إلى قوله:) والله لا يهدي القوم الظالمين)! رواه مسلم في صحيحه، وغيره!

- من الأخطاء الكبيرة: بناء المسجد لغير قصد وجه الله تبارك وتعالى:

كمن يبنيه للشهرة، أو للرياء، أو للتكاثر، أو للضرار:

يقول الله تبارك وتعالى: (والذين اتخذوا مسجدًا؛ ضرارًا، وكفرًا، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون* لا تقم فيه أبدًا؛ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين* أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين)! التوبة:**107–109**.

- البنيان على غير جهة القبلة:

لأن استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة، وقد قال ربنا تبارك وتعالى إيجابًا: (فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)! البقرة:**150**.

قال الإمام ابن العربي في أحكام القرآن:

وقد اختلف العلماء: هل فرض الغائب عن الكعبة استقبال العين؟ أو استقبال الجهة؟

فمنهم من قال: فرضه استقبال العين، وهذا ضعيف؛ لأنه تكليف لما لا يصل إليه!

ومنهم من قال الجهة: وهو الصحيح؛ لثلاثة أمور:

أحدها: أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف.

الثاني: أنه المأمور به في القرآن، إذ قال سبحانه: (فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فلا يلتفت إلى غير ذلك.

الثالث: أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يُعلم قطعًا أنه أضعاف عرض البيت، ويجب أن يعول على ما تقدم؛ فإن الصف الطويل إذا بعد عن البيت أو طال وعرض أضعافًا مضاعفة لكان ممكنًا أن يقابل جميع البيت!

- الزخرفة والتباهي في المسجد:

ففي صحيح البخاري وغيره مرفوعًا: (لتُزخرفُنّها كما زخرفت اليهود والنصارى)!

وفي سنن أبي داود عن سيدي أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)!

وفي النسائي وغيره عن سيدي أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أشراط الساعة أن يتباهى الناس بالمساجد) قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أي: من علامات القيامة (أن يتباهى الناس في المساجد) أي: في شأنها أو بنائها، يعني: يتفاخر كل أحد بمسجده ويقول: مسجدي أرفع أو أزين أو أوسع أو أحسن؛ رياءً وسمعة واجتلابًا للمدحة!

وفي مقال بالشبكة الإسلامية بعنوان: من أشراط الساعة: زخرفة المساجد والتباهي بها ورد:

ومن الوعيد الشديد الذي جاء في حقّ الزخارف ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إذا زوّقتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم، رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والحديث موقوف، وله حكم الرفع كما ذكر ذلك بعض أهل الحديث، والتزويق هو الزخرفة.

وتوافقت كلمات الصحابة رضي الله عنهم للنهي عن هذه المظاهر؛ فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب بنيان المساجد، قول سيدنا أنس رضي الله عنه: (يتباهون، ثم لا يعمرونها إلا قليلًا) فالتباهي بها: العناية بزخرفتها..

وقول سيدي ابن عباس رضي الله عنهما: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى..

وجاء عن سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: ما ساء عمل قوم قط، إلا زخرفوا مساجدهم!

ولو تأمّلنا في النصوص والآثار الورادة في هذه المسألة وجدنا أن زخرفة المساجد هي في موضع النكير لاعتباراتٍ أربعة:

الأول: دخول هذه الممارسات تحت دائرة الإسراف والتبذير الذي قد جاء النهي عنه شرعًا، ومعلومٌ أن الإسراف هو مجاوزةٌ للحدود الشرعية، وإهدارٌ وتضييع للمال.

وقد جاء النهي عنه في قوله تعالى: (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف:29، وقوله تعالى: (ولا تبذر تبذيرًا* إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفورًا) الإسراء: 26،27.

الثاني: قيام البعض بتحلية المساجد وزخرفتها تشبّهًا باليهود والنصارى، الذين يُبالغون في هذا الجانب، فترى كثيرًا من الكنائس والأديرة قد امتلأت بالزخارف المتنوّعة، والنقوش المختلفة، والبلاط الملّون؛ على نحوٍ مبالغٍ فيه، فيسيرُ هؤلاء المزخرفون على خطا أهل الكتاب، مخالفين بذلك دلائل الوحيين في النهي عن اتباعِ سننهم، والسير على نهجهم.

الثالث: الإلهاء عن ذكر الله تعالى، ومقاصد الشرع تدلّ على الاهتمام بعزل الأمور الملهيةِ عن الخشوع، والشاغلة عن إحضار القلب أثناء ممارسة العبادة، ولا أدلّ على ذلك مما جاء في الصحيح، من حديث سيدتي عائشة رضي الله عنها عندما صلّى النبي صلى الله عليه وسلم بكساء مخطّط، فأبدل به كساءً آخر قائلًا: إنها ألهتني آنفًا عن

صلاتي؛ فإذا كان هذا حال الكساء المربّع، فكيف إذا كانت البيئة المحيطة بالمصلّي مرصّعة بأنواع الزخارف والتحف؟

الرابع: تحوّل نيّة المزخرف للمساجد إلى المماراة والتباهي، والتفاخر بين الناس. ولو لم يكن في المسألة إلا هذا الاعتبار لكفى بذلك مفسدة، والواقع يشهد أن النوايا في هذه الممارسات لا بد أن يشوبها شائبة الرياء والسمعة، والمباهاة والتفاخر، على نحو ما حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى: المباهاة هي المفاخرة، والمعنى أنهم يزخرفون المساجد، ويزينونها، ثم يقعدون فيها، ويتمارون، ويتباهون، ولا يشتغلون بالذِّكْر، وقراءة القرآن، والصلاة!

وإنما عمارة المسجد الحقيقيّة – كما يذكر العلماء – تكون بإقامة الصلاة فيها، وأداء الاعتكاف، وممارسة التعليم، وإقامة المحاضرات والندوات، والتفرّغ بذكر الله تعالى والدعوة إليه، وإقامة الشعائر المختلفة، وليست المسألة مجرّد بناءٍ – على أهميّته – وتلوين، وتطعيمٍ بنفائس الحجارة ورسم الخطوط ونحوها! أ.هـ.

أخطاء متعلقة بالعقيدة والعبادة:

- **اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها:**

وهذا البلاء عام في العالم الإسلامي كله، لا تكاد تخلو منه دولة – باستثناء بعض مساحات جزيرة العرب – ففي مسلم، عن سيدي جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، قبل أن يموت بخمس، وهو يقول:

(إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك).

وفي البخاري عن سيديّ عبد الله بن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهم: لما نزل برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، طفِق يطرحُ خميصةً على وجههِ، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجههِ، فقال وهو كذلك: (لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ) . يحذِّر ما صنعوا.

وفي سنن أبي داود عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: لعن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج!

ولا شك أن هذا الخطأ من أكثر الأخطاء شيوعًا في العالم الإسلامي، بل تحول إلى مسلَّمة عند قطاع عريض من الخرافيين والقبوريين، الذين صاروا يعبدونها من دون الله تعالى، ويتوسلون ويستغيثون بمن فيها، ولهم يذبحون، وينذرون، طمعًا في نفعهم، ورحم الله الشيخ الغزالي الذي قال في أحد كتبه:

إن الحسين رضي الله تعالى عنه لم يدفع عن نفسه حيًّا؛ فكيف يدفع عن غيره ميتًا!

وفي هذه المساجد يجري من الخطايا ما لا حد له، وليس هذا مكان إيرادها، وقد توسعت فيها في كتابي: الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة، فارجع إليه إن شئت!

- **ومنها: الغياب عن المسجد وهجره:**

وفي مسلم وصحيح سنن أبي داود وصحيح سنن ابن ماجه وغيرها، عن سيدي عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: حافظوا على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن؛ فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيه صلى الله عليه وسلم سنن الهدى. ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق بيِّن النفاق، ولقد رأيتنا وإن الرجل ليهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، وما منكم من أحد إلا وله مسجد في بيته، ولو صليتم في بيوتكم، وتركتم مساجدكم، تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم، ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لكفرتم!

- **ومنها: غياب الخشوع:**

ففي صحيح سنن الترمذي عن سيدي الدرداء رضي الله تعالى عنه وأرضاه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال:

(هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء)!

فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا، وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا!

فقال صلى الله عليه وسلم: (ثكلتك أمك يا زياد؛ إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة! هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؛ فماذا تغني عنهم)؟

قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء! قال: صدق أبو الدرداء؛ إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعًا!

- **ومنها: الجدل عامة، وفي الله تبارك تعالى خاصة:**

ففي أبي داود وغيره عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة؛ لمن ترك المراء، وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب؛ وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة؛ لمن حسن خلقه)!

وفي تخريج الحافظ العراقي لأحاديث الإحياء عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله تعالى ليصيبَ به عرضًا من الدنيا لم يجدْ عرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ).

وفي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال يسألونك، يا أبا هريرة، حتى يقولوا هذا الله؛ فمن خلق الله)؟ فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة! هذا الله، فمن خلق الله؟ قال، فأخذ حصى بكفه فرماهم. ثم قال: قوموا، قوموا. صدق خليلي صلى الله عليه وسلم.

- ومنها: انكشاف العورة:

وقد ثبت بالسنة الصحيحة أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة، حتى أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الأعراف:31، ليشمل الأمر ما هو أكبر من تغطية العورة، بل بالتجمل والتطيب، والثوب الحسن؛ تعظيمًا لشعائر الله؛ (فإنها من تقوى القلوب) الحج:32..

وفي صحيح سنن الترمذي أن سيدي النَّبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بجرهد في المسجدِ، وقدِ انكشفَ فخذُه، فقال: (إنَّ الفخذَ عورةٌ)!

وقد ابتلينا في زماننا بأشكال من انكشاف العورة في الصلاة، من ناس أكثرهم حسن النية، لكنه لا يعرف مراد الله تبارك وتعالى، ومن ذلك:

- الشاب الذي يصلي وقد لبس قميصًا قصيرًا إذا هو سجد أو جلس للتشهد انكشف ظهره (عورته من الخلف) وهذا شيء فاشٍ؛ حتى إن منهم من ترى أعلى مؤخرته فعلًا!
- المرأة التي تأتي المسجد بوجه متبرج متألق، كأنها في حفل وسط النساء!
- والمرأة التي تأتي للمسجد فواحة العطر، مع النهي الشديد عن ذلك!
- والمرأة التي تأتي للمسجد بثياب ضيقة أو شفافة تبرز وتوضح، مع النهي الشديد عن ذلك!
- والمرأة التي تأتي للمسجد تميس في خطوتها، أو تنغم في تأنث بصوتها؛ فإن هذا من أعظم العورات التي تحتاج للالتفات!

- ومنها: المجيء للمسجد لقصود أخرى غير الطاعة، ووجه الله تعالى:

فالناس يتفاوتون في نياتهم وقصودهم –كما مر – فمنهم من يأتي ليسبق غيره للصف الأول؛ تنافسًا في الطاعة، ومنهم من يبكر قصد الثواب، ومنهم من يأتي لشهود مجالس الذكر والعلم، ومنهم من يأتي مضطرًّا لإرضاء أبيه، أو لموعد دنيوي، أو مراءاة لأحد، أو حتى للتجسس على المسلمين..

ولا شك أن كل أحد منهم يُجزى بقدر نيته، ففي سنن أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من أتى المسجد لشيء فهو حظه).

- ومنها: التأخر على الصلاة عامة، أو على الجمعة خاصة:

ففي البخاري عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (الصلاة على وقتها) قال: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين) قال: ثم أي؟ (قال الجهاد في سبيل الله) قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني)!

وفي الجامع الصغير عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (تقعد الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة، فيكتبون الأول، والثاني، والثالث، حتى إذا خرج الإمام، رفعت الصحف)!

- ومنها: الخروج من المسجد بين الأذان والإقامة، لغير حاجة، ودون نية للرجوع:

فمما ورد في مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أنه أذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرةَ بصره، حتى خرج من المسجدِ، فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

أما هذا فقد عصى أبا القاسمِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وفي الجامع الصغير عن سيدي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (من أدرك الأذانَ في المسجِدِ ثم خرجَ، لم يخرج لحاجته، وهو لا يريد الرجعةَ، فهو منافقٌ)!

- ومنها: أن يتخذ المسلم المسجد طريقًا ولا يصلي فيه ركعتين:

ففي السلسلة الصحيحة عن سيدي عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه: (من اقتراب الساعة – أو من أشراط الساعة – أن تتخذ المساجد طرقًا)!

وفي السلسلة الصحيحة عن سيدي عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين)!

وفي صحيح الجامع عن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلًا فيقال: لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يظهر موت الفجأة)!

- ومنها: أن يأتي يوم الجمعة، أثناء الخطبة، ويجلس، ولا يصلي ركعتين:

ففي البخاري عن سيدي جابر رضي الله تعالى عنه قال: دخَل رجلٌ يومَ الجمعةِ، والنبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يخطب، فقال: أصليت؟ قال: لا، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (قم فصل ركعتين).

وفي البخاري عن سيدي أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إذا دخَل أحدكمُ المسجدَ، فلا يجلس حتى يصلي ركعتينِ).

- ومنها: تأخير الجماعة عن وقتها:

ففي صحيح النسائي عن سيدي أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعًا: (كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها)!؟

قال: ما تأمر؟

قال: (صل الصلاة لوقتها، ثم اذهب لحاجتك، فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد فصل)!

- ومنها: تشبيك اليدين، في الطريق إلى المسجد، أو فيه:

ففي صحيح أبي داود، عن أبي ثمامة الحناط القماح، أنّ سيدي كعبَ بنَ عُجرةَ أدركه وَهو يريدُ المسجدَ، قال: فوجدني وأنا مشبكٌ بيديَّ، فنهاني عن ذلكَ، وقال: إنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (إذا توضأ أحدكم، ثم خرج عامدًا إلى المسجد، فلا يشبكن يديه؛ فإنه في صلاة)!

وفي شرح البخاري لابن بطال، والترغيب والترهيب، وغيرهما، عن مولىً لسيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه كان مع أبي سعيدٍ، وهو مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد، فرأَى رجلًا جالسًا وسط الناسِ، قد شبك بين أصابعه، يحدث نفسه، فأومأ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يفطن، فالتفت إلى أبي سعيدٍ فقال: إذا صلى أحدكم فلا يشبكنَّ بين أصابعهِ؛ فإنَّ التشبيكَ من الشيطانِ، وإنَّ أحدكم لا يزال في صلاةٍ ما دام في المسجدِ حتى يخرج منه)!

وفي صحيح الترغيب عن سيدي كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له: (يا كعب! إذا كنت في المسجد فلا تشبكن بين أصابعك؛ فأنت في صلاة ما انتظرت الصلاة).

- **ومنها: التوطن في مكان واحد؛ على سبيل الاستعلاء، أو أذى الناس:**

كثيرًا ما يضع أحدهم سجادة صلاته، في مكان يعجبه، فلا يجرؤ أحد أن يجلس مكانه، لأنه شخصية مهمة في المجتمع، أو لأنه باني المسجد!

وكثيرًا ما يزعج من يجده جالسًا مكانه، ويرفع صوته، ويسيء، وهذا من الأمور المنهي عنها شرعًا، لأن المسجد ليس لأحد – حتى الذي بناه – فهو مجرد واحد من المسلمين، لا تميز له عنهم، ولا علو بسبب ما فعل، فالعمل لله تعالى وليس للبشر، والمسجد بيت الله تعالى، وليس ملك بانيه؛ يقول ربنا تبارك وتعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا) الجن:18.

وفي صحيح سنن أبي داود عن سيدي عبد الرحمن بن شبل الأنصاري رضي الله تعالى عنه وأرضاه، قال:

نهى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير!

ومنها إيذاء الناس بالجهر في المسجد:

ففي البخاري عن سيدي السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال:

كنتُ قائمًا في المسجدِ، فحصبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطابِ، فقال: اذهب فأتني بهذين، فَجئته بهما، قال: من أنتما، أو: من أين أنتما؟ قالا من أهل الطائفِ، قال رضي الله تعالى عنه: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

وفي تفسير ابن كثير بسند صحيح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال: أتدري أين أنت؟

وفي سنن أبي داود عن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: اعتكف رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر،

وقال: (ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة) أو قال: (في الصلاة)!

ومنها عدم الصلاة مع الجماعة القائمة:

ففي صحيح ابن خزيمة عن سيدي يزيد بن الأسود العامري السوائي رضي الله تعالى عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته، فصليت معه صلاة الفجر في مسجد الخيف – يعني مسجد منى – فلما قضى صلاته إذا هو برجلين في آخر القوم، ولم يصليا معه، فقال صلى الله عليه وسلم: (علي بهما) فأتي بهما ترعد فرائصهما!

فقال صلى الله عليه وسلم: (ما منعكما أن تصليا معنا)؟

قالا: يا رسول الله. كنا قد صلينا في رحالنا!

قال صلى الله عليه وسلم: (فلا تفعلا؛ إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد جماعة، فصليا معهم، فإنها لكم نافلة)!

ومنها ترك المسجد المجاور، وتتبع المساجد:

ففي الجامع الصغير عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (لِيصلِّ الرجلَ في المسجدِ الذي يليه، ولا يتبعِ المساجدَ)!

ومنها ترك المسجد الجامع واللجوء للمصليات:

ففي الجامع الصغير عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (الصلاةُ في المسجدِ الجامعِ تعدلُ: الفريضةَ حجةً مبرورةً، والنافلةُ كحجةٍ متقبلةٍ، وفُضلتْ الصلاةُ في المسجدِ الجامعِ على ما سواهُ من المساجدِ بخمسمائةِ صلاةٍ)!

ومنها اللغو:

ففي صحيح سنن النسائي، عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من قالَ لصاحبه يومَ الجمعة والإمامُ يخطب: أنصتْ، فقد لغا)!

وفي صحيح الجامع الصغير عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (مَن توضأَ يومَ الجمعةِ، فأحسن الوضوءَ، ثُم أتَى الجمعةَ، فدَنا، واستمع، وأنصت، غفر له ما بَينهُ و بين الجمعةِ الأُخرى، وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ، ومن مسَّ الحصى فقد لغا)!

ومنها التفريق بين المسلمين حسًّا أو معنى:

في صحيح البخاري، عن سيدي سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من اغتسلَ يومَ الجمعةِ، وتَطهرَ بما استطاعَ من طهرٍ، ثمَّ ادهن أو مسَّ من طيبٍ، ثمَّ راحَ فلمْ يفرقْ بينَ اثنينِ، فَصلى ما كُتب لهُ، ثم إذا خرجَ الإمامُ أنصتَ، غفر له ما بينه وبينَ الجمعةِ الأخرى)! وفي صحيح سنن أبي داود، عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (لا يحلُّ لرجلٍ أن يفرق بينَ اثنينِ إلا بإذنهما)!

ومنها تخطي الرقاب وأذى الناس:

ففي صحيح الجامع، عن سيدي أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (من اغتسل يوم الجمعة، واستاك، ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد، ولم يتخط رقاب الناس، ثم ركع ما شاء الله أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام، فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى)!

ومنها مدافعة الإمامة وندرة الحفظة لكتاب الله تعالى:

ففي سنن أبي داود، وتخريج المشكاة، عن سيدتي سلامة بنت الحر رضي الله تعالى عنها مرفوعًا: (إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماما يصلي بهم).

من أخطاء السلوك والمعاملات

وهناك جملة أخطاء في السلوك والتعامل، أورد منها:

ليست المساجد محلات للبيع والشراء، وعقد الصفقات، وطلب المفقودات:

ففي صحيح مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (من سمع رجلًا ينشد ضالّة – يسأل عن شيء ضائع – في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لهذا).

وفي مسلم عن سيدي بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (من دعا إلى الجمل الأحمر)؟ فقال رجل: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا وجدت؛ إنما بنيت المساجد لما بنيت له)!

وفي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتياع، وعن تناشد الأشعار في المساجد!

لا تحل الاستهانة بنظافة المسجد وإكرامه:

ففي مسلم عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه: بينما نحن في المسجدِ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إذ جاء أعرابيٌّ، فقام يبولُ في المسجدِ، فقال أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: لا تُزْرموه. دعوه، فتركوه حتى بال!

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم دعاه فقال له: (إن هذه المساجدَ لا تصلح لشيءٍ من هذا البولِ ولا القذرِ. إنما هي لذكر اللهِ عز وجل، والصلاةِ، وقراءةِ القرآنِ)، أو كما قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فأمر رجلًا من القومِ، فجاء بدلو من ماءٍ، فشَنَّهُ عليه!

وفي صحيح الترغيب عن مكحول، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبال بأبواب المساجد.

وفي صحيح سنن النسائي عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: أن أعرابيًّا بال في المسجد، فقام إليه بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه)، فلما فرغ، دعا بدلو من ماء، فصبه عليه!

وفي صحيح الجامع عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها)!

وفي الجامع الصغير عن سيدي قرصافة جندرة بن خيشنة الكناني رضي الله تعالى عنه مرفوعًا (ابنوا المساجد، وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى لله بيتًا، بنى الله له بيتًا في الجنة، وإخراج القمامة منها مهور الحور العين).

وفي صحيح الجامع عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء، إنما هي لقراءة القرآن، وذكر الله، والصلاة).

الريح غير الطيبة التي تؤذي الناس في المسجد:

ففي مسلم عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، قال: لم نعد أن فتحت خيبر، فوقعنا – أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – في تلك البقلة – الثوم – والناس جياع، فأكلنا منها أكلًا شديدًا، ثم رحنا إلى المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح، فقال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئا فلا يقربنا في المسجد)!

فقال الناس: حرمت، حرمت!

فبلغ ذاك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس! إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي؛ ولكنها شجرة أكره ريحها)!

وفي مسلم عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال، في غزوةِ خيبرَ: (من أكل من هذه الشجرةِ – يعني الثومَ – فلا يأتينَّ المساجد).

وفي سنن أبي داود عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل من هذه الشجرةِ فلا يقربن المساجد)!

ويدخل في ذلك الروائح النتنة التي يتأذي بها الناس، كالعرق الشديد، أو دخان الشيشة والسجائر، أو مادة في الثياب سيئة الرائحة بسبب العمل مثلًا..

وفي سنن أبي داود عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، قال: ذُكِرَ عند رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الثومُ والبصلُ، وقيل: يا رسولَ اللهِ: وأشدُّ ذلكَ كله الثومُ، أفتحرمُه؟! فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

(كلوه، ومَنْ أَكله منكم فلا يقربْ هذا المسجدَ؛ حتى يذهبَ ريحُه منه)!

وقد تعجب قارئي الكريم إن قلت إن بعض الروائح العطرية النفاذة والرخيصة تؤذي بعض الناس، وتمرضهم – حقيقة لا مجازًا – وتزعجهم إزعاجًا كبيرًا؛ حتى إن أحدهم ذكر لي أنه اضطر لترك الصلاة، من وجع شديد ألم برأسه، بسبب رائحة مصلٍّ بجواره!

وهذه نقطة تحتاج انتباهًا، ومراعاة فيما أزعم، والله تعالى أعلى وأعلم!

حمل شيء يحتمل أن يؤذي الناس:

لا يُحمل في المسجد شيء مسنن أو حاد كالزجاج؛ لئلا يؤذي المسلمين عن غير قصد، ففي الصحيحين عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ أنه أمر رجلًا، كان يتصدقُ بالنبل في المسجدِ، ألا يُمرَّ بها إلا وهو آخذٌ بنصولِها.

وفي صحيح سنن النسائي، ونحوه في البخاري: قلتُ لعمرٍو: أسمعتَ جابرًا يقولُ مرَّ رجلٌ بسِهامٍ في المسجدِ، فقالَ لَه رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (خُذ بنِصالِها)؟ قال: نعَم.

تخطي الرقاب والأكتاف:

لا يصح إيذاء الناس بتخطي رقابهم؛ ففي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فجعل يتخطى الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجلس؛ فقد آذيت، وآنيت)!

المرور بين أيدي المصلين:

ففي الصحيح عن سيدي أبي الجهيم ابن الحارث بن الصمة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، أن زيد بن خالدٍ أرسَله إلى أبي جُهيمٍ، يسأله: ماذا سمِع من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في المارِّ بينَ يديِ المُصلي؟ فقال أبو جهيمٍ: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لو يعلمُ المارُّ بين يدَيِ المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعينَ خيرًا له من أن يمرَّ بين يدَيه). قال أبو النَّضرِ: لا أدري، أقال: أربعينَ يومًا، أو شهرًا، أو سنةً!

البيع والشراء في المسجد والبحث عن الضوائع:

ففي أبي داود عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراءِ والبيعِ في المسجدِ، وأن تُنشد فيه ضالةٌ، وأن ينشد فيه شعرٌ، ونَهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة!

ليست أماكن للعنف والأذى، حتى العقوبة الشرعية:

ففي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (نهى عن جلد الحد في المساجد).

وفي سنن أبي داود عن سيدي حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه: نهى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود..

وفي الجامع الصغير عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (لا تقامُ الحدودُ في المساجدِ، ولا يقتلُ الوالدُ بالولدِ)..

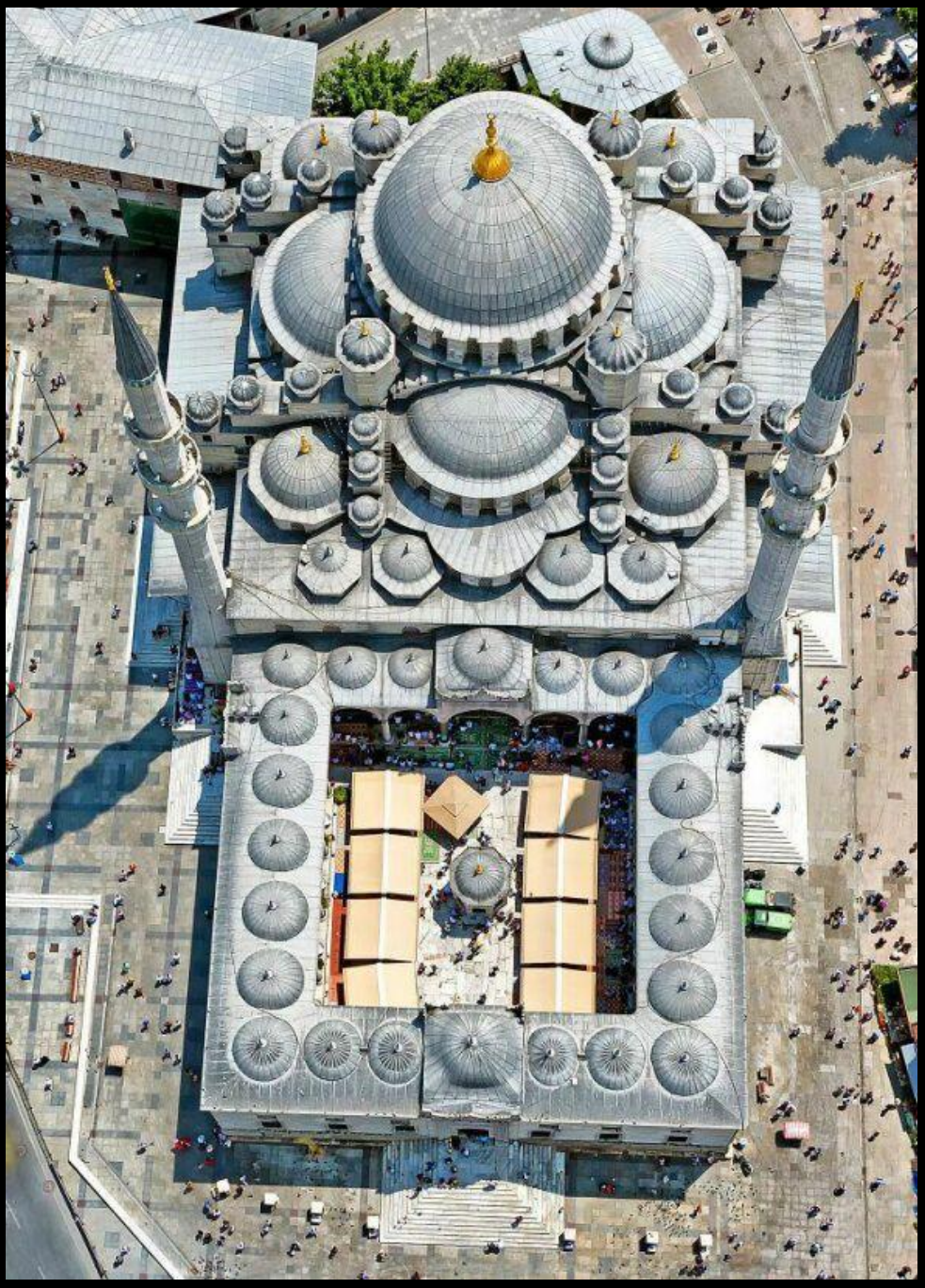

من لطائف المساجد وروادها

من لطائف المساجد ورواداها

في هذه الصفحات أورد بعد الملامح اللطيفة حول رواد المساجد وأحوالهم، وأسأله تعالى العون والتوفيق:

شهادة ربانية:

يقول الله تبارك وتعالى في وصف رجال المساجد: (في بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال* رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب) النور:36-38.

شهادة نبوية:

وفي الصحيحين عن أبي سيدي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله: اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه).

حمامة المسجد:

حمامة المسجد، وعائذ بيت الله تعالى، من ألقاب الصحابي الجليل، ابن الصحابي الجليل، ابن الصحابية الجليلة عبد الله بن الزبير بن العوام، وأمه الجليلة أسماء بنت الصديق أبي بكر، رضي الله تعالى عنهم أجمعين..

ولد رضي الله تعالى عنه في قباء في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة، وهو أول مولود من المهاجرين في المدينة، فرح المسلمون بمولده؛ لأنه أبطل حرب الشائعات النفسية لليهود القاطنين بالمدينة، فقد زعموا أنهم سحروا للمسلمين، فلن يولد لهم بعدُ مولود ذكر!

ما كان ينافسه أحد في العبادة، وقد أصاب الكعبة يومًا سيل منع الناس من الطواف إلا عبد الله؛ فقد طاف سباحة، ولما وصل الحجر غطس، فقبله، ثم رجع..

يقول ابن المنكدر عنه: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة!

ويقول آخر: ما رأيت أحسن صلاة منه، حتى كأنه عود من الخشوع!

ويروي مسلم بن يناق، أنه ركع مرة، فقرأنا البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه، كما في السير!

قيل إنه كان يحيي ليله كله فمرة ساجدًا، ومرة راكعًا، ومرة قائمًا يقرأ!

تقول عنه أمه ذات النطاقين أسماء رضي الله عنها: كان صوَّامًا قوَّامًا، حتى سُمي حمامة المسجد، وأخذ العلم من عائشة أفقه أهل المدينة، رضي الله عنهم أجمعين.

مات من آية!

هل تعرف التابعي زرارة بن أوفى الذي مات بسبب آية؟ إنه الإمام الكبير، قاضي البصرة، أبو حاجب العامري، البصري، أحد الأعلام، كما قال الحافظ الذهبي عنه في السير..

سمع عمران بن حصين، وأبا هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم، وروى عنه أيوب السختياني، وقتادة، وبهز بن حكيم ، وعوف الأعرابي، وآخرون. وقد وثقه الإمام النسائي وغيره. صح أنه في صلاة الفجر قرأ: (فإذا نقر في الناقور) فخر ميتًّا. وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين..

الشيخ محمد المدمس: القارئ الذي لا يتوقف!

ممن رأيت من أهل مسجد أبي شرف الدين في مدينتي: الشيخ محمد المدمس، ذلك الرجل الذي لم أره سائرًا قط في الشارع إلا وهو يقرأ القرآن حدرًا، بصوت خافت يُسمع به نفسه، لا يتوقف عن القراءة مطلقًا؛ إلا إذا سلم عليه أحد، رأيته في مدينتي عشرات المرات – إن لم تكن مئات – وكان رحمه الله نحيلًا متوسط الطول، أحول حولًا خفيفًا، بشوشًا باسم الوجه، صاحب مزحة إذا قاطعت تلاوته بطلب أو بسؤال أو بسلام.

نعم الميتة!

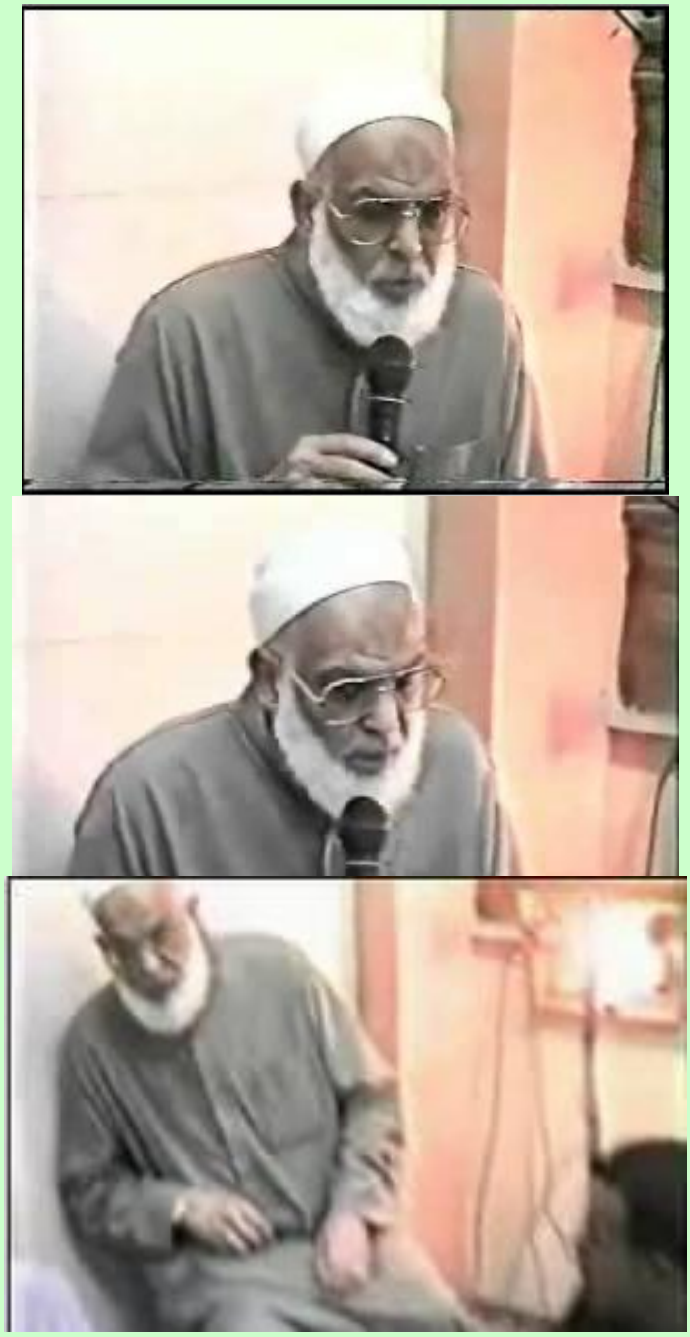

كان يلقي الدرس بالمسجد، فسقط الميكروفون من يده، ومال ميتًا دون أن يسقط أمام المصلين أجمعين، عليه رحمات الله ورضوانه

الموت في أثناء الصلاة

حسن الخاتمة من أهم ما يسأله العبد المؤمن الموفق ربَّه تبارك وتعالى، بعد أن علمنا من سيدي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أن المؤمن (يبعث على ما كان عليه) فاللهم أمتنا على حال ترضاها، وتغفر لنا بها، ساجدين لك أو راكعين، مخبتين، طامعين، في حرم نبيك صلى الله عليه وسلم..

وكم من المجاهيل مات على حالة مرضية من ركوع أو سجود أو تلاوة، وكم من المعروفين من مات كذلك على حال يغبط عليها!

فهاهو سيدنا عمر الفاروق الخليفة الراشد يموت شهيد المحراب، في مسجد حبيبه وحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم، إمامًا للناس في صلاة الفجر!

وهاهو سيدي ذو النورين عثمان رضي الله عنه وأرضاه يقتل وهو يتلو القرآن!

وسيدي أبو ثعلبة الخشني الصحابي الجليل يدعو فيستجاب له؛ ففي طبقات الشافعية بسنده قال: سمعت أبا الزاهرية يقول: سمعت أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه يقول: إني لأرجو ألا يخنقني الله عز وجل كما أراكم تخنقون عند الموت!

فبينما هو يصلي في جوف الليل قبض وهو ساجد، فرأت ابنته أن أباها مات، فاستيقظت فزعة فنادت أمها: أين أبي؟ قالت: في مصلاه، فنادته فلم يجبها، فأتته، فوجدته ساجدًا، فحركته فوقع لجنبه ميتًا رضي الله تعالى عنه وعن آبائنا!

وممن مات ساجدًا التابعي الإمام الفقيه العالم المفسر مجاهد بن جبر – من سادات التابعين – مات سنة **104** وهو في السجدة الثانية من الركعة الثالثة من الظهر، سجدها فانتظره من خلفه أن يرفع رأسه، ثم رفعوا رؤوسهم، وحركوه فوجدوه ميتًا!

ومنهم الشيخ المجاهد البصير عبد الحميد كشك رحمه الله تعالى، قبل وفاته في يوم الجمعة وقبل أن يتنفل قصَ على زوجته وأولاده رأى سيدنا النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم وسيدنا عمر بن الخطاب بالمنام، وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: سلم على عمر، فسلم عليه الشيخ كشك، ثم وقع على الأرض ميتًا فغسله الرسول صلى الله عليه

وسلم بيديه. فقالت له السيدة زوجته: – وهي التي قصت هذه الرؤيا – علمتنا حديث النبي أنه من رأى رؤيا يكرهها فلا يقصصها، فقال الشيخ كشك: ومن قال لك إنني أكره هذه الرؤيا، والله إنني أرجو أن يكون الأمر كما كان، ثم ذهب وتوضأ في بيته لصلاة الجمعة! وكعادته، بدأ يتنفل بركعات قبل الذهاب إلى المسجد، فدخل الصلاة وصلى ركعة، وفي الركعة الثانية، سجد السجدة الأولى، ورفع منها، ثم سجد السجدة الثانية وفيها توفي. وكان ذلك يوم الجمعة 26 رجب 1417 هـ الموافق ل 6 ديسمبر 1996م. وكان يدعو الله من قبل أن يتوفاه ساجدًا فكان له ما أراد، عليه رحمات الله ورضوانه!

ومنهم الشيخ عبد العزيز الشبل المدرس بالمسجد النبوي، الذي توفي أثناء صلاته في المسجد النبوي في الصف الأول في صلاة المغرب، رحمه الله!

ومنهم شيخ قراء حِمْص الشيخ عبد العزيز عيون السود رحمه الله توفي في سجوده، وكان ذلك في السَّاعة الرابعة قبل الفجر؛ 13 صفر1399 هـ 13/كانون الثاني1979 م!

ولم يقطع الله تعالى من زماننا الخير فانظر لهؤلاء الذين منّ الله عليهم:

www.knoon.com
2010/01/01 11:09:06
مات ساجدا وهو يصلي في بث مباشر

00:00:36
00:01:12
00:02:52
00:02:24

وهذا الذي يذهب للمسجد زحفًا!

HABBAT

يحكي متعة حياة الصلاة بـ المسجد

وهذا الكسيح المعذور!

وهذا المحاصر.. الأسد

البكاء في المسجد

كثيرًا ما لا يملك الصالحون أدمعهم من خشية الله تعالى في المسجد، لما تبعثه أجواؤها من الخشية والانكسار، والرغبة فيما عند الله تبارك وتعالى!

ففي أحمد وغيره عن سيدي عبد اللَّه بنِ الشِّخِّير رضي اللَّه عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء!

وفي الصحيحين عن سيدي عن ابن عمر، رضي اللَّه عنهما، قال: لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له في الصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء....

وفي الصحيحين عن سيدي أنس رضي اللَّه عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا) فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم، ولهم خنين!

وصلى سيدي تميم الداري رضي الله تعالى عنه ليلة حتى أصبح، أو قارب الصبح: وهو يقرأ آية، ويبكي مرددًا: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)!

وعن عاصم قال: سمعت شقيق بن مسلمة يقول وهو: ساجد رب اغفر لي، رب اغفر لي، إن تعف عنى تعف عنى فمن فضلك، وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي!

قال: ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.

وروى أحد أقرباء رباح بن عمرو القيسى قال: كنت أدخل عليه في المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه البيت وهو يبكي! فقلت له: أنت دهرك في مأتم!؟

فبكى ثم قال: يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا.

المسجد في المنام:

لأهل تعبير الرؤى تأويلاتهم في رؤية المسجد منامًا، فقالوا:

- المسجد هو في المنام رجل عالم.
- ومن رأى أنه يبني مسجدًا فإن ذلك يدل على خير وسنة، وصلة الأرحام، وتولية القضاء إن كان أهلًا لذلك.
- ومن رأى مسجدًا عامرًا محكمًا فإنه رجل يجمع الناس عنده، ويؤلف بينهم في صلاح وخير.
- وإن رأى مسجدًا انهدم فإنه يموت هناك رئيس عالم صاحب دين ونسك.
- وإن رأى أن رجلًا مجهولًا صلّى في المسجد، وكان إمام المسجد مريضًا فإنه يموت.
- وإن رأى أن بيته تحول مسجدًا أصاب برًّا ونسكًا وشرفًا.
- وإن رأى أن مسجدًا تحول حمامًا فإن رجلًا مستورًا يفسق، والعياذ بالله تعالى.
- والمسجد يدل على السوق والتجارة.
- ومَن بنى مسجدًا قربة للّه تعالى أقام الحق، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وإن كان عالمًا صنف كتابًا فانتفع الناس بعلمه، وإن كان غنيًّا أدى زكاة ماله، وإن كان عازبًا تزوج، وإن كان متزوجًا رُزِق ولدًا، وذاع ذكره الصالح، وإن كان فقيرًا استغنى، وإلا جمع بين الناس في الخير، وأعانهم على طاعة الله.
- وإن بناه بما لا يجوز به البناء، أو انحرف فيه المحراب إلى غير جهته دلّ على الشر.
- ومن رأى أنه يبني مسجدًا فإنه يتفقه في الدين أو يحج، أو يبني ما يدوم مثل حمام أو فندق أو حانوت أو غير ذلك.
- ومن رأى أنه يسقف مسجدًا فإنه يعول يتامى!
- وإن زاد في المسجد فإنه يزيد في دينه من عمل صالح أو خلق حسن.
- وإن انتقل الحانوت فأصبح مسجدًا دلّ على الكسب الحلال، أو يخلط الحلال بالحرام، أو يجمع بين الحرائر وإلا ماء.

- والمساجد المهجورة تدل على إهمال العلماء، وإبطال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدل على الزهاد المنقطعين عن الدنيا!
- ومن رأى أنه دخل من باب المسجد فخر ساجدًا فإنه يرزق توبة قال تعالى: (وادخلوا الباب سجدًا، وقولوا حطة؛ نغفر لكم خطاياكم).
- ومن رأى أنه وصل إلى المسجد فوجده مغلقًا ففتح له فإنه يعين رجلًا في دين عليه، ويخلصه منه، ويحسن ثناؤه عند الناس!
- ومن رأى أنه دخل المسجد وهو راكب فإنه يقطع قرابته بنفسه، يمنعهم من رفده.
- ومن رأى أنه يموت في المسجد يدل على الغلبة على الأعداء، لقوله تعالى: (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدًا)!
- ودخول المسجد الحرام المكي يدل على الأمن من الخوف وصدق الوعد!

الجامع في المنام:

- وأما الجامع في المنام فيدل على الملك لقيامه بأمور الدين، والحاكم الفاصل بين الحال والحرام، والسوق الذي يقصد الناس فيه الربح، ويخرج كل إنسان منه بربح على قدره وعمله.
- ويدل على كل من تجب طاعته من والد وأستاذ ومؤدب وعالم. ويدل على تحقق العدل لمن دخله في المنام مظلومًا. ويدل على القرآن الكريم لكثرة الوارد منه. ويدل على المقبرة التي هي مكان الخشوع والغسل والطيب والصمت والتوجَه إلى القبلة. ويدل على ما يستعان به على الأعداء كالحصن الحصين للأمن من الخوف.
- وسقوف المسجد خواص الملك والمطلعون على أحواله.
- والعَمَد أكابر الدولة وأمراؤها. وحُصره بسط عدله وعلماؤه الذين هم تحت طاعته.
- وأبوابه حجّابه. ومئذنته نائبه أو صاحب أخباره. وإن دلّ على الحاكم فأعمدته أوقاته! ومصابيحه فضلاء عصره وفقهاؤه! وحصره بسط أحكامه أو ما يلقيه عليهم من العلوم! وسقفه كتبه التي تستره ويُرجع إليها!

- ومئذنته هي القائم بجمع الناس لما يلقيه عليهم من الفضل!
- ومحرابه زوجته أو ما دلّ على الرزق الحلال!
- والمنارة وزير وإمام!
- وربما دلّت المنارة على مؤذنيها، والمصحف على قارئه، والمنبر على خطيبه، والباب على بوابه، والقيم على مصابيحه وفرشه، فما حدث في المسجد من زيادة أو نقص أو في شيء مما يختص به رجعت بذلك على ما دلّ عليه.
- وأمّا الجامع الذي تحمله ملوك الإسلام في أسفارهم ويقيمون لصلاة الأعياد وغيرها، فإنه يدل على إقامة الدين، وعلو كلمة المسلمين، والنصر على أعدائهم، وحكمه في التأويل حكم ما ينصبون من الدهاليز المشرعة التي يُعبّر بها عن القلاع.
- وجامع المدينة يدل على أهلها، وأعاليه رؤساؤها، وأسافله عامتها، وأساطينه أهل الذكر، وعرابه امام الناس، ومنبره سلطانهم أو خطيبهم، وقناديله أهل العلم والخير والجهاد والحراسة في الرباط، وأما حصره فأهل الخير والصلاح، وأما مؤذنه فقاضي المدينة أو عالمها الذي يدعو الناس إلى الهدى ويُقتَدى بهديه وتُنفذ أوامره، ويؤمن على دعائه، وأمّا أبوابه فعمال وأمناء وأصحاب شرطة!

سر عاشق المساجد المهجورة

قصة عجيبة وجدتها على أحد المواقع، أسوقها لطرافتها ودلالاتها:

يقول راويها وعليه العهدة: ركبنا أنا وخالي سيارتنا، وأخذنا طريق العودة بعد أن صلينا الجمعة في مكة.

وبعدما سرنا قليلًا ظهر لنا مسجد مهجور، كنا قد مررنا به سابقًا أثناء قدومنا إلى مكة، وهو واضح حتى إن كل من يمر بالخط السريع يستطيع أن يراه..

وحين مررت بجانب المسجد، وأمعنت النظر فيه لفت انتباهي شيء ما: فقد كانت هناك سيارة فورد زرقاء اللون تقف بجانبه! وقد عهدته مهجورًا لا يصلي به أحد!

مرت ثوانٍ وأنا أفكر: ما الذي أوقف هذه السيارة هنا؟ وكان أن اتخذت قراري سريعًا، فخففت السرعة، ودخلت على الخط الترابي ناحية المسجد، وسط ذهول خالي الذي سألني: ما الأمر؟ ماذا حدث؟

أوقفنا السيارة في الأسفل، ودخلنا المسجد، وإذا بصوت عالٍ يرتل القرآن باكيًا، ويقرأ من سورة الرحمن سبحانه، فخطر لي أن ننتظر خارجًا، وأن نستمع لهذه القراءة، لكن الفضول كان قد بلغ بي مبلغه لأرى ماذا يحدث داخل هذا المسجد المهجور، المهدوم ثلثه، والذي لا يمر به حتى الطير!

دخلنا المسجد، وإذا بشاب قد وضع سجادة صلاة على الأرض، وفي يده مصحف صغير الحجم، يقرأ فيه ولم يكن هناك أحد غيره؟! أؤكد: لم يكن هناك أحد غيره!

قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

نظر إلينا الشاب مستغربًا حضورنا، وكأننا أفزعناه، ثم رد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

سألته: صليت العصر؟

قال: لا..

قلت لقد دخل وقت صلاة العصر، ونريد أن نصلي!

ولما هممت بإقامة الصلاة وجدت الشاب ينظر ناحية القبلة ويبتسم؛ لمن؟ ولماذا؟ لا أدري!

ثم قال جملة أدهشتني؛ قال – بالحرف الواحد – أبشر، وصلاة جماعة أيضًا!

نظر إلي خالي متعجبًا فتجاهلت تعجبه، ثم كبرت للصلاة، وعقلي مشغول بهذه الجملة:

أبشر، وصلاة جماعة أيضًا!

من يكلم وليس معنا أحد؟ فالمسجد كان فارغا مهجورًا، هل هو مجنون؟

بعد الصلاة أدرت وجهي لهم، ونظرت للشاب الذي كان مستغرقًا في التسبيح، ثم سألته: كيف حالك يا أخي؟

– بخير ولله الحمد!

– سامحك الله فقد شغلتني عن الصلاة؟

- لماذا أخي؟
- سمعتك وأنا أقيم الصلاة تقول: أبشر.. وصلاة جماعة أيضًا!

ضحك ورد قائلًا: وماذا في ذلك؟

- لا شيء، ولكن مع من كنت تتكلم؟

ابتسم ثم نظر للأرض، وسكت لحظات، وكأنه يفكر: هل يخبرني أم لا؟

تابعت قائلًا: شكلك هادئ جدًّا، وصليت معانا، وما شاء الله!

نظر لي، ثم قال: كنت أكلم المسجد!

نزلت كلماته علي كالقنبلة، وجعلتني أفكر فعلًا: هل هذا الشخص مجنون!

قلت متسائلًا: نعم؟ كنت تكلم المسجد؟ وهل رد عليك المسجد؟

تبسم ثم قال: توقعت أنك ستتهمني بالجنون! وهل الحجارة تتكلم؟ هذه مجرد حجارة!

تبسمت وقلت: ما دامت لا ترد ولا تتكلم فلم تكلمها؟

نظر إلى الأرض حينًا وكأنه ما يزال يفكر، ثم قال دون أن يرفع عينيه:

أنا إنسان أحب المساجد، كلما عثرت على مسجد قديم أو مهدم أو مهجور أفكر فيه، أفكر عندما كان الناس يصلون فيه، وأقول لنفسي:

يا الله! كم هذا المسجد مشتاق لأن يصلي فيه أحد؟

كم يحن لذكر الله! أحس به! أحس إنه مشتاق للتسبيح والتهليل، يتمنى لو أن آية واحدة تهز جدرانه!

أحس أن المسجد يشعر أنه غريب بين المساجد، يتمنى ركعة، سجدة ولو من عابر سبيل يقول فيه: الله أكبر.. فأقول لنفسي:

والله لأطفئن شوقك، والله لأعيدن لك بعض أيامك، ثم أدخل، وأصلي به ركعتين لله تعالى، ثم اقرأ فيه جزءًا كاملًا من القرآن الكريم!

لا تقل إن هذه فعل إنسان غريب، لكني والله أحب المساجد!

دمعت عيناي، ونظرت في الأرض مثله لكي لا يلحظ دموعي: من كلامه، من إحساسه، من أسلوبه، من فعله العجيب، من رجل تعلق قلبه بالمساجد!

لم أدرِ ما أقول، واكتفيت بجزاك الله كل خير، ثم سلمت عليه، وقلت له: لا تنسني من صالح دعائك..

ثم كانت المفاجاة المذهلة، حين قال – وأنا أهم بالخروج من المسجد – وعينه ما تزال ناظرة للأرض:

أتدري بماذا أدعو دائمًا وأنا أغادر هذه المساجد المهجورة بعد أن أصلي فيها؟

نظرت إليه مستفهمًا، فاستطرد:

أقول: اللهم إن كنت تعلم أني آنست وحشة هذا المسجد، بذكرك العظيم، وقرآنك الكريم، لوجهك يا رحيم، فآنس وحشة أبي في قبره، وأنت أرحم الراحمين!

حينها شعرت بالقشعريرة تجتاح جسدي، وبكيت كثيرًا.. بكيت كطفل صغير!

العجوز والملك وبيت الله تعالى

يحكون أن ملكًا من الملوك أراد أن يبني مسجدًا في مدينته، وأمر ألا يشارك أحد في بناء هذا المسجد لا بالمال ولا بغيره، ليكون من ماله فقط دون مساعدة من أحد، وحذر وأنذر من أن يساعد أحد في ذلك!

وفعلًا تم البدء في بناء المسجد، وتأنق صانعوه في صنعته، حتى أتموه بما يليق بالملك، ووضعوا اسمه عليه!

وذات ليلة رأى الملك كأن ملكًا نزل من السماء، فمسح اسمه عن المسجد، وكتب اسم امرأة لا يعرفها!

فلما استيقظ استيقاظ الغضبان أرسل جنوده؛ ينظرون إذا كان اسمه لا يزال على المسجد، فذهبوا ورجعوا قائلين:

نعم سيدنا؛ إن اسمكم الكريم ما يزال مكتوبًا على لافتة المسجد، ولما علم بعض مقربيه بالأمر قالوا له مطمئنين: هذه يا مولانا الملك أضغاث أحلام!

لكنه لسوء حظه رأى الليلة الثانية الرؤيا نفسها: رأى الملك ينزل من السماء فيمسح اسمه عن المسجد، ويكتب اسم المرأة، لئلا يهنأ له نوم، ويتربص انبلاج الصبح، ليرسل جنوده كي يتأكدوا أن اسمه ما يزال موجودًا على المسجد، وتكرر ردهم: نعم يا مولانا الملك: الأمر على حاله!

وتتكرر الرؤيا في الليلة الثالثة، ليحفظ الملك اسم المرأة، ويأمر بالبحث عنها، وإحضارها!

وفعلًا أحضر العسس عجوزًا فقيرة ترتعش!

فسألها الملك في غضب: هل ساعدت في بناء المسجد؟ ألم أنه عن ذلك؟

قالت: يا مولاي الملك: أنا كما ترى عجوز وفقيرة، وقد سمعتك تنهى أن يساعد أحد في بناء المسجد، ولا يمكنني أن أعصي أمرك!

قال الملك: إذن فماذا صنعت، دون أن تنتبهي أنه ربما ساعد في بناء المسجد؟

قالت: والله ما عملت شيء قط في بناء هذا المسجد إلا...

قال الملك: نعم.. إلا.. إلا ماذا؟

قالت: إلا أنني مررت ذات يوم من جانب المسجد، فإذا دابة من تلك التي تحمل الأخشاب وأدوات البناء للمسجد، مربوطة بحبل إلى وتد في الأرض، وبالقرب منه سطل به ماء، وأراد الحيوان أن يقترب ليشرب، فلم يستطع بسبب الحبل! وكان العطش قد بلغ منه مبلغًا شديدًا، فتقدمت وقربت سطل الماء، فشرب.. هذا والله الذي صنعت!

فقال الملك: إيهٍ؛ عملت هذا لوجه الله تعالى، فقبل سبحانه منك، وأنا عملت عملي ليقال مسجد الملك، فلم يقبل الله مني!

ثم أمر أن يكتب اسم العجوز الصادقة على الباب!

موازنة بين المسجد والسوق

في مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أحب البقاع إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)!

وفي إطار الموازنة بين المسجد والسوق كتب أحد اللطفاء – ولم أجد اسمه – قائلًا: في يوم من الأيام اجتمع قوم في مجلس، ودار بينهم حديث الناس وما هم فيه من أمور الدنيا، فقال أحدهم إنه كثير التسوق والتبضع، فقاطعه آخر ناصحًا بأن يحرص على ارتياد المساجد كما يحرص على ارتياد تلك الأسواق!

وصل الكلام إلى مسامع كل من السوق والمسجد، فدارت بينهما مناظرة يفتخر فيها كل منهما بميزاته!

وقد بدأ السوق الحديث ساخرًا من المسجد فقال:

ما أكبر حجمك أيها المسجد؟ مسكين أنت أيها الجميل! ما أجمل شكلك! وما أقل أهلك!

لقد هجرك الناس، فلا يدخلونك إلا لحظات، لكنهم حين يزرونني يقضون في الساعات تلو الساعات!

صندوقك خال إلا من بعض الريالات، وعلى أعتاب محلاتي تنشر المئات ومئات المئات، وتكتب الشيكات والإيصالات!

فرد المسجد: الحمد لله العزيز القهار، مصرف الليل والنهار، ومقدر الأقدار، الذي فاضل بين ظلمة الليل وضوء النهار.

أنا بيت الله فقل لي بيت من أنت؟!

أنت أبغض الأماكن التي تتجمع فيها الناس، ينصب الشيطان فيك رايته، ويبلغ غايته. الغش شعارك، والكذب رايتك، أفسدت القلوب، وأفرغت الجيوب، تجذب إليك الضعيفات بما تسميه التخفيضات، من يتقي الله فيك قليل، وحبل الشر فيك طويل!

الناس فيك بين معاكس ولاعب، ومنفِّق سلعته بالحلف الكاذب، وفتاة متبرجة، بكل أسلحة الفتنة مدججة؛ في ثوب يلوح، وعطر يفوح، فيلقي فيك مصيدته كل فاسق، لأنه بوقوع فريسته فيك واثق، فكم جلبت الويلات، وعلى صفحات الجرائد نشرت قصص وآهات. لقد أذهبت الحسنات، وأتعبت الهيئات!

السوق :

رفوفك قد عشش فيها العنكبوت، وبعض الناس لا يدخلونك إلا بعد أن يموت، بينما يزورني الناس صباح مساء، بلا دعوة مني أو نداء، ويرتفع نداؤك خمس مرات، فلا يجيبك إلا قلة لم تأسرهم شاشات القنوات!

ألا ترى كيف يتهافت الناس إلي، ويرفعون لافتتي في كل شارع وحي! بل صرت تلحق في كل سوق كما تلحق الإبل النوق، وأصبح الناس يقولون هذا مسجد السوق، فيكفيك فخرًا أنهم نسبوك إلي!

المسجد :

كم وقعت فيك من جريمة، وأوذيت فيك من كريمة، وكم أفسدت على حر حريمه؛ الحياء فيك منحور، والمال فيك مهدور، والمؤمن غيور مقهور، وكل محب بالشهوات بما لديك مسرور، ولو أردت شرح الحال لأتعبني المقال، وما كل ما يعلم يقال.

السوق:

وإن كنت ستفخر علي بشهر رمضان، فلا تنس أنني أحق منك بهذا الزمان، يستعد الناس فيه للعيد، بكل لبس جديد، وفي كل يوم يطلبون المزيد، ولا تسأل عن ليلة العيد!

وأزيد عليك بمواسم الأعراس، حينما تضيق محلاتي بالناس، وتجد لدي كل فتاة ما تحتاجه لليلة العمر، وما يجعلها تبدو كالقمر ليلة البدر، بل قد يشد إلي بعض الناس الرحال، حينما يكونون ميسوري الحال، فأسواق لندن وباريس، لم تعد حكرًا على أولئك الأباليس، وروادها من المسلمين العرب، أكثر من نمل على قصب.

فقل لي بربك هل بقي لك فضل علي؟ أم تجرؤ أن تكتب لي؟

رد المسجد وقد امتلأ ثقة بنفسه: ما تعلق قلب بي إلا وعرش الرحمن يوم القيامة ظله، وما فتن قلب بك إلا عن الخير تصده وتضله، فلم تخرج لنا حافظًا، ولم نسمع فيك واعظًا!

ولا غرو ولا عجب،؛ فإنك لا تجني من الشوك العنب، فلم تسطر على مر التاريخ مجدًا، ولم تحرر عبدًا، لأن لواء الجهاد الخفاق، لا يعقد في الأسواق!

وسينقذني من الأسر والهدم قوم لم يعرفوا التسكع في جنباتك، ولم يعرفوا لافتاتك، لأنهم تربوا في أطهر الرحاب، فحفظوا الكتاب وعشقوا المحراب، فلم تزغ قلوبهم فتن الزمان العجاب.. هذا مني تمام الجواب، وفصل الخطاب، وقل بعد ذلك ما شئت، فلن يضر السحاب نبح الكلاب! والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته!

القُصّاص والمساجد

القُصّاص والمساجد

تعشق العقلية العامية الخرافة، وتستروحها، خصوصًا إذا كانت تقدم لها حلول سهلة وسحرها، وتوفر لها جنة دون عمل، ولا جهد، ولا اتباع ولا صدق، كما تستهويها القصص الحافلة بالمبالغات، والخيال، والحكايا..

وهذا ما استفاد منه وظفه عدد من الوعاظ القُصاص من قرون بعيدة، الذي يستخدمون القصص الموضوعة، والتلفيقات المخترعة، ويلبسونها عباءة الدين، وينسبونها لله تبارك وتعالى، أو للأنبياء، أو للصالحين والأولياء، وما دامت كذلك فهي عندهم دين من الدين، ومعتقَدٌ لا يُتخلى عنه! مع أنها بموازين الثبوت والوثوقية لا تصح، وبموازين الشرع تخالف، وبموازين العقل تسخُف وتسيء!

ولا يزال هؤلاء القصاص موجودين في المناطق الشعبية من خلال (الموالدية) والمنشدين الشعبيين الذين يخترعون حكايا عجيبة، مثل (الورد كان شوك لاجل النبي فتّح) و(أحمر الخدين وكحيل العين) وقصص العشق الإلهي، وما ينسب لبعض الأولياء من مخاريق مخالفة للعقل الصحيح والنص الصريح والفطرة القويمة!

وقد تحدثت عن بعضها في كتابي عن (الألوهية في العقائد الشعبية).. لكنني الآن أسلط الضوء على أحوال وأقوال وأقاصيص بعض هؤلاء المذكرين، من خلال كلام وروايات علماء السلف عنهم، وهم الذين أفردوهم بالتأليف، كما فعل الحافظ السيوطي

في تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، وكما فعل الحافظ العراقي في كتابه الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، وكتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي وغيرها..

وهذه نتف عن هؤلاء القصاص القدامى، من كتب القصاص والمذكرين:

من صفات هؤلاء القصاص الجرآء:

يثق بهم العامة ولا يثقون بالعلماء:

قد يثق بهم العامة ولا يثقون بالعلماء، لقدرتهم على التعامل مع البسطاء واستمالة قلوبهم! قال ابن الجوزي:

كان في مسجد قاص، يقال له: زرعة، فأرادت أم أبي حنيفة أن تستفتي في شيء فأفتاها أبو حنيفة، فلم تقبل، وقالت: لا أقبل إلا ما يقوله زرعة القاص!

فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة، فقال: هذه أمي، تستفتيك في كذا وكذا، فقال: أنت أعلم مني وأفقه، فأفتها أنت، فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا،

فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت!

كذبة وعدوانيون يسترون جهلهم وبهتانهم بالتهجم!

وهم كذبة أحيانًا وعدوانيون يسترون جهلهم وبهتانهم بالتهجم! قال ابن الجوزي:

وسجد رجل منهم فقال في سجوده: سجد وجهي لماص بظر أمه!

قال الكرخي: وسمعت الحسين الكرابيسي، يقول: كان هاهنا ببغداد قاص يقال له أبو مرحوم الحجام، كان يكون في مسجد، ويجتمع الناس إليه، فقال يومًا: سلوني عن التفسير، وتفسير التفسير، فقام رجل وراء الدرابزين، فقال: يا أبا مرحوم، فقال: طعنة يا ابن الفاعلة!

فقال له: رجل دعا لك ثم تقول له مثل هذه المقالة؟

فقال: نعم، ألم تسمع قول الله تعالى: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال: ماذا تقول في المزابنة والمحاقلة؟ قال: المحاقلة حلق الثياب عند السمسار، والمزابنة أن تسمي أخاك المسلم زبونًا!

وقال الكرابيسي: وأنا قاعد ذات يوم على باب داري، مر بي شيخ محلوق الرأس واللحية، معه زنبيل فيه خيار أصفر، فقلت: يا شيخ، لم حلقت رأسك ولحيتك؟

قال: حكم الكتاب والسنة، قلت له: أيش من حكم الكتاب والسنة؟

قال: قال لنا أبو مرحوم: إن هذا الشعر نبت على الضلالة، فاحلقوها على الطاعة، قال: فحمل الناس على أن حلقوا لحاهم!

وقال ابن الجوزي: وبلغنا عن سيفويه، أنه كان راكبًا حمارًا، فمر بمقبرة فنفر حماره عند قبر، فقال: ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطارًا!

وقرأ يومًا: (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه) فقال: هذه خلقت لبغل ووصيف، فأما أنتم، فيكفيكم شريط بدانق ونصف!

وسئل: إذا اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف تعمل؟ فقال: يبعث لهم أنهار دبس ودقيق وأرز ويقال: اعملوا وكلوا واعذرونا.

وهم سريعو البديهة يحسنون التخلص

وقال أبو كعب القاص في قصصه يومًا: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا! فقالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب؟! فقال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف!

وروي أن الهروي شمس ابن عطاء الرازي المتوفي سنة 887 هـ، كان من أعوان تيمورلنك، وكان عريض الدعوى في الحفظ، فاستعظم الناس ذلك، فجعل له مجلس لامتحانه، وكان من جملة ما سئل عنه حينئذ:

هل ورد النص على أن المغرب تقصر في السفر؟ فقال: نعم، جاء ذلك في كتاب (الفردوس) لأبي الليث السمرقندي، فلما انفصلوا ورجعوا على كتاب أبي الليث لم يجدوا فيه ذلك، فقيل له في ذلك؟

فقال: لكتاب السمرقندي هذا ثلاث نسخ،كبرى، ووسطى، وصغرى، وهذ الحديث في الكبرى، ولم تدخل الكبرى هذه البلاد! فاستُشعر كذبه من يومئذ!

وسيأتي مزيد من ذلك فيما سيلي:

ويخترعون قصصًا حمقاء مخالفة للشرع يتأثر بها العامة:

قال ابن عقيل: وذلك مثل ما يروى أن أبا يزيد تراعنت عليه نفسه، فحلف ألا يشرب الماء سنة!

ومثل ما ينقل أن امرأة نظر إليها رجل، فقالت له: ما الذي أعجبك مني؟ فقال: عيناك!

فدخلت بيتها وقلعت عينيها وأنفذتهما إليه في قرطاس!

وأن قوما قيّروا أعينهم (فقؤوها بالقار (الزفت) حتى لا ينظروا على زهرة الدنيا!

قال ابن الجوزي رحمه الله: ويبكي عند سماع هذه الأغمار الجهال بالشرع، ويحسبون ذلك مقامًا من المقامات، ولو فطن الموردون لهذا أنه طعن في العقل والدين لما سردوا هذه القبائح على الجهال، ووجه القبح أن الهياكل والأنفس ملك لله سبحانه وودائع عندنا، فلا يجوز لنا أن نضع عقوبة من قبل أنفسنا ولا نستوفيها منا، ويدل عليه أن إقامة الحد على نفس الإنسان بنفسه لا يجزي، وإن فعله أعاده الإمام.

ومنهم من اجترأ على الله تبارك وتعالى ووصفه بصفات النساء:

قال ابن الجوزي: ومن القصاص من يخرج الكلام في المحبة إلى فن آخر، فيحمل صفة الحق عز وجل على حديث سعدى ولبنى، ويشير بهذا إلى ذاك، والعامي لا يفهم المراد، فإن أفلح وفهم تخايل وجود صورة مستحسنة يشتاق إليها، فيطيش، ويصيح، ويمزق ثيابه!

قال ابن عقيل: أخذ بعض الوعاظ الأعاجد يقول:

يا موسى، من تريد؟ قال: أخي هارون!

يا محمد: من تريد؟ قال: عمي وأمي!

يا نوح، من تريد؟ قال: ابني!

يا يعقوب، من تريد؟ قال: يوسف!

ثم قال: كلكم يريد مني؟ أين من يريدني؟ ثم احتد وصك الكرسي صكة!

قال: يا قارئ، اقرأ (يريدون وجهه) فقرأ القارئ، وضج المجلس وصعق قوم، وخرقت ثياب قوم بشعبذة ذاك، فاعتقد قوم أن ما ذكره لباب الحق، وعين العلم!

فحكي ذاك المجلس لحنبلي، يعني ابن عقيل نفسه، فأخذه من ذلك ما يأخذ العلماء من الغيرة على الله عز وجل من كلام الجهال به، فاحتد وقال: سبحان الله، وما الذي بين الطين والماء، وبين خالق السماء من المناسبة؛ حتى يكون بينه وبين خلقه إرادة له، لا إرادة منه؟

يا متوهمة الأشكال في النفوس، يا مصورين البارئ سبحانه بصورة تثبت في القلوب، ما ذاك الله، ذاك صنم شكله الطبع والشيطان، والتوهم للمحال، فعبدتموه، ليس لله سبحانه وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه النفوس، بل مباينة الإلهية للحدثية أوجبت في النفوس هيبة وحشمة، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإنما صور أقوام صورة تجدد لهم بها أنس، فأقلقهم الشوق عليها، فنالهم ما ينال الهائم في العشق، وهذه الهواجس الردية يجب محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام!

ومنهم من يصرح أنه بأسلوبه يصيد العوام:

قال ابن الجوزي: قدم منصور بن عمار مصر، وجلس يقص على الناس، فسمع كلامه الليث بن سعد، فاستحسن قصصه وفصاحته، فذكر أن الليث قال له: يا هذا، ما الذي أقدمك إلى بلدنا؟ قال: طلبت أن أكسب بها ألف دينار!

فقال له الليث: فهي لك علي، وضن كلامك هذا الحسن، ولا تتبذل!

فأقام بمصر في حملة الليث بن سعد وفي جرايته إلى أن خرج عن مصر، فدفع إليه الليث ألف دينار، ودفع إليه بنو الليث أيضا ألف دينار!

وكثير منهم من يشغل العامة بالحديث المكذوب عن المحرمات والشهوة والجنس:

قال الإمام ابن الجوزي: ومن القصاص من يمضي أكثر مجلسه في العشق والمحبة، وإنشاد الغزل، الذي يحتوي على وصف المعشوق وجماله، وشكوى ألم الفراق، حتى إني سمعت بعض القصاص ينشد على المنبر:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر.....ولا تسقني سرا فقد أمكن الجهر

وسمعته ينشد:

أعانقها والنفس بعد مشوقة.....إليها وهل بعد العناق تداني

وألثم فاها كي تزول صبابتي.....فيزداد ما ألقى من الهيمان

ومعلوم أن عامة الحاضرين أجلاف، بواطنهم محشوة بالهوى، ممتلئة بحب الصور، ولا تخلو المجالس من النساء المستحسنات، ومثل هذا يحرك ما في النفوس، فإن كان القاص شابا مستحسنا، قليل الدين، كان الحديث معه!

ومنهم من يقرؤون القرؤون بتنغيم أو تطريب، ويدعون التحزن أو الانصعاق:

قال: ذكر محمد بن سيرين، الذين يصعقون إذا قرئ عليهم القرآن، فقال:

بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجله، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى نفسه فهو صادق!

ومن ذلك القراءة بالألحان الخارجة عن الحد المألوف، وقد جعلوها كالغناء الذي يوقع عليه وبه، وقد كان السلف ينكرون رفع الصوت الزائد على العادة، فكيف لو سمعوا الألحان؟ ".

قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: سألت ابن داود: أمر بالرجل يقرأ، فأجلس إليه؟، قال: يقول: يطرب؟

قلت: نعم، قال: هذا قد أظهر بدعته، لا تجلس إليه!

ومنهم من يمثل الانكسار والحزن:

قال ابن الجوزي: حدثنا سعيد بن عمرو بن عثمان البردعي، قال: شهدت أبا زرعة، وأتاه العباس الهسنجاني، يكلمه أن يقبل يحيى بن معاذ، رجل كان بالري يتكلم بكلام

يشبه كلام منصور بن عمار، فقال: إنه يقول: أنا على مذهبك، وأنا رجل نواح، أنوح وأنوح!

فقال أبو زرعة: إنما النوح لمن يدخل بيته ويغلق بابه، وينوح على ذنوبه، فأما من يخرج إلى أصبهان وفارس، ويجول الأمصار في النوح، فأنا لا أقبل هذا منه، هذا من الأفعال المتسأكلة الذين يطلبون الدراهم والدنانير، ولم يقبله!

ومن أكاذيبهم:

يكذبون على الله تبارك وتعالى:

حلفت لهم أن لله ثلاثين صورًا:

عن الشعبي، قال: "بينما عبد الملك جالس، وعنده وجوه الناس من أهل الشام، قال لهم: من أعلم أهل العراق؟، قالوا: ما نعلم أحدًا أعلم من عامر الشعبي، فأمر بالكتاب إلي، فخرجت إليه حتى نزلت تدمر، فوافقت يوم جمعة، فدخلت أصلي في المسجد، فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية، قد أطاف به قوم من أهل المسجد، وهم يكتبون عنه، فحدثهم، قال:

حدثني فلان، عن فلان يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، إن الله تعالى خلق صورين، له في كل صور نفختان: نفخة الصعق، ونفخة القيامة!

قال الشعبي: فلم أضبط نفسي أن خففت صلاتي، ثم انصرفت، فقلت: يا شيخ، اتق الله ولا تحدثن بالخطأ، إن الله تعالى لم يخلق إلا صورًا واحدًا، وإنما هي نفخات: نفخة الصعق، ونفخة القيامة!

فقال لي: يا فاجر، إنما يحدثني فلان عن فلان، وترد علي؟

ثم رفع نعله، فضربني بها، وتتابع القوم علي ضربًا معه، فوالله ما أقلعوا عني، حتى حلفت لهم أن الله تعالى، خلق ثلاثين صورا، له في كل صور نفخة، فأقلعوا عني..

فرحلت حتى دخلت دمشق على عبد الملك، فسلمت عليه، فقال لي: يا شعبي، بالله حدثني بأعجب شيء رأيته في سفرك، فحدثته حديث التدمريين، فضحك حتى ضرب برجليه".

يكذبون على جبريل عليه السلام:

جبريل عليه السلام يغار:

قال: وجاء إسرافيل بمفاتيح الكنوز إلى محمد، وجبريل عنده، فاصفر وجه جبريل، فقال محمد: إن الله منذ خلق الدنيا ما نظر إليها، يرسل إلي مفاتيحها، ماذا أصنع بها؟ إن كان ولا بد فمفاتيح نفس صهيب وأويس..

يا إسرافيل: هذه المفاتيح تنقصه شيئًا؟ قال: لا، فقال: ما لا ينقص الواهب ما أريده!

محمد صلى الله عليه وسلم لا يهتز:

وقال: جاء جبريل، ليلة المعراج، فقال ": يا محمد، أجب ربك، فما رأى فيه اهتزازا، فقال: يا محمد، موسى اهتز لسيره على الطور، وأنت ما تهتز للمعراج؟

فقال: أظل عند ربي!

يكذبون على إبليس عليه لعائن الله:

إبليس يسجد للغزالي الكذاب:

قال ابن الجوزي، عن محمد بن طاهر المقدسي: كان أحمد الغزالي آية من آيات الله في الكذب، يتوصل إلى الدنيا بالوعظ، سمعته يومًا بهمذان يقول:

رأيت إبليس في وسط هذا الرباط سجد لي، فقلت: ويحك، إن الله تعالى أمره بالسجود لآدم فأبى، فقال: والله، لقد سجد لي أكثر من سبعين مرة!

فعلمت أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد، وكان يزعم أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يقظته لا في نومه، وكان يذكر في وعظه أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله، فسأله عن ذلك المشكل، قال: وسمعته يوما يحكي حكاية عن بعض المشايخ، فلما نزل سألته عنها، فقال: أنا وضعتها في الوقت، وله من الجهالات والحماقات ما لا يحصى!

يكذبون على سيدنا موسى عليه وسلم:

إبليس خير من موسى!؟

وقدم إلى بغداد أحمد الغزالي، فوعظ، ونفق، وكتب كلامه، فنظرت فيما كتب عنه وقد كتب على الجزء بخطه: هذا كلامي!

فكان فيه من العجائب أنه التقى إبليس بموسى، في عقبة الطور، فقال: يا إبليس، لم لم تسجد لآدم؟ قال: كلا؛ ما كنت لأسجد لبشر، يا موسى، ادعيت التوحيد وأنا موحد، لم ألتفت إلى غيره، وقلت أنت: أرني، فنظرت إلى الجبل! أنا أصدق منك في التوحيد، قال: اسجد للغير، ما سجدت وأنت التفت!

ومن كلامه أنه قال: لما قيل: (لموسى لن تراني) قال: هذا شأنك، تصطفي آدم ثم تسود وجهه وتخرجه من الجنة، وتدعوني إلى الطور، ثم تشمِت بي الأعداء، هذا فعلك بالأحباء، فكيف تصنع بالأعداء؟

يكذبون على الله تعالى وعلى سيدنا عيسى عليه وسلم:

حجب عيسى بإبرة!

زعم أحدهم أنه لما رفع عيسى عليه السلام قعد وخرق مرقعته ثلاث مائة خرقة، فاجتمعت الملائكة وقالوا: يا ربنا، ما ساوى عيسى قميصًا صحيحًا؟، قال: لا، الدنيا ما سويت أن تكون له! ففتشوا جبته، فوجدوا إبرة! فقال تعالى وجل وعز: وعزتي، لولا الإبرة لرفعته إلى حظيرة قدسي، وما ارتضيت له السماء الرابعة، إنما حجب بإبرة!

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: قلت: لقد عجبت من مثل هذا المحال البارد، والكذب الشنيع، كيف كان يجري بمدينة السلام وسكت عنه؟ ولو ذكر هذا في قرية لأنكر، والعجب التعصب لإبليس أنه موحد بقوله (وإن عليك لعنتي) كما مر، وادعاء أنه كثير العبادة، وقد علم أنه لا شغل له، إلا الصد عن الخير والأمر بالكفر والمعاصي

يكذبون على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كذب مباشر:

قال ابن الجوزي: وقد كان في زماننا قاص، حدثني عنه فقيهان ثقتان، أنه حدثهما، قال: صعدت إلى المنبر يوم عاشوراء، فقلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صام يوم عاشوراء كان له، وكان له، وسردت من هذا كثيرًا، كله وضعته في الوقت!

الرد بالعيب:

وقدم إلى بغداد أبو الفتح محمد بن محمد الحريمي، في سنة تسع وخمس مائة فوعظ، فأتى بمحالات قبيحة، فكان مما قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة، فرأى بكشحها بياضًا فردها!

فهبط جبريل، فقال: العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: بنقدة واحدة من العيب ترد عقد النكاح، ونحن بعيوب كثيرة، لا نفسخ عقد الإيمان مع أمتك؟ لك نسوة تمسكهن لأجلك، أمسك هذه لأجلي!

وهذا من أفحش الكذب، وأقبح المحال، فإن رسول الله لما رد تلك المرأة لم يعاتب، ولا جاء جبريل، ولا جرى من هذا شيء، والعجب كيف يجري هذا ببغداد وهي دار العلم؟

يكذبون على الصحابة رضوان الله عليهم:

عن عبد الله بن مسعود، عن الأعمش، عن عطاء، عن ابن عباس:

أخبرنا محمد بن يونس الكديمي، قال: كنت بالأهواز فسمعت شيخا يقص، فقال:

لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عليا فاطمة أمر الله طوبى أن تنثر اللؤلؤ الرطب يتهاداه أهل الجنة بينهم في الأطباق! فقلت له: يا شيخ، هذا كذب على رسول الله عليه السلام! فقال: ويحك، اسكت، حدثنيه الناس، قلت: من حدثك؟

قال: حدثني يمان البحري، عن حفص التستري، عن وكيع بن الجراح، عن عبد الله بن مسعود، عن الأعمش، عن عطاء، عن ابن عباس.

القرطاس على القبر!

قال ابن الجوزي: قدم علينا صهر العبادي فوعظ، وصنف كتابًا فحمله إلي، وقد ذكر فيه، أن الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وهو مشغول، ثم انتبه لهما فقام فقبلهما، ووهب لكل واحد منهما ألفًا، فرجعا، فأخبرا أباهما، فقال: سمعت رسول الله، يقول: عمر نور الإسلام في الدنيا، وسراج أهل الجنه في الجنة!

فرجعا إلى عمر فحدثاه، فاستدعى دواة وقرطاسا وكتب: حدثني سيدا شباب أهل الجنة عن أبيهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: كذا وكذا، فأوصى أن يجعل في كفنه، ففعل ذلك، فأصبحوا وإذا القرطاس على القبر، وفيه صدق الحسن والحسين، وصدق رسول الله!

يكذبون على الأئمة:

سبعة عشر أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين:

قال ابن الجوزي: سمعت جعفر بن محمد الطيالسي ، يقول: صلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، قالا: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله خلق الله تعالى له من كل كلمة منها طائر منقاره من ذهب، وريشه من مرجان!

وأخذ في قصه نحوا من عشرين ورقة!

فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، ويحيى ينظر إلى أحمد بن حنبل، فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا هذه الساعة!

فسكتا جميعًا حتى فرغ من قصصه، وأخذ القطيعات، ثم قعد ينتظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده: تعال، فجاء متوهما لنوال يجيزه، فقال له: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله، فإن كان لا بد والكذب، فعلى غيرنا!

فقال له: أنت يحيى بن معين؟، قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين، أحمق، ما تحققته إلا الساعة، فقال له يحيى بن معين: كيف علمت أني أحمق؟، قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما!

يخترعون مخالفات للشريعة:

أكذوبة صلاة الخصماء:

ومما يرويه القصاص صلاة تسمى (صلاة الخصماء) تُسقط المظالم، فيغرون الناس بالظلم وأخذ أموالهم، وما أحد إلا وسهل عليه أن يسرق ويصلي ركعتين، يسقط بهما ما فعل!

ومن أكبر الكذبة على الله تعالى الروافض قاتلهم الله وبطون من المتصوفة الذين لهم في الأكاذيب والتلافيق والقصص المأفوكة ما لا يتصور.. لكن المجال هنا مجال إشارة لا مجال استقصاء.. فحسبي ما مر من ذلك، وبالله تعالى الاستعانة والعافية..

المسجد في الشعر العربي

المسجد في الشعر:

كتب الشعراء المسلمون قديمًا وحديثًا في أشعارهم عن المساجد، ومحاريبها، ومنائرها، وقبابها، وروادها، وأربابها، وأدوارها وما نيط بها!

وبعضهم ركز على المساجد الكبرى/ الرموز: في مكة، والمدينة، وبيت المقدس!

وبعضهم ركز على مساجد بلده.. التي عشقها وفيها شب!

وبعضهم ربط المسجد بالأحداث الجارية، خصوصًا العنف والتدمير والقتل وهدم المساجد، واضطهاد الأطهار الراكعين الساجدين!

وهذه جولة في الشعر والمساجد، أرجو أن تجلي شيئًا مما أريد:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا:

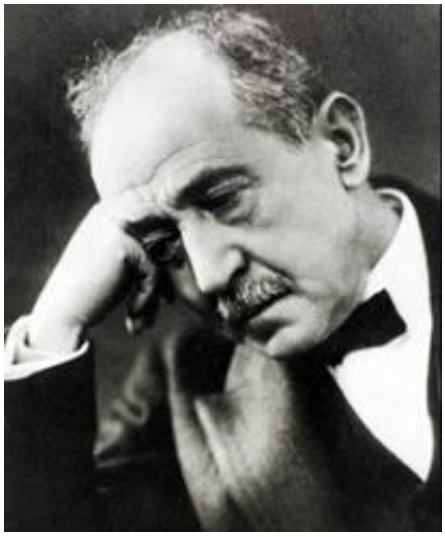

لأمير الشعراء شوقي رحمه الله

هذه القصيدة من أفضل ما كتب عن الجامع الأزهر ودوره التاريخي في إحياء العلم، ونشر الإسلام، وتعميق التدين، ودور شيوخه في قيادة الأمة وتحريكها، ثم اقرأ بعدها قصيدها هاشم الرفاعي رحمه الله التي يعارض بها شوقيًّا، متحسرًا على ما آل إليه من تدهور وانكسار، وتحوله إلى كيان هامد لا يؤثر ولا يغير.. فاقرأ وتأمل، يقول أحمد شوقي:

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا	وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا
وَاجعَل مَكانَ الدُرِّ ان فَصَّلتَهُ	في مَدحِهِ خَرَزَ السَماءِ النَيِّرا
وَاذكُرهُ بَعدَ المَسجِدَينِ مُعَظِّمًا	لِمَساجِدِ اللَهِ الثَلاثَةِ مُكبِرا
وَاخشَع مَلِيًّا وَاقضِ حَقَّ أَئِمَّةٍ	طَلَعوا بِهِ زُهرًا وَماجوا أَبحُرا
كانوا أَجَلَّ مِنَ المُلوكِ جَلالَةً	وَأَعَزَّ سُلطانًا وَأَفخَمَ مَظهَرا
زَمَنُ المَخاوِفِ كانَ فيهِ جَنابُهُم	حَرَمَ الأَمانِ وَكانَ ظِلُّهُمُ الذُرا
مِن كُلِّ بَحرٍ في الشَريعَةِ زاخِرٍ	وَيُريكَهُ الخُلُقُ العَظيمُ غَضَنفَرا
لا تَحذُ حَذوَ عِصابَةٍ مَفتونَةٍ	يَجِدونَ كُلَّ قَديمِ شَيءٍ مُنكَرا
وَلَوِ استَطاعوا في المَجامِعِ أَنكَروا	مَن ماتَ مِن آبائِهِم أَو عُمِّرا
مِن كُلِّ ماضٍ في القَديمِ وَهَدمِهِ	وَاذا تَقَدَّمَ لِلبِنايَةِ قَصَّرا
وَأَتى الحَضارَةَ بِالصِناعَةِ رَثَّةً	وَالعِلمِ نَزرًا وَالبَيانِ مُثَرثِرا
****	****
يا مَعهَدًا أَفنى القُرونَ جِدارُهُ	وَطَوى اللَيالِيَ رُكنُهُ وَالأَعصُرا

وَمَشى عَلى يَبَسِ المَشارِقِ نورُهُ	وَأَضاءَ أَبيَضَ لُجِّها وَالأَحمَرا
وَأَتى الزَمانُ عَلَيهِ يَحمي سُنَّةً	وَيَذودُ عَن نُسُكٍ وَيَمنَعُ مَشعَرا
في الفاطِمِيّينَ انتَمى يَنبوعُهُ	عَذبَ الأُصولِ كَجَدِّهِم مُتَفَجِّرا
عَينٌ مِنَ الفُرقانِ فاضَ نَميرُها	وَحيًا مِنَ الفُصحى جَرى وَتَحَدَّرا
ما ضَرَّني أَن لَيسَ أُفقُكَ مَطلَعي	وَعَلى كَواكِبِهِ تَعَلَّمتُ السُرى
لا وَالَّذي وَكَلَ البَيانَ اِلَيكَ لَم	أَكُ دونَ غاياتِ البَيانِ مُقَصِّرا
لَمّا جَرى الاصلاحُ قُمتَ مُهَنِّئًا	بِاسمِ الحَنيفَةِ بِالمَزيدِ مُبَشِّرا
نَبَأٌ سَرى فَكَسا المَنارَةَ حَبرَةً	وَزَها المُصَلّى وَاستَخَفَّ المِنبَرا
وَسَما بِأَروِقَةِ الهُدى فَأَحَلَّها	فَرعَ الثُرَيّا وَهيَ في أَصلِ الثَرى
وَمَشى الى الحَلَقاتِ فَانفَجَرَت لَهُ	حَلقًا كَهالاتِ السَماءِ مُنَوِّرا
حَتّى ظَنَنّا الشافِعِيَّ وَمالِكًا	وَأَبا حَنيفَةِ وَابنَ حَنبَلِ حُضَّرا
انَّ الَّذي جَعَلَ العَتيقَ مَثابَةً	جَعَلَ الكِنانِيَّ المُبارَكَ كَوثَرا
العِلمُ فيهِ مَناهِلًا وَمَجانِيًا	يَأتي لَهُ النُزّاعُ يَبغونَ القِرى
****	****
يا فِتيَةَ المَعمورِ سارَ حَديثُكُم	نَدًّا بِأَفواهِ الرِّكابِ وَعَنبَرا
المَعهَدُ القُدسِيُّ كانَ نَدِيُّهُ	قُطبًا لِدائِرَةِ البِلادِ وَمِحوَرا
وُلِدَت قَضِيَّتُها عَلى مِحرابِهِ	وَحَبَت بِهِ طِفلًا وَشَبَّت مُعصِرا
وَتَقَدَّمَت تُزجي الصُفوفَ كَأَنَّها	جاندَركُ في يَدِها اللِواءُ مُظَفَّرا
هُزّوا القُرى مِن كَهفِها وَرَقيمِها	أَنتُم لَعَمرُ اللَهِ أَعصابُ القُرى
الغافِلُ الأُمِّيُّ يَنطِقُ عِندَكُم	كَالبَبَّغاءِ مُرَدِّدًا وَمُكَرِّرا
يُمسي وَيُصبِحُ في أَوامِرِ دينِهِ	وَأُمورِ دُنياهُ بِكُم مُستَبصِرا
لَو قُلتُمُ اختَر لِلنِيابَةِ جاهِلًا	أَو لِلخَطابَةِ باقِلًا لَتَخَيَّرا
ذُكِرَ الرِجالُ لَهُ فَأَلَّهَ عُصبَةً	مِنهُم.. وَفَسَّقَ آخَرينَ وَكَفَّرا

آباؤُكُم قَرَؤوا عَلَيهِ وَرَتَّلوا	بِالأَمسِ تاريخَ الرِجالِ مُزَوَّرا
حَتّى تَلَفَّتَ عَن مَحاجِرِ رَومَةٍ	فَرَأى عُرابي في المَواكِبِ قَيصَرا
وَدَعا لِمَخلوقٍ وَأَلَّهَ زائِلًا	وَارتَدَّ في ظُلَمِ العُصورِ القَهقَرى
وَتَفَيَّؤوا الدُستورَ تَحتَ ظِلالِهِ	كَنَفًا أَهَشَّ مِنَ الرِياضِ وَأَنضَرا
لا تَجعَلوهُ هَوىً وَخُلقًا بَينَكُم	وَمَجَرَّ دُنيا لِلنُفوسِ وَمَتجَرا
اليَومَ صَرَّحَتِ الأُمورُ فَأَظهَرَت	ما كانَ مِن خُدَعِ السِياسَةِ مُضمَرا
قَد كانَ وَجهُ الرَأيِ أَن نَبقى يَدًا	وَنَرى وَراءَ جُنودِها انكِلتِرا
فَاذا أَتَتنا بِالصُفوفِ كَثيرَةً	جِئنا بِصَفٍّ واحِدٍ لَن يُكسَرا
غَضِبَت فَغَضَّ الطَرفَ كُلُّ مُكابِرٍ	يَلقاكَ بِالخَدِّ اللَطيمِ مُصَعَّرا
لَم تَلقَ اصلاحًا يُهابُ وَلَم تَجِد	مِن كُتلَةٍ ما كانَ أَعيا مِلنَرا
حَظّ رَجَونا الخَيرَ مِن اقبالِهِ	عاثَ المُفَرِّقُ فيهِ حَتّى أَدبَرا
دارُ النِيابَةِ هيأَت دَرَجاتها	فَليَرقَ في الدرَجِ الذَوائِبُ وَالذُرا
الصارِخونَ اذا أُسيءَ الى الحِمى	وَالزائِرونَ اذا أُغيرَ عَلى الشَرى
لا الجاهِلونَ العاجِزونَ وَلا الأُلى	يَمشونَ في ذَهَبِ القُيودِ تَبَختُرا

وهاشم الرفاعي ينعاه:

ولقد انحدر الأزهر بعد شوقي أكثر فأكثر، حتى كسره العسكر، وغيروا بنيته، وتمكنوا من عنقه؛ ليخرج من لا يحسنون، ولا يتقنون، وليصير قادته ذيولًا للساسة، يقضى الأمر دونهم، ويأمرهم ذو القيمة والزيوف، حتى هان على الناس وهان الدين معه، فاقرأ وذق مرارة ما كتبه الرفاعي على رحمات الله ورضوانه:

قف في ربوع المجد وابك الأزهرا	واندبه روضًا للمكارم أقفرا
واكتب رثاءك فيه نفثة موجَعٍ	واجعل مدادك دمعك المتحدرا
المعهد الفرد الذي بجهاده	بلغت بلاد الضاد أعراف الذرى
سار الجميع إلى الأمام وإنه	في موكب العلياء سار القهقرى
لهفى على صرح تهاوى ركنه	قد كان نبعًا بالفخار تفجرا
من كان بهجة كل طرفٍ ناظرٍ	عادت به الأطماع أشعث أغبرا
ما أبقت الأيدي التي عبثت به	من مجدِه عرضًا له أو جوهرا
لله ما أروي له في الشرق من	مجد على الأيام واراه الثَّرَى
كم موكبٍ في مصر سار إلى العلا	قد كان قائد ركبه المتصدرا
عجبًا أيدركه الأفول لدى الضحى	من بعد ما نشر العلوم مبكرا
سل مهبط الثورات عنها.. إنه	قد كان ناديَها.. وكان المنيرا
المشعلون لنارها أبناؤه	تَخِذوا به جندًا هناك وعسكرا
والمضرمون أوارها بلغاؤه	في نشر روح البذل فاضوا أنهرا
من كل ذي حجرٍ لخير بلاده	رسم المكيدة للدخيل ودبرا

لا ينثني عن بعثها دمويةً	أو يدركَ النصرَ المبين مظفرا
سل موئل الأفذاذ من أشياخه	عن معشرٍ كانوا به أُسْد الشرى
العاملين لرفعة الإسلام ما	منهم كَهامٌ قد ونى.. أو قصَّرا
والمبتغين رضا الإله وما ابتغوا	من حاكمٍ عرض الحياة محقّرا
كانوا المنار إذا الدياجي أسدلت	ثوبَ الظلام هدى الأنام ونوّرا
كانوا لمن ظُلموا حصون عدالةٍ	وتجبَّرا كانوا الشكيم لمن طغى
ردُّوا غواة الحاكمين، وغيرُهم	لتملق الأهواء كان مسخرا
لرضائها يبدي الحرام محللًا	ويدكّ معروفًا.. ويبني منكرا
في وجهها وقفوا وهم عزلٌ وما	لبسوا سوى ثوب الهداية مِغْفَرا
وإذا رأى منهم هُمام ريبةً	ناداه داعي دينِه أن يزأرا
ما قامروا بالدين في سبل الهوى	متجرا كلا ولا تَخِذوا الشريعة
عاشوا أئمة دينهم وحماته	لا يسمحون بأن يباع ويشترى
ثم انطوت تلك الشموس وإنها	لأشد إيمانًا وأطهر مئزرا
إن كان مجد الأمس لم نلحق به	أفلا نود غدًا نصيبًا أوفرا؟
هذي العلوم وحشوُها لغو به	من كل جيل لا يزال مسطرا
علم نعالجه بفكر جدودنا	يبدو به الهذر القديم مكررا
إنا نريد من التقدم قسطَنا	ونريد للإسلام أن يتحررا
ونريد أن نسقي الفنون رفيعةً	تجدي وليست طلسمًا متحجرا
ما العلم إلاّ ما تراه لديك في	لجج الحياة إذا مضت بك مثمرا
أنى لمن ألفت نواظره الدجى	عند الخروج إلى السنا أن يبصرا
قد كان تنقيح العلوم وفحصها	بالبحث من فرض العمامة أجدرا

للمخبر انتبهوا ولا يعنيكم	من بعد هذا أن نبدل مظهرا
أنكون في دنيا الرقي نعامة	نخفي الوجوه وقد عرانا ما عرا
ما ضرني إذ نحن نخدع نفسنا	لو قلت ما أدري وفهت بما أرى
ليس التعصب للأبوة مانعي	من أن أقول الحق فيه وأجهرا
أترى تعود إلى المريض سلامةٌ	أم تصرع الأسقام من قد عُمرا؟

ترى ماذا لو عاش الرفاعي – الذي اغتيل قبل أن يتخرج من الجامعة عام 1959 ليرى الأزهر الآن، ويشهد ذلته وهوانه، وافتئات الذباب والهوام عليه، واجتراء العميان والمخابيل والخونة والأرزقية والمطبلاتية وتجار الأعراض على رجاله ورسالته وما يمثله.. فماذا كان سيقول هاشم الرفاعي رحمه الله؟

السهو عن الذات في محاريب الصلاة

الشاعر الرائع: حكمت صالح

أزعم أن من أروع من يكتب الشعر الإيماني الوجداني: الشاعر العراقي الإسلامي الضخم الفخم حكمت صالح، الذي يفارق كثيرًا من الشعراء الإسلاميين بأنه له شخصيته الشعرية، وبصيرته الوجدانية، ومفرداته وأخيلته التي لا ينافسها فيها أحد.. وتشكل كل قصيدة أقرؤها له مفاجأة فنية لي،

ودليلي على ذلك قصيدته التي بين أيدينا: السهو عن الذات في محراب الصلاة، حيث تجد دفقة وجدانية شدية الخصوصة والتميز، فاقرأ واستمتع:

(إن تنم عيني، فقلبي لا ينامُ كيفَ؟ والآفاقُ عرْسٌ مستهامُ
هَذِهِ الدُّنْيَا تَغَشَّاهَا سدِيمٌ فَالَى أَينَ؟ اذَا حُمَّ الحِمَامُ؟)

لَفّنِي الوَجْدُ لَهِيبًا – أَينَ مِنِّي..... مُهْجَةٌ حَرَّى – بِمَرْمَى مُنْتَهَاهْ
لَذَّةٌ تَعْتَصِرُ القَلبَ اعْتِصَارًا..... وَالثَّنَايَا نَاغِرَاتٌ فِي الشِّفَاهْ
صَعْقَةُ التَّيَّار فِي أَقْصَى عُرُوقِي.....مَوجُهَا؛ يَسْخَرُ مِنْ حَبْلِ النَّجَاهْ
وَأَنَا فِي هَدْأَة اللَّيلِ غَرِيبٌ.....غُرْبَةً تَطْحَنُ صَخْرِي بِرَحَاهْ
كَمْ تَعَذَّبْتُ بِحُبِّي! كَمْ دَعَو.....تُ اللَّهَ رَبِّي! مُسْتَجِيرًا بِحِمَاهْ
قُرْبُكَ اللَّهُمَّ مِنِّي قُرَّةٌ.....تَغْمُرُ عَينِي.. فَتُغَنِّينِي الحَيَاهْ
إِيهِ؛ يَا وَجْدُ.. وَيَالَذَّةُ.. يَا.....تَيَّارُ.. يَا تَعْذِيبُ، إِيهٍ فِي هَوَاهْ
اغْزِلُونِي.. لَحْمَةُ الحُبِّ عَلى.....مِنْوَالِهِ؛ تَنْسُجُ مِنْ نَبْضِي سَدَاهْ
اذْفِنُوا نَبْضِيَ بِالثَّلجِ المُدَمّى.....وَاصْهَرُوا الرَّعْشَةَ فِي جَمْرِ الشِّفَاهْ
قَطِّعُوا الآمَالَ مِنِّي إِرَبًا.....ثُمَّ انْثُرُوهَا حَولَ حَافَاتِ المِيَاهْ
تُنْبِتِ الوَرْدَ رَبِيعًا، ثُمَّ تَخْ.....ضَلَّ فَيَافِيهِ النَّشَاوى بِشَذَاهْ

تَرْفُلُ الدُّنْيَا عَرُوسًا؛ زَفَّهَا..... لَحْنٌ؛ يُنَاغِي مُهَجَ العِشْقِ صَدَاهْ

يَاحَبِيبِي: إنَّهَا؛ إنْ تَكُنِ الآ.....هَةُ قَدْ أرْهَفَهَا الوَجْدُ؛ فَ "آهْ "

آهِ مِنْ حُبٍّ.. تَنَدَّتْ بالأطا.....يِيبِ مَغَانِيهِ، فَتَاهَتْ.. ثُمَّ تَاهْ

إنَّهَا رُوحِي.. بِمِحْرَابِكَ حَلّتْ.....رُبَّمَا يَعْكِفُ قَلبِي لِلصَّلاهْ

جَذَبَتْنِي قِبْلَة أسْهُو بِهَا عَنْ.....كُلِّ مَا حَولِي، وَيَسْهُو الإنْتِبَاهْ

وَحُشَاشَاتِي انْتَضَتْنِي؛ أرَقًّا.....يَحْجُبُ طَرْفِي؛ بِجَلالٍ لَنْ أرَاهْ

وَانْبِهَارِي صَارَ جُزْءًا مِنْ جَمَا.....لِيَّاتِ كَونٍ؛ ضَاقَ عَنْهُ مُحْتَوَاهْ

قُشْعَرِيرَاتٌ غَزَتْنِي.. أتَحَامَاهَا..... تَجُوسُ الجِلدَ.. تَجْتَثُّ لِحَاهْ

أيُّهَا الطَّارِقُ لَيلًا: لَو تَرَيَّث..... تَ قَلِيلًا؛ رَيثَمَا تَكْبُو الجِبَاهْ

تُكْمِلُ المِشْوَارَ فِي سَجْدَتِهَا النّ.....شْوَى خُشُوعًا؛ فَتَفِي القَلبَ مُناهْ

فَهْيَ وَالطُّوفَانُ لَذَّاتُ وِصَالٍ.....بِحَبِيبٍ؛ يُثْلِجُ الصَّدْرَ رِضَاهْ

هَذِهِ المَعْشُوقَةُ الحُلوَةُ تَدْعُوهَا ال.....كُنَى: عِشْقًا، وأدْعُوهَا: الصَّلاهْ

أرْفَعُ الكَفَّينِ لِلأعْلَى.. أُحَيِّ.....يهَا؛ فَيَزْدَانُ المُحَيَّا بِسَنَاهْ

تَيَّمَتْنِي.. مَلَكَتْ قَلبِي وَحِسِّي.....فَأنَا فِي حَضْرَةِ المَحْبُوبِ سَاهْ

وَتَفِيضُ النَّشْوَةُ الوَلهَى عَبِيرًا.....فِي الفَيَافِي؛ غَيرَ مَألُوفٍ شَذَاهْ

رِحْلَةٌ فِي مَلَكُوتِ اللّهِ؛ فَجْرًا.....لا يَحُطُّ الرَّحْلَ فِي سَاحِي ضُحَاهْ

بَعْضُ صَحْبِي قَالَ لِي: هَيَّا تَرَجَّل.....قُلتُ: مَنْ غَادَرَ – غَيرِي – مُرْتَقَاهْ

فَذَرُونِي.. أحْتَسِيهَا لَذَّةً.....لا يَحْتَسِي مِنْ كَأْسِهَا غَيرُ التُّقَاهْ

فَلَوَ انَّ العَذْلَ قَدْ مَارَسَ عِشْقِي.....لَصَبَا؛ حَتَّى تَفَانَى فِي صِبَاهْ

تِلكَ بَعْضٌ مِنْ حُشَاشَاتِ ضَمِيرٍ.....بَعْدَمَا طَلَّقَ جَفْنَايَ كَرَاهْ

فَأنَا تَوأمِيَ الشَّوقُ، إذَا مَا.....ذَكَرَ المَحْبُوبَ ذَابَتْ شَفَتَاهْ

يَا حَبِيبًا؛ لَيسَ كَالأحْبَابِ وَصْلًا.....مَنْ تُرَى مَحْبُوبُهُ مَا قَدْ سَلاهْ

طَاوَلَتْنِي بَعْضُ آمَالِي شُمُوخًا.....وَبِهِ الأفْلاكُ دَارَتْ فِي عُلاهْ

قُلتُ: لَولاهُ مُحِبٌّ؛ لَمْ يَكُنْ.....فِي النَّاسِ رَيبٌ؛ أنْ خَلَتْ مِنْهُمْ دُنَاهْ

إنَّ فِي نَفْسِي.. أُرِيتُ الآيَةَ ال.....كُبْرَى، وَفِي آفَاقِهَا طَرْفِيَ تَاهْ

سُدُمُ الكَونِ.. مَلايِينًا تَرَامَتْ.....أينَ مِنْ عَينَيَّ إدْرَاكُ مَدَاهْ

فَارْقُبِ الشُّهْبَ مَلِيًّا؛ أوَ تَدْ.....رِي أنَّهَا خَرَّتْ سُجُودًا لِلإلهْ

الرَّيَاحِينُ.. إذَا مَايَلَتِ الرِّيـ.....حَ؛ فَلا تَرْكَعُ قَطٌّ لِسِواهْ

صَهِ.. هَل تَسْمَعُ شَدْوَ الصَّخْرِ ؛ إذْ.....عَاوَدَ ذِكْرَ اللّهِ؛ يَسْتَجْدِي رِضَاهْ

هَذِهِ النَّمْلَةُ.. فِي مَنْكِبِ رِزْقِ اللّ.....هِ تَسْعَى، وَهْيَ تَجْتَازُ الفَلاهْ

تَسْحَبُ القَشَّةَ؛ هَل يَقْدِرُ أنْ.....يَسْحَبَ تَلًا أو كَثِيبًا مِنْكَ فَاهْ

أيُّهَا الطّارِقُ: كُثْرٌ؛ لَيتَ شِعْري.....جَمْعُ مَنْ لَمْ يَفْقَهُوا مَعْنَى الحَيَاهْ

رَانَ قَلبٌ نَامَ عَنْ ذِكْرِكَ رَبِّي.....وَلأمْرٍ؛ قَدْ دَهَاهُ مَا دَهَاهْ

آهِ.. لَو يَدْري الَّذِي نَامَ عَنِ النّ.....ُور؛ وَلَفَّتْهُ الدَّيَاجِي مَا عَسَاهْ

حَاشَ لِلّهِ، إذَا الأرْعَنُ؛ حُمْقًا.....ضَاعَ؛ مُذْ غَابَ عَنِ الوَعْيِ هُدَاهْ

قَدْ دَعَونَا مَارِقًا مِنْ جِلدِهِ.....لَمْ يُلقِ بِالسَّمْعِ الَى مَنْ قَدْ نَهَاهْ

خَسِرَ الجَولَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ الشَّي.....طَانِ، مَا يُجْدِيهِ أنْ عَضَّ الشِّفَاهْ

ثُمَّ؛ يَومَ الحَشْرِ لا يَقْوَى عَلَى اسْ.....صْرَاخِ مَنْ نَادَى؛ فَيَجْتَرُّ لَهَاهْ

قَالَ لِي القَلبُ؛ وَقَدْ أرْهَفَ نَبْضًا:.....يَغْفِرُ اللّهُ لِمَنْ كَانَ عَصَاهْ

قُلتُ: إهْنَأْ.. إنْ تَكُنْ لُذْتَ بِحَبْ.....لِ اللّهِ؛ فَاللّهُ مُجِيبٌ مَنْ دَعَاهْ

إنْ يَكُنْ قَدْ قَصرَ إقْدَامِيَ ذَنْبٌ.....فَبِهَدْيِ اللّهِ تَمْتَدُّ خُطَاهْ

أيُّهَا القَلبُ: تَمَهَّل، لا تُرَعْ.....لا إنّهُ بِالعَفْوِ قَدْ فَاضَتْ يَدَاهْ

يَتَجَافَى مَضْجِعُ السُّهْدِ عَنِ الصَّبِّ.....إذَا المَحْبُوبُ قَدْ كَانَ اجْتَبَاهْ

فِي مَدَارِ العِشْقِ؛ جرْمًا نَيِّرًا.....أصْبَحَ.. لَمَّا غَضَّ طَرْفًا عَنْ أنَاهْ

فِي رِحَابٍ مِنْ فَرَادِيسِ السَّعَا.....دَاتِ؛ مَعَ الأبْرَارِ؛ يَسْتَاقُ خُطَاهْ

أيُّ مَرْقىً؛ أيُّهَا الأوَّابُ؛ يَسْمُو.....بِهِ رُوحُ القُدْسِ! أمْ أيٌّ كَمَاهْ

فِي جَلالاتِ خُشُوعٍ سَرْمَدِيِّ.....لَمْ يَطُل؛ جُنْحُ الخَيَالاتِ؛ ذُرَاهْ

وَالزَّمَانُ الفَرْدُ يُمْسِي جَوهَرًا.....فِي جِيدِ عُمْرٍ؛ لانِهَائِيٍّ مَدَاهْ

أيُّهَا السَّائلُ: إسْعَدْ، وَامْلا الدّ..... نْيَا ابْتِهَالًا.. وَتَبَاشِيرَ نَجَاهْ

إنَّهَا الجَنَّةُ.. أعْطَتْ لِسَرَابِ ال.....عَيشِ مَعْنىً، وَجَلَتْ عَنْهُ دُجَاهْ

إنَّهَا الجَنَّةُ.. إيهٍ.. فَتَزَوَّدْ.....حَبَّذَا مَنْ زَادُهُ كَانَ تُقَاهْ

أوَ مَنْ يفرُشُ للجنَّةِ دَرْبًا.....بالرَّيَاحِينِ.. وَيَشْتَارُ شَذَاهْ

مِثلُ مَنْ يَسْلُكُ شِعْبًا يَتَهَاوَى.....فِي سَعِيرٍ؛ يَصْطَلِي الجَمْرُ لَظَاهْ

فَإذَا لَمْ يَكُ فِي الإحْرَاقِ بُدٌّ.....فَلتَكُنْ نَارَ اشْتِيَاقٍ.. لِلإلَهْ

يا قدس

للشاعر يوسف العظم

وبالقدس والمحراب والمنبر يهتف الشاعر الإسلامي الرائد يوسف العظم، الذي طالما تغنى بالمسجد، والشعائر، وكشف شعره عن الأقصى وقيمته، وحاله، حتى لقب رحمه الله تبارك وتعالى شاعر الأقصى..

يا قدس يا محراب يا منبر	يا نور يا إيمان يا عنبر
أقدام من داست رحاب الهدى	ووجه من في ساحها أغبر؟
وكف من تزرع أرضي وقد	حنا عليها ساعدي الأسمر؟
من لوث الصخرة تلك التي	كانت بمسرى أحمد تفخر؟
وأمطر القدس بأحقاده	فاحترق اليابس والأخضر
ودنس المهد على طهره	إلا عدو جاحد أكفر!
يا سورة الأنفال من لي بها	قدسية الآيات تستنفر
جندًا يذوق الموت عذب المنى	كالصبح عن إيمانه يسفر
ومن يبع لله أزكى دم	يمت شهيد الحق أو ينصر
والبغي مهما طال عدوانه	فالله من عدوانه أكبر
***	
يا قدس يا محراب يا مسجد	يا درة الأكوان يا فرقد
سفوحك الخضر ربوع المنى	وتربك الياقوت والعسجد
كم رتلت في أفقها آية	وكم دعانا للهدى مرشد
أقدام عيسى باركت أرضها	وفي سماها قد سرى أحمد
أبعد وجه مشرق بالتقى	يطل وجه كالح أربد

وبعد ليث في عرين الشرى	يحل كلب راح يستأسد
وبعد شعب دينه رحمة	يحل من وجدانه يحقد؟
يا أفرع الزيتون في قدسنا	كم طاب في أفيائها الموعد
إن مزق الغاصب أرحامنا	وقومنا في الأرض قد شردوا
فما لنا غير هتاف العلى:	إنا لغير الله لا نسجد!
***	
القدس في أفق العلى كوكب	تشع بالنور فلا تعجبوا
أيامها بالحق وضاءة	كانت بأطراف القنا تكتب
إن أطرب القيثار أسماعنا	فاللحن في أفق الهدى أعذب
أو حلت الأمجاد ساح العلى	فالمسجد الأقصى لها أرحب
والمجد مذ أشرق في قدسنا	ما بالُه في قدسنا يغرب؟
يا روضة كانت لنا مرتعًا	وكوثرًا من فيضه نشرب
وجنة فيها ربيع المنى	في ظلها أكبادنا تلعب
مذ حل في أفيائها غاصب	ما عاد فيها بلبل يطرب
من لي بسيف لا يهاب الردى	في كف من يزهو به الموكب
أو راية في جحفل ظافر	يقوده الفاروق أو مصعب
***	
الوحي والتنزيل والأحرف	والآي والإنجيل والمصحف
وسورة الإسراء ما رتلت	إلا وأسماع الدنا ترهف
تُبارِك القدس وما حولها	وصخرة القدس بنا تهتف!
في كل صدر من دمي دفقة	وكل عين دمعةٌ تُذرَف
إن ضمَّد الآسي جراح الورى	فالجرح مني راعف ينزف
***	

يا درة في جيد تاريخنا	رباك من كل الربى ألطف
كم قد مشت أكبادنا فوقها	ومن كل روض زهرة تقطف
وكم سقينا تربها أنفسًا	أنقى من الياقوت بل أشرف
يا قدس مهما باعدوا بيننا	ففي غد جيش الهدى يزحف
كتائب الإيمان قد بايعت	لا فاسق فيها ولا مترف
***	
يا قدس يا أنشودة في فمي	ويا منارًا في ذرى الأنجم
في كل أفق منك تسبيحة	وكل شبر دفقة من دم
وكل روض نفحة من شذى	وماؤك الرقراق من زمزم
وكل صدر زفرة حرة	وكل خدر عفة المبسم
تحنو بقلب خافق بالمنى	على بريء رف كالبرعم
قد أغمض الأجفان في هدأة.	وثغره في الثدي لم يفطم
من مزق الطفل بلا رحمة	فمات بين الصدر والمعصم
شظية عمياء من حاقد	ورمية من ساعد المجرم
قد أُطلقت هوجاء في غفلة	وحُلكة من ليلنا المظلم
ما كان للهامات أن تنحني	لو كان فينا عزة المسلم
***	
القدس واللطرون والمنتدى	وبلبل في روضة غردا
وغابة الزيتون يا حسنها	تضوعت زهرًا وطابت ندى
في ظلها يحنو على نايه	فتى كريم الكف عذب الصدى
من حطم الناي على ثغره	وشرد السامع والمنشدا
والمسجد الأقصى ومحرابه	يحنو علينا ركعًا سجدًا
قبابه كانت تناجي العلى	وأرضه كانت منار الهدى

تحدث الأكوان عن زحفنا	وقد بسطنا للمعالي يدًا
وهامة الفاروق مرفوعة	أكرم بها في قدسنا مشهدا
يعلي لواء العدل تكبيره	ويصنع الأمجاد والسؤددا
ياقدس إن طالت بنا فرقة	فسيفنا يا قدس لن يغمدا
***	***
القدس يا (نخاس) سيف الطعان	وفارس الحلبة في المعمعان
وومضة الإيمان في خافقي	وهدأة النفس وروح الأمان
إن كانت الأوطان تحنو على	أبنائها فالقدس نبع الحنان
يفيض بالحب ليروي الظما	وينبت النرجس والأقحوان
القدس يا مارق أنشودة	تهتف باسم الله طول الزمان
القدس أم طهرها غامر	وحضنها بعض رياض الجنان
ليست بغيًّا ترتضي بالخنا	ولا جبانًا ينحني للهوان
يا قدس يا صرح العلى شامخ	شلت يمين الماكر الثعلبان
قولي لخيل الله مسروجة	على (ضفاف النيل) آن الأوان
قد آن للظلمة أن تنجلي	ويسقط الباغي ويعلو الأذان

المسجد الحريق

الشاعر برهان الدين العبوشي

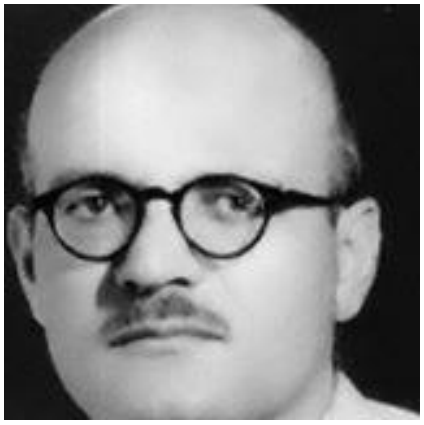

الشاعر الفلسطيني المقاوم برهان الدين العبوشي، ولد عام 1911 بجنين بفلسطين وتوفي عام 1995 بالعراق.

أحد الشعراء المنادين بالمقاومة ضد الاستعمار الأجنبي للأرض العربية، وخاصة الإنجليزي في القرن العشرين، حيث كانت فلسطين واقعة تحت الانتداب البريطاني. وكان من رواد المسرحية الشعرية في فلسطين.

من دواوينه: ديوان جبل النار، وديوان النيازك، وديوان إلى متى، وديوان جنود السماء.

ومن مسرحياته الشعرية: وطن الشهيد، وشبح الاندلس، وعرب القادسية، والفداء.

أرأيته والنار تلْفحُ وجهه ... وتلّفه وتشب في أحشائـه!؟

والمُصْحَف الميمون عند جداره ... لا تستطيع النار حرق ضيائه

والزُخْرُفُ العربي في جنباته ... يهوى لتعبث ناره بروائـه

والسقف حيث تجمعت روح الهدى ... بالأنبياء.. يَخُرُّ من إعيائـه

وبساطه مهوى الجباه لربِّها ... أضحى يعيث رماده ببهائه

والاسطوانات الرخَام تململت ... والتفَّ أسود بابها بردائـه

لهفي على المحراب بات معطلًا ... أين الإمام وأين جرس دُعَائه؟

أين المؤذن؟ ما لمئذنة الهدى ... لا تستجيب لصوته وندائـه؟!

والمنبر الموهوب أين خطيبه ... أين المهابة في فرند مضائـه!؟

بالله قل لي: أين أرباب الهدى!؟ ... في الأمس كانوا في رِحَاب فنائه

ما لي أراه سحابةً سوداءَ لا ... بَرْقٌ له أو قطرة من مائـه؟!

أين النسيم العَذْبُ يُنْعِش روحنا
بشعاع رب البيت في أفيائـه

كم ذا سجدنا فوق دُرَّةِ صحنه
ولكم لَثَمْنا النور في أحشائـه

فيه رأينا الرسل حول محمد
وبه سمعنا الله من عليائـه

وإليه أسرى الله جَلَّ جلاله
بالهاشمي مُعَرِّجًا لسمائـه

وكساه من آياته ثوب الرضا
وحباه بالبركات من آلائـه

أين المسيح؟ رأيته في بابه
متزملًا ثَوْبَ الهدى لِحَيائـه

بيت النبيين الكرام حرقته
يا ابن اليهود عجَّلت في إفنائه

قالوا السكوت نباهةً تَبًّا لهم
يرجون موت المستغيث بدائه

إني أموت وأمتي تفنى.. ولا
ألقى أبيًّا.. يُرْتَجَى بإبائـه

المسلمون أذل خلق في الورى
وابن العروبة سادرٌ بشقائـه

هذا أخو هذا.. وهذا ضد ذا
والأجنبي مُفَرِّقٌ بذكائـه

الخوف والطمع المُذِل شعارنا
كُلٌّ سيلقى ربه بريائـه

لهفي على الإسلام! أين رجاله؟
السيف والإيمان بعض دوائه

هجم العدو على التراث وما اكْتَفَى
واليوم يهدم ديننا.. بدهائـه

وإذا رَجَوْت القادرين سَخاءهم
هرب الشحيح بروحه وسخائه

يا مسلمون ويا نصارى يَعْرُبٍ
لم يلهني الأقصى بنار رثائـه

إني أخاف على القيامة من يدٍ
صَلَبَتْ يَسُوْعَ.. لدينه ونقائـه

إنَّ المساجد والكنائس كلها
لله فاحموا القدس من أعدائـه

فإذا عزمتم فالسلاح سبيلكم
فاستشهدوا تَلْقَوْا جَزَاء فدائـه

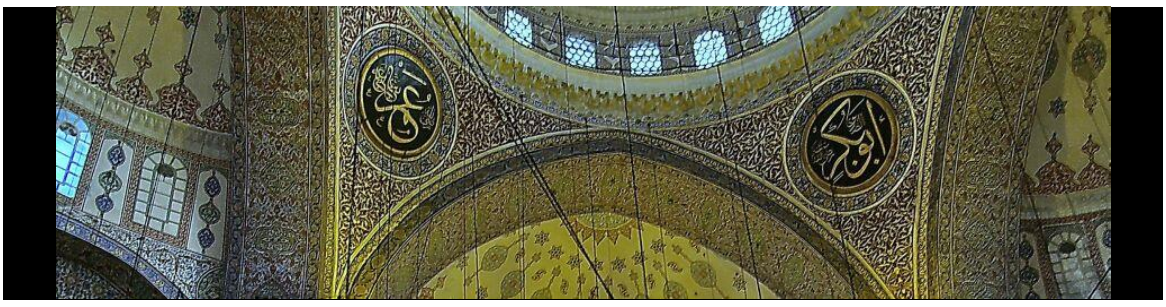

رسالة المسجد الأَقصى إلى المسلمين... نجوى وشكوى وحنين

د. عدنان النحوي

أنا المسجدُ الأَقصى! وهذي المرابعُ	بقايا! وذكرى! والأَسى والفواجعُ
لقد كنتُ بين المؤمنين وديعةً	على الدّهرِ ما هبّوا إِليَّ وسارعوا
يضمّون أَحناءً عليَّ وأَعْيُنًا	وتحرُسني مِنْهم سيوفٌ قواطعُ
زُحوفٌ مع الأَيامِ موصولةُ العُرا	فترتجُّ من عزْم الزُّحوف المرابع
إِذا أعوزَ القومَ السلاحُ تواثبُوا	تجودُ قُلوبٌ بالوفا وأضالعُ
وعَهْدٌ مع الله العليِّ يشدُّهُ	يقينٌ بأنَّ المرءَ للّه راجِعُ
وأنّ جنانَ الخُلد بالحقّ تُجْتَلَى	وبالدَّم تُجْلَى ساحةٌ ووقائعُ
مواكبُ نورٍ يملأُ الدهرَ زحْفُها	فيُشرقُ منها غَيْهَبٌ ومطالِعُ
وتَنشُرُ في الدنيا رسالة ربِّها	فَتُصغِيْ لها في الخافِقَين المسامعُ
وتنشُرُ أنداءً وتَسْكُبُ وابلًا	فتخضّرُّ ساحاتٌ ذَوَتْ وبَلاقعُ
فما بالُ قومي اليومَ غابُوا وَغُيِّبوا	وما عادَ في الآفاقِ منهم طلائعُ
وما بال قومي بدَّلوا ساحةَ الوغي	فغابَتْ ميادينٌ لهم ومصانِعُ
وما بَالُهم تاَهوا عن الدرب ويَحَهمْ	فجالتْ بهم أهواؤهمْ والمطامعُ
فغابَ نداءٌ ما أجلَّ عَطاءَه	تُردّدُهُ في كل أفق مجامعُ
وكانتْ ميادينُ الشّهادة ساحَهم	فصارَ لَهُمْ ملء الديّارِ مَراتعُ
وفي كلِّ يومٍ مَهْرَجَانٌ يَضُمُّني	وتندبني بين القصيد المدامِعُ
وكانتْ دماءُ المؤمنين غنيَّةً	تُصَبُّ وأرواحُ الشهودِ تدافِعُ
فأصبَحْتُ، ياويحي، أَحاديث مَجْلسٍ	وأدمعَ بكَّاءٍ حَوتْه المضاجِعُ
وكان يُدوّي في الميادين جولةٌ	فصارَ يُدوّي بالشعاراتِ ذائعُ
وَكَمْ كُنتُ أَرجوأن تكون دُموعُهمْ	دِماءً تُرَوّى مِن غِناها البَلاقِعُ

أَيذْبَحُني أهُلي ويَبكُونَ بَعْدَها	عليَّ؟! لقد سَاءتْ بذاك الصنائعُ
فَكَمْ تاجرٍ أَلقى بِلَحْميَ سِلْعَة	وقَدْ عَزَّ في الأسواقِ منها البَضائعُ
فهذا يُنادِي بالتجارة جَهْرَةً	وذاك يُواريه شِعارٌ مخادِعُ
فغاصُوا جميعًا بِالوُحُولِ وَغُيِّبوا	بتيهٍ ودارَتْ بَيْنَ ذاكَ المصَارعُ
فما أَنا جُدْرانٌ تَدورُ وسَاحَةٌ	ولكنّني أُفْقٌ غَنيٌّ وواسِعُ
يَمُدُّ ليَ الآفاقَ وحْيُ رسالةٍ	وحَبْلٌ متينٌ للمنازِلِ جامِعُ
رياضٌ يَرِفُّ الطيبُ منها وتغتني	مِنَ الطّيب سَاحَاتٌ بها ومَرَابعُ
فِمنْ مُهْجَةِ الإِسْلام مَكّةَ خفقتي	ومِنْ طيبَةٍ وحيٌ إلى الحقِّ دافعُ
ومن كلِّ دارٍ منبَرٌ ومآذِنٌ	بيوتٌ تدَوِّي بالنّداء جَوامِعُ
قُلوبٌ لها خفقُ الحياةِ وأضْلُعٌ	تجيشُ وآمالٌ غَلَتْ وَوَدائعُ
تظلُّ عُروقي بالحياةِ غنِيَّةً	إذا اتّصلتْ بين الدّيار الشرائعُ
وأَيُّ حَياةٍ دونَ ذلك تُرْتجَى	إذا انتزَعْتني مِنْ ضُلوعي المطَامِعُ
ونادَى مُنادٍ حَسْبُنَا كِسرةٌ هِنا	ونادَى سِوَاهُ نَرْتَجي ونُصانِعُ
وطافتْ على الدُّنيا الهزائمُ كلُّها	شعارٌ يُدَوّي أو ذليلٌ وضارعُ
تَشُدُّ عليَّ اليوْمَ قَبْضَةُ مُجْرِمٍ	ويَجْتَالُني مَكرٌ لهُ وأصابعُ
وفي كلّ يوم، وَيْحَ نَفْسي، مَسَارِحٌ	تُدَارُ وأَهْواءٌ عَليْها تَنَازَعُ
تُدَارُ خُيوطُ المكْر خَلْفَ ستارها	وتُعْلنُ آمالٌ عَليْها لَوامِعُ
ويَطْوِي عَلى هُوْنٍ أسايَ و ذِلتي	شِعَارٌ يُدَوّي أو أمانٍ روائعُ
تُمزَّقُ أَوْصَالي وتُنْزَعُ مُهْجتي	ويُطلَبُ نَصْرٌ والنُّفوس خَواضِعُ
يقولون" تحريرٌ" ويُجْرون صَفْقَةً	عَليْها شُهودٌ ضِامنون وبائعُ
يقولون" تقرير المصير" وإنّه	لَتدمير آمالٍ: فَمعْطٍ ومانِعُ
يفاوضُ فيه الشاةَ ذئبٌ وثعلبٌ	وقد مَهَّدَتْ عَبْر السنينَ الوقائعُ
يقولون: أهلُ الدار أدرى بحالها	وأين هُمُ؟! إني إلى الله ضارعُ

وأهليْ وما أهلي سوى أَمَّة لها	من الله عزمٌ في الميادين جامعُ
وصفٌّ يشدُّ المؤمنين جميعهَهُم	كأنَّهُمُ البُنْيانُ: عالٍ ومانعُ
إذا لمْ تَقُمْ في الأرض أمَّةُ أَحمدٍ	فكلُّ الذي يَجْري عَلى السّاحِ ضائعُ
حنانيكَ يا أَقْصَى! حنانَيكَ كُلَّما	خَطَرْتَ وَشدَّتني إليكَ النّوازعُ
فيافٍ ترامتْ بَيْنَنَا و مَسَالِكٌ	تُسَدّ و أشواقٌ إليك تُصارعُ
تَمُرُّ مَعَ الذّكرى لتوقظ أُمّةً	وحوْلكَ غافٍ لو علمتَ وقابعُ
أُطأطئ رأسي ما خَطَرتَ وأَنثني	وطرفيَ من هُوْنِ المذلَّة خاشِعُ
وأُصْغي ونجْوى البرتقال تهُزني	وَوَشْوشَةُ الزيتونِ منكَ قَوارعُ
يعيدُ لنا العُتْبى حنينٌ مرجّعٌ	يردّدُهُ فيك الحمامُ السواجِعُ
فيأيها الأقْصى أنينُك موجعٌ	تهيجُ به بينَ الضلوع الفواجعُ
حَنينكَ أصداءُ العصورِ ولَهفةٌ	فصبرًا وما يُدريكَ ما الله صانِعُ
رجعتُ فناداني! وعدتُ لكي أَرى	على جانِبَيْه دَمْعةً تتدافَعُ
وقال: إبائي يحجزُ الدمعَ كلَّهُ	ولكنَّ حُزْني اليومَ طاغٍ ودافعُ
جَرَتْ دَمْعةٌ في الأرض مِنهُ فَأَوْقَدتْ	عزائمَ أجيال وزحفًا يُتابع
تَخُوضُ مَيادينَ الجِهادِ وتَعْتَلي	ذُرَاها تُدَوّي بالجِهادِ المجامعُ
فَلَسْطِينُ حقُّ المسْلمين جَميعِهم	وهذا كتابُ اللّهِ بالحقِّ سَاطِعُ

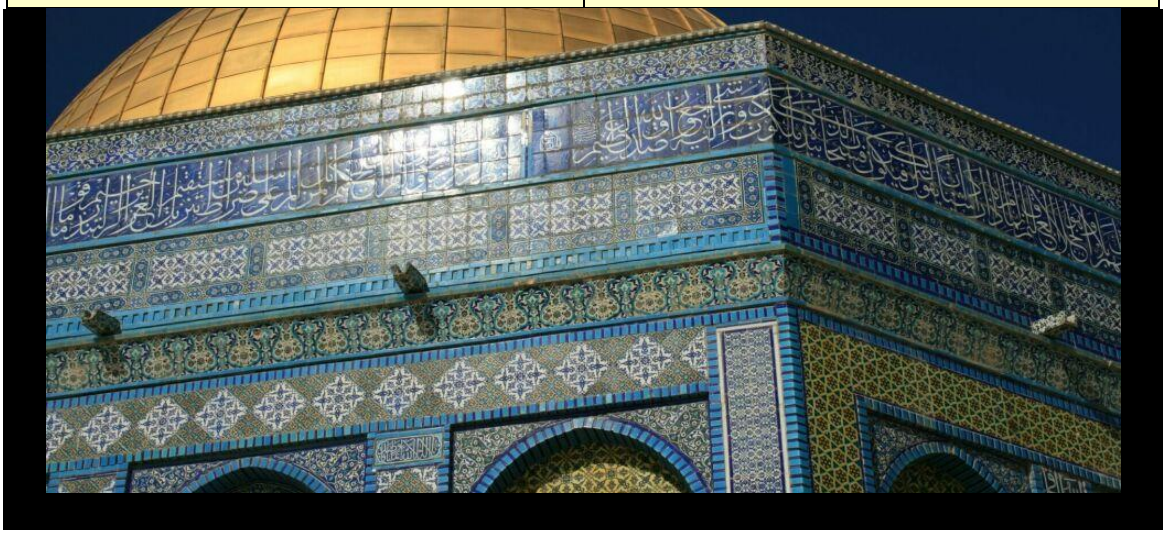

من حراس المسجد الأقصى

د. عبد الغني بن أحمد التميمي

الدكتور الشيخ عبد الغني بن أحمد جبر مزهر التميمي 1368هـ 1947م، من مواليد قرية دير نظام قرب رام الله في فلسطين درس الابتدائية وما بعدها من مراحل بفلسطين، وأتم دراساته الجامعية والعليا في المملكة العربية السعودية بالمدينة النبوية الجامعة الإسلامية، وحاز منها على البكالوريوس في الشريعة، سنة 1974–1975. ثم في مكة المكرمة حيث نال الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة أم القرى، سنة 1978–1979. ثم تخصص في الحديث وعلومه وحصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى سنة 1983 م. وعمل فيها أستاذًا مشاركًا في الحديث وعلومه، وكذا في كليات التربية الجامعة للبنات بالرياض، وبجامعة القدس – كلية الدعوة وأصول الدين.

ترأس جمعية الحديث وإحياء التراث في مدينة الزرقاء بالأردن من عام 1420–1429هـ، ورئاسة هيئة علماء فلسطين في الخارج. ومن كتبه: الأصول العامة لمناهج المحدثين، وقواعد الاختصار المنهجي، وتخريج الحديث النبوي، وقواعد في تصحيح الحديث وتضعيفه، وتصنيف الحديث النبوي، وغيرها، وله خمسة دواوين شعرية. يقول:

أعيرونا مدافعَكُمْ ليومٍ... لا مدامعَكُمْ
أعيرونا وظلُّوا في مواقعكُمْ
بني الإسلام! ما زالت مواجعَنا مواجعُكُمْ
مصارعَنا مصارعُكُمْ
إذا ما أغرق الطوفان شارعنا

سيغرق منه شارعُكُمْ

يشق صراخنا الآفاق من وجعٍ

فأين تُرى مسامعُكُمْ؟!

** ** **

ألسنا إخوةً في الدين قد كنا.. وما زلنا

فهل هُنتم، وهل هُنّا

أنصرخ نحن من ألمٍ ويصرخ بعضكم: دعنا؟

أيُعجبكم إذا ضعنا؟

أيُسعدكم إذا جُعنا؟

وما معنى بأن «قلوبكم معنا»؟

لنا نسبٌ بكم . والله . فوق حدودِ

هذي الأرض يرفعنا

وإنّ لنا بكم رحمًا

أنقطعها وتقطعنا؟!

معاذ الله! إن خلائق الإسلام

تمنعكم وتمنعنا

ألسنا يا بني الإسلام إخوتكم؟!

أليس مظلة التوحيد تجمعنا؟!

أعيرونا مدافعَكُمْ

رأينا الدمع لا يشفي لنا صدرا

ولا يُبري لنا جُرحا

أعيرونا رصاصًا يخرق الأجسام

لا نحتاج لا رزًّا ولا قمحا

تعيش خيامنا الأيام

لا تقتات إلا الخبز والملحا

فليس الجوع يرهبنا ألا مرحى له مرحى

بكفٍّ من عتيق التمر ندفعه

ونكبح شره كبحًا

أعيرونا وكفوا عن بغيض النصح بالتسليم

نمقت ذلك النصحا

أعيرونا ولو شبرًا نمر عليه للأقصى

أتنتظرون أن يُمحى وجود المسجد الأقصى

وأن نُمحى

أعيرونا وخلوا الشجب واستحيوا

سئمنا الشجب و الردحا

أخي في الله أخبرني متى تغضبْ؟

إذا انتهكت محارمنا

إذا نُسفت معالمنا ولم تغضبْ

إذا قُتلت شهامتنا إذا ديست كرامتنا

إذا قامت قيامتنا ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

إذا نُهبت مواردنا إذا نكبت معاهدنا

إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد الأقصى

وظلت قدسنا تُغصبْ

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

عدوي أو عدوك يهتك الأعراض

يعبث في دمي لعبًا

وأنت تراقب الملعبْ

إذا لله، للحرمات، للإسلام لم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟!

رأيت هناك أهوالًا

رأيت الدم شلالًا

عجائز شيَّعت للموت أطفالًا

رأيت القهر ألوانًا وأشكالًا

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

وتجلس كالدمى الخرساء بطنك يملأ المكتبْ

تبيت تقدس الأرقام كالأصنام فوق ملفّها تنكبْ

رأيت الموت فوق رؤوسنا ينصب

ولم تغضبْ

فصارحني بلا خجلٍ لأية أمة تُنسبْ؟!

إذا لم يُحْيِ فيك الثأرَ ما نلقى

فلا تتعبْ

فلست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبا

فعش أرنبْ ومُت أرنبْ

ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الذلِّ

ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الحلِّ

وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ

ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالهولِ

وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ!

** ** **

ألم تنظر إلى الأحجار في كفيَّ تنتفضُ

ألم تنظر إلى الأركان في الأقصى

بفأسِ القهر تُنتقضُ

ألست تتابع الأخبار؟ حيٌّ أنت!

أم يشتد في أعماقك المرضُ

أتخشى أن يقال يشجع الإرهاب

أو يشكو ويعترضُ

ومن تخشى؟!

هو الله الذي يُخشى

هو الله الذي يُحيي

هو الله الذي يحمي

وما ترمي إذا ترمي

هو الله الذي يرمي

وأهل الأرض كل الأرض لا والله

ما ضروا ولا نفعوا، ولا رفعوا ولا خفضوا

فما لاقيته في الله لا تحفِل

إذا سخطوا له ورضوا

ألم تنظر إلى الأطفال في الأقصى

عمالقةً قد انتفضوا

تقول: أرى على مضضٍ

وماذا ينفع المضضُ؟!

أتنهض طفلة العامين غاضبة

وصُنَّاع القرار اليوم لا غضبوا ولا نهضوا؟!

** ** **

ألم يهززك منظر طفلة ملأت

مواضع جسمها الحفرُ

ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ

بظهر أبيه يستترُ

فما رحموا استغاثته

ولا اكترثوا ولا شعروا

فخرّ لوجهه ميْتًا

وخرّ أبوه يُحتضرُ

متى يُستل هذا الجبن من جنبَيْك والخورُ؟

متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟

متى بركانك الغضبيُّ للإسلام ينفجرُ

فلا يُبقي ولا يذرُ؟

أتبقى دائمًا من أجل لقمة عيشكَ

المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟

متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟

وقالوا: الحرب كارثةٌ

تريد الحرب إعدادا

وأسلحةً وقوادًا وأجنادا

وتأييد القوى العظمى

فتلك الحرب، أنتم تحسبون الحرب

أحجارًا وأولادا؟

نقول لهم: وما أعددْتُمُ للحرب من زمنٍ

أألحانًا وطبّالًا وعوّادا؟

سجونًا تأكل الأوطان في نهمٍ

جماعاتٍ وأفرادا؟

حدودًا تحرس المحتل توقد بيننا

الأحقاد إيقادا

وما أعددتم للحرب من زمنٍ

أما تدعونه فنّا؟

أأفواجًا من اللاهين ممن غرّبوا عنّا؟

أأسلحة، ولا إذنا

بيانات مكررة بلا معنى؟

كأن الخمس والخمسين لا تكفي

لنصبر بعدها قرنا!

أخي في الله! تكفي هذه الكُرَبُ

رأيت براءة الأطفال كيف يهزها الغضبُ

وربات الخدور رأيتها بالدمّ تختضبُ

رأيت سواريَ الأقصى لكالأطفال تنتحبُ

وتُهتك حولك الأعراض في صلفٍ

وتجلس أنت ترتقبُ

ويزحف نحوك الطاعون والجربُ

أما يكفيك بل يخزيك هذا اللهو واللعبُ؟

وقالوا: كلنا عربٌ

سلام أيها العربُ!

شعارات مفرغة فأين دعاتها ذهبوا

وأين سيوفها الخَشَبُ؟

شعارات قد اتَّجروا بها دهرًا

أما تعبوا؟

وكم رقصت حناجرهم

فما أغنت حناجرهم ولا الخطبُ

فلا تأبه بما خطبوا

ولا تأبه بما شجبوا

** ** **

متى يأيها الجنديُّ تطلق نارك الحمما؟

متى يأيها الجنديُّ تروي للصدور ظما؟

متى نلقاك في الأقصى لدين الله منتقما؟

متى يأيها الإعلام من غضب تبث دما؟

عقول الجيل قد سقمت

فلم تترك لها قيمًا ولا همما

أتبقى هذه الأبواق يُحشى سمها دسما؟

دعونا من شعاراتٍ مصهينة

وأحجار من الشطرنج تمليها

لنا ودُمى

تترجمها حروف هواننا قمما

** ** **

أخي في الله قد فتكت بنا علل

ولكن صرخة التكبير تشفي هذه العللا

فأصغ لها تجلجل في نواحي الأرض

ما تركت بها سهلًا ولا جبلا

تجوز حدودنا عجْلى

وتعبر عنوة دولا

تقضُّ مضاجع الغافين

تحرق أعين الجهلا

فلا نامت عيون الجُبْنِ

والدخلاءِ والعُمَلا

** ** **

وقالوا: الموت يخطفكم وما عرفوا

بأن الموت أمنية بها مولودنا احتفلا

وأن الموت في شرف نطير له إذا نزلا

ونُتبعه دموع الشوق إن رحلا

فقل للخائف الرعديد إن الجبن

لن يمدد له أجلا

وذرنا نحن أهل الموت ما عرفت

لنا الأيام من أخطاره وجلا

هلا بالموت للإسلام في الأقصى

وألف هلا

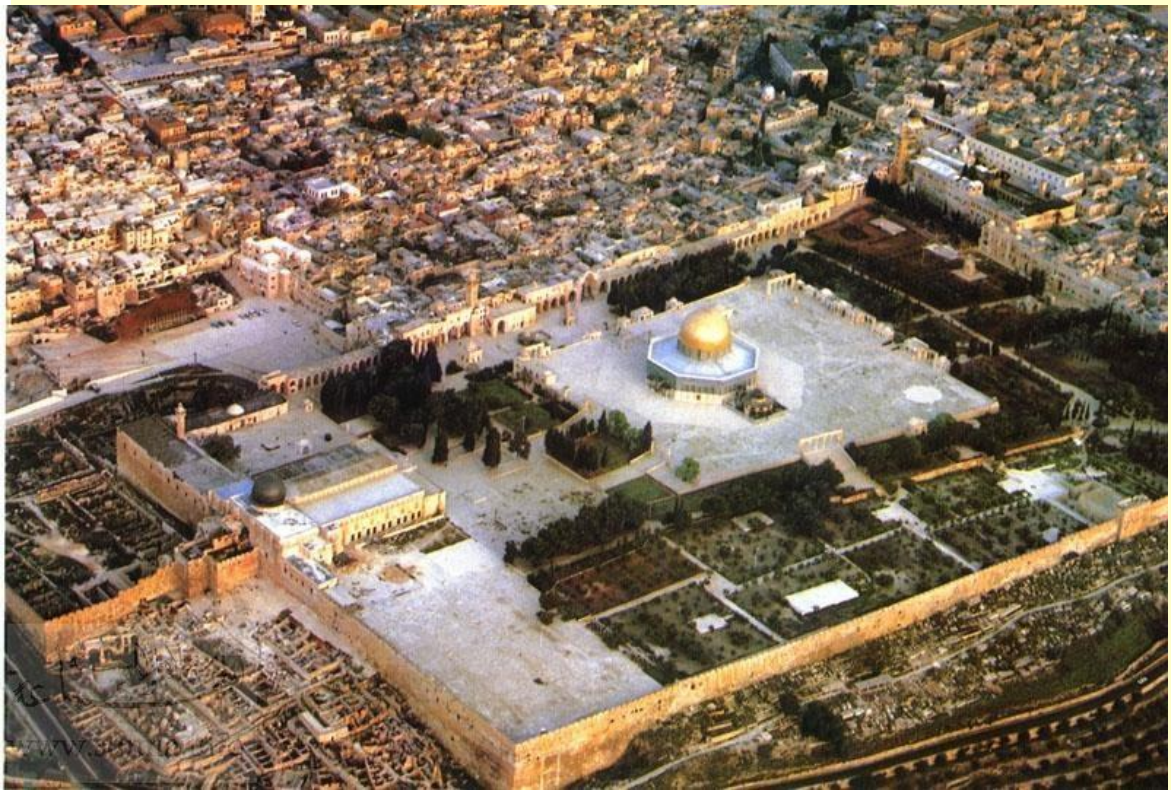

رسالة من المسجد الأقصى

د.عبد الغني التميمي

– 1 –

لم يَزَلْ مِفتاحُ بيتيَ في يدي

لم أزَلْ أحضُنُ ذكرى بلدي

ما عرفتُ اليأسَ – يا جلاّدُ – يومًا

هذه آلاتُك اشْحَذْها...وهذا جِلْدي

لم تَزَلْ روحيَ تحيا أملًا

وسياطُ القهرِ تشوي جَسدَي

مُذْ عرفتُ اللهَ لَمْ أضعُفْ لمخلوقٍ ولا

أرتَجي من غيرِ ربّي مَدَدي

أيها القاتلُ يومي بُؤْ بِهِ

أنتَ لا تقوى على قتلِ غدي

– 2 –

لم يَزَلْ لونُ دمي يحكي ليوم الرّوْعِ عَسْفَكْ

لم يَزَلْ دمعيَ يروي لسكونِ اللّيلِ خَوْفَكْ

حَجَريْ يَكشِفُ للعالَمِ – يا مغرورُ – ضعفَكْ

بَدَمي أسكنتُ رُعبَ الموتِ جوفَكْ

بدمي أكسِرُ – يا جزّارُ – سيفَكْ

– 3 –

لا تُخوّفْني بِما يحشُدُ أربابُ الهوى

لا تُخوّفني بأسطولٍ مِنَ الوَهْمِ هوى

بدمي أُسقِطُ من أصنامِهِمْ ما يُسمّى بموازينِ القُوى

– 4 –

فَتحَ المنفى ذراعَيْهِ إلينا واحتوانا

وتشتّتْنا فريقَيْنِ وألغَتْ

هذه الأرضُ خُطانا

ففريقٌ فاقِدُ العِزّةِ في موطِنِهِ

وفريقٌ فاقِدُ الذّاتِ زمانًا ومكانًا

كان يومًا – ذلك اليومُ – رهيبًا

أُمُّنا تندُبُ في الليلِ أبانا وأخانا

وإذا نحنُ – مَعَ الفجْرِ – يتامى

كَفِراخِ الطّير زُغْبًا، وإذا الجوعُ قِرانا

ومضى عامٌ، وأعوامٌ، وها نحنُ

ترانا مِثْلَما كنتَ ترانا

– 5 –

ذاتَ يومٍ سألوني عن طُموحاتي...وعُمري

سألونيَ مع بعض المكر: ما نوعُ الهوايةْ!؟

أُترُكوني، ليس لي عُمْرٌ.. ولا عندي بِدايهْ

قد أقمتُمْ من عِظامي فوقَ هذي الأرضِ

أبراجًا عِظَاما

هَرَمًا شِيْدَ من الذُّلِّ الذي يُدعى سلامًا!

وسرقتُمْ مِن شبابي كلَّ أحلامي القُدامى

أنا طفلٌ عمرُهُ خمسونَ عامًا

فارفعوا عنّي الوِصايَة

أَطعِموني لحمَ أعضائي فَقَدْ

أُتخِمتُ من خُبْزِ الدّعايَة

أنا من خمسينَ عامًا

اطحَنُ الخُبزَ طعامَا

أنا من خمسينَ عامًا

ازرعُ الأرضَ خِيامَا

لم تكُنْ أعينُكُمْ عمياءَ لكنْ تَتعامَى

ما فتِئْتُمْ تغرِسونَ اليأسَ وعدًا يَتَنامَى

في مدى خمسينَ عاما

تتهاوى أسقُفُ العِزّةِ للأرضِ حُطامَا

كلُّكُمْ كان شريكًا في هوى المأساةِ، هاما

وترامى عندَ رِجْلَيْها غَرامَا

لم تُبالوا أنّنا كُنّا، وما زِلْنا يَتَامى

– 6 –

أيُّها الغاصِبُ حقّي، أيها الهازِئُ منّي

أنّني أحيا أسيرَ الوهمِ مغرورَ التمنّي

أعطِنِي حقّي ودَعْني

حقَّ عينِي، حقَّ أُذْني، حقَّ خوفي، حقَّ أَمْني

أتُسَلّيكَ دمائي ودُموعي؟

أَوَ ما يكفيكَ ما يَفعلُ سَجّاني وسِجني؟

أعطِني حقّي ودَعْني، كيف أحيا؟ ذاكَ شأني

– 7 –

أنا لا أطلُبُ من عُمْرِكَ تمديدًا لِعُمْريْ

أنا لا أطلُبُ مَنًّا، لا لنفسيَ أو لغيري

أأنا في الأرضِ وحدي

طلبي للحَقِّ إرهابٌ وتهديدٌ لعصري؟

أأنا المُلغَى من العالَمِ وحدي!؟

أأنا الممنوعُ من تحديد دوري!؟

– 8 –

يبحثُ القومُ عنِ الهيكَلِ في أوجاعِنا

يحفِرونَ المسجدَ الأقصى على أسماعِنا

يستبيحونَ حِمانا ودِمانا

يرسُمونَ الذُّلَّ تِمثالًا على أضلاعِنا

هل رأيتُمْ مثلَ هذا القهرِ

والإذلالِ في أوضاعِنا؟!

أيّها التاريخُ لا تكتُبْ لنا شيئًا فقدْ

رَسَمَ الحالةَ هذا الكمُّ من أطماعِنا

– 9 –

يا رجالَ البوْرصةِ السّوداءِ في سوقِ السّلامْ

سوقُكُمْ ذُلٌّ على ذُلٍّ تُقامْ

تطرحونَ القُدسَ للقِسْمَةِ، هَلْ

سخِفَ الأمرُ إلى هذا المَقام؟

أيُسامُ المسجدُ الأقصى بشيءٍ

من نُفوذٍ العمِّ سامْ؟

دَوَّلَتْنا دُوَلُ الذُّلِّ فصِرنْا

سِلَعًا في كلِّ تخفيضٍ نُسامْ

يا رجالَ البورصَةِ السّوداءِ في سوقِ السّلامْ

كُلّما ضاعَ مِنَ الأوطانِ رُبْعٌ

يمتطي أكتافَكُمْ – منهم – وِسامْ

فاوِضُوا حتى يشيبَ الليلُ، لَنْ

تحصُدُوا غيرَ ثِمارِ اللؤْمِ من أيدي اللِّئامْ

– 10 –

غدَتِ الحربُ فِرارا

وغدا النّطقُ بذكرِ الحربِ عارا

حين صَارتْ قبلةُ الرأسِ لسفّاحٍ فَخَارا

سُحِبَ الجُنديِّ من عِزِّ المَغَاوِرْ

من ثُغورِ المجدِ مغلولًا

إلى خِزْيِ المعابِرْ

قيلَ للجُنديِّ: لا تُطلِقْ رصاصًا

طَأْطِئِ الرأسَ وحاوِرْ

أَيُطيقُ الحُرُّ أنْ يَسقُطَ رأسًا

من ذُرا علياءِ ثائِرْ

يعشَقُ الموتَ إلى ذِلّةِ صاغِرْ

قد غدَوْنا لدفاعِ المُعتدي أكياسَ رملٍ

وحِزامًا من هَوانٍ وَسَواتِرْ

جفَّ هذا الريقُ في أفواهِنا

بُحَّتِ الأصواتُ منّا فارحمونا

وارحموا هذي الحناجِرْ

– 11 –

اعذُرونا إنْ صَرَخْنا

إنّ في أعماقِنا الموتَ الزُّؤامْ

لا أظُنُّ الصارخَ المذبوحَ – إنْ صاحَ – يُلامْ

اعذرونا إنْ فَتحْنا مرّةً أفواهَنَا

أَنْتَنَتْ ألفاظُنا في الحَلْقِ من شَدِّ اللِّثامْ

كِلْمَةُ المعروفِ شاخَتْ

وهْيَ تحيا في الظّلامْ

أهْوَ عَيبٌ أنْ نقولَ الحقَّ جَهْرًا؟

أَهْوَ خَرْقٌ للنّظامْ؟

قبّحَ اللهُ لسانًا يألَفُ الصّمْتَ الحرامْ!

– 12 –

أُترُكونيْ من شِعارِ الأرضِ أوْ

تلك الشّعاراتِ السخيفة

أَترَوْني صرتُ عبدًا لتضاريسِ بلادي

والمناخاتِ اللطيفة؟

خَلِّ عنّي

أنا لا أعبُدُ في المواطنِ –كالغيرِ –

شِتَاهُ أوْ خريفَهْ

لا أرى فرقًا كبيرًا بين معبودٍ حنيفهْ

وإلهٍ وطنيٍّ يعبُدُ النّاسُ رغيفَهْ

– 13 –

يا أخي في اللهِ، هذا المسجدُ الأقصى جَريحْ

في سُكونِ اللّيلِ – لو تسمعُ – كالطّفلِ يصيحْ

جُرحُهُ الغائِرُ لا تشبِهُهُ كلُّ الجروحْ

إنّهُ جُرحٌ أليمٌ داخلَ القلْبِ يقيحْ

إنّه جُرحُ بقايا أُمّةٍ

كانَ فيها عِزّةٌ تسمو وروحْ

– 14 –

آهِ ما آلَمَ جُرْحَ الكِبرِياء!

آهِ ما أَوْجَعَ – في الأحشاءِ – مكتومَ البُكاءْ!

حينَما نُطعَنُ في عِزّتِنا

حينَما نبكي كما تبكي النّساءْ

نحنُ لا نَملكُ من نَخْوَتِنا

غيرَ صرخاتٍ تُدّوي ونِداءْ

– 15 –

أرسَلَ الأقصى خِطابًا فيه لومٌ واشتِياقْ

قالَ لي وَهْوَ يعاني مِنْ هَوانٍ لا يُطاق:

حَدِّثِ الأمّةَ عنّي

بَلِّغِ الأمّةَ أنّي

عيلَ صبري بين أسرٍ واحتِراقْ

هَتَكَ العُهْرُ اليهوديُّ خشوعي

مِنْ رُواقٍ لرُواقْ

أشعَلوا ساحاتيَ الأخرى فُجُورا

وصفيرًا ودَنَايا وسُفورا

دنَّسوا رُكنيْ ومِحرابي الطَّهورا

فأنا – اليومَ – أُعاني

بل أُعاني منذُ دهرٍ أَلَمَ القهرِ أسيرا

لَمْ يَزَلْ قيديَ مشدودَ الوَثاقْ

أَوَ ما يَكفي نِفاقًا؟ ضِقْتُ من هذا النّفاقْ

أرسِلوا لي من صلاحِ الدّينِ خيلًا

أرسِلوها من حِمى الشّامِ وَنَجْدٍ

مِنْ سرايا جيشِ مِصرٍ، أوْ عَرانينِ العِراقْ

تنشُرُ الهيبةَ للإسلامِ بالدّمِّ المُراقْ

منذُ دهرٍ لم تزُرنيْ هذِهِ الخيل العتاق

– 16 –

قالَ لي الأقصى سلامًا

بِلِّغِ الأمّةَ – يا عبدُ – سلامي

من معاني سورةِ الإسراءِ قُدْسِيَّ الهِيامِ

أَثَرِيَّ الوَجْدِ سُنّيَّ العِناقِ

لا سَلامًا خائنَ النّشأةِ عِبْرِيَّ المَذَاقِ

– 17 –

واسألِ الأمّةَ أوْ سَلْ بعضَها

كيف للموتِ على الجَمرِ أُساقْ؟

كيف أصبحتُ مكانًا أثريًّا

بصُنوفِ الفِسقِ ضاق؟

كيف قد بُدِّلَ طُهري

مسرحًا للعُريِ يُغريْ

بين ضَمٍّ واعتِناقٍ والتصاقْ؟!

كدتُ أَنْضَمُّ إلى الحمراءِ من أندلُسٍ

في نَعَايا العصرِ، في ذاك النّطاقْ

يا بني الإسلام، ما حلَّ بكمْ؟!

هل نسيتُمْ أنّني بوّابةُ السّبْعِ الطّباقْ؟!

من هنا قد واصَلَ الرحلةَ في الكونِ البُراقْ

– 18–

كتَبَ الأقصى وفي رِجليه قيدُ

وعلى أبوابِهِ – من بقايا عُبَّدِ الطّاغوتِ – جندُ:

طالَ شوقي لصليلِ السّيفِ يشدو

وصهيلِ الخيلِ وَسْطَ النّقْعِ تعدو

هل صلاحُ الدّين – يومًا – في رجالِ القومِ يبدو؟

هل ستأتي في نساء القومِ خنساءٌ وهندُ؟

أم تُراها عقِمَتْ أرحامُها اليومَ

فلنْ يولدَ سعدُ؟!

ضاعتِ الأوطانُ هدرًا

عندما القومُ أضاعوا: "وأعدوا"

– 19 –

ربطَ القرآنُ بينَ البيتِ والأقصى رِباطًا أبَدِيًا

لم يكُنْ ذاك خِيارًا

أوْ قرارًا عربيّا

لم يكُنْ ذاك شِعارًا

مُستعارًا أجنبيًّا

كلُّ مَنْ فَرّقَ بين البيتِ والأقصى فَقَدْ

كَذّبَ القرآنَ أو خانَ النبيّا

– 20 –

أرسَلَ الأقصى وفي عينَيْهِ دمعُ:

ما دَهَى الأمّةَ لا عينٌ بها

ترصُدُ الأحداثَ، أو يُرهَفُ سَمْعُ؟

أعبيدُ العِجلِ حُرّاسي وفي

أمّة الإسلام للإقدامِ وُسْعُ؟

أم تَراني هِنتُ في أعينِهِمْ

لا دميْ يُفدَى ولا فَجعِيَ فَجْعُ؟

– 21 –

كتَبَ الأقصى وفي المحراب نارُ

ويلوكُ المِنبَرَ الرّمزَ لهيبٌ واستِعارُ:

أَوَ هذا كلُّ ما في وُسْعِكمْ؟

أَدِلاءٌ تجلُبونَ الماءَ فيها وجِرارُ؟

أنا لا يَثأرُ ليْ الماءُ ولا ينتقمُ

يُطفِئُ الثأرَ رصاصٌ ودمٌ

وشظايا وضحايا ودمارُ

لست سِجّادًا ولا مبنى

أنا في نُصوصِ الدين دينٌ وشعارُ

وفّروا الماءَ على أنفُسِكمْ

إنّما يطفِئُ نارَ الحقدِ نارُ

ما عدا ذلك لا أعرفُهُ

إنّه في منطقِ التاريخِ عارٌ

وَهْوَ جُبنٌ في اعتقادي وفِرارُ

– 22–

كَتبَ الأقصى حزينًا يشتكي وضعًا بئيسا

ضَجَّروا – من قَبْلُ – موسى

كلُّهُمْ في الغدرِ إبليسٌ لعينُ

طفلُهم ينهدُ في الغدرِ العجوزَ الدردبيسا

صادروا كلَّ دروسِ العلمِ في ظِلّي

فَمَنْ يُحيي الدّروسا؟

سرقوا قرآنَ فجري

ومَحَوْا أَوّلَ صفّي

مزّقَتْ آلاتُهُمْ بالحَفرِ جَوفي

وأشاعوا أنَ موتي حَتْفُ أنفي

هذه الأنفاقُ تحتي تَزرع

أإذا أضحيتُ كالأطلالِ مهجورًا دَرِيسَا

وإذا بُدّلتُ بالتكبيرِ بوقًا وطُقوسا

أإذا أصبحَ محرابي وساحاتي كنيسا؟!

– 23 –

فاستفيقوا

لستُ أدعوكُمْ إلى خُطّةِ يأسي

أوْ لترثوني دموعًا

أو لتأسُوا لي جراحاتي وبُؤسي

إنّني أصرُخُ والهيكلُ يُبنَى فوقَ رأسي

أيُرجَّى النصرُ من أمثالِكُمْ

أم تُرى أنعَى لكم نفسي بنفسي

– 24 –

ثم قالَ المسجدُ الأقصى بحزمٍ واقتِضاب:

مَن – تُرى – المسؤولُ فيكُمْ

ومتى يُرسِلُ الردَّ على هذا الخِطابْ؟

قلتُ والآلامُ تَشوي أَضلُعيْ

وخيالي شارِدٌ ليسَ معي

أعبُرُ الماضيَ مطعونًا بِذُلِّ الواقِعِ

ثم أَلوي سابحًا في أَدْمُعي:

أيّها الأقصى، ومن ذا يدّعي

أنّه المسؤولُ عمّا يَجْتَرِمْ

إنّ مَنْ يجبُنُ عنْ "لا" رَهْبَةً

فَهْوَ لا يقوَى على قولِ "نعَمْ "

كلُّنا أصبَحَ في الجُبنِ كَمَن

ما لهُ عينانِ في الرأسِ وَفَمْ

ليس فينا قائِدٌ تَحمِلُهُ

باتّجاهِ الحربِ ساقٌ أوْ قدمْ

ساحةُ الحربِ التي تعرفُها

أُوصِدَتْ أبوابُها من زَمَنٍ

أصبحَ الإقدامُ من أولى التُّهَمْ

أيّها الأقصى لك اللهُ فَكَمْ

تطلُبُ النّجدةَ مكلومًا وكمْ

ما تُنادي من بقايا جُثَثٍ

جُلُّ من تدعو مِن النّاسِ رِمَمْ

جُلُّهم أَسرى فروجٍ وبُطونٍ ولُقَمْ

جُلُّ مَنْ ناديتَ لم يطرُقْهُ هَم

غيرُ همِّ الذاتِ لا شيءَ أهَم

عايَشَ الخوفَ من الخوفِ فَلَم

يستَسِغْ للمَجْدِ والعِزّةِ طَعْمْ

جُلُّنا أصبحَ من ذِلّتِهِ

رقمًا يَنْضَمُّ في الطّرحِ إلى جّنْبِ رَقَمْ

جُلُّنا – يأيها الأقصى – قَزَمْ

قبلَ أن يعرِفَ ما الحربُ وما السِّلْمُ

انهزمْ

– 25 –

أيها الأقصى، وقد جَلَّ المُصابْ

صوتُكَ الصّارخُ أنّى يُستجابْ؟

فجيوشُ القومِ ذابَتْ في أياديها الحِرابْ

وشبابُ القومِ تلهو

فَقَدَتْ روحَ الشّبابْ

فتلفَّتْ في جهاتِ الأرضِ وانظُرْ

هل ترى إلاّ سرابًا في سرابْ؟

هل ترى إلاّ ضَحَايا لافتِراسٍ، وذئابْ؟

فاعتبِرْنا أمّةً ضائِعةً

والْتَمِسْ في أمّةٍ أخرى الجَوابْ

–26 –

وأخيرًا كتبَ الأقصى يقولْ:

أفهِموني، كيف أَهوى قاتِلي؟

كيف أُهديهِ دمي مع قُبَلي؟

وأُحيّي سارقي بل أدّعي، أنّ ما يسرِقُ مني ليسَ لي!؟

لغةٌ للذل لا أفهمُها، فاطلُبوها في حُماةِ الهيكَلِ

آهِ ما آلَمَ جُرْحَ الكِبرياءْ؟

آهِ ما أَوْجَعَ – في الأحشاءِ – مكتومَ البُكاء!

حينَما نُطْعَنُ في عِزّتِنا

حينَما نبكي كما تبكي النّساءْ

نحن لا نَمْلِكُ من نَخوتِنا غيرَ صَرْخاتٍ وَشَجْبٍ ونِداءْ

يا أخي المسلمُ، هذا المسجدُ الأقصى الجريحْ

في سكونِ الليلِ – لو تسمعُ – كالطّفلِ يصيحْ

جُرْحُهُ الغائِرُ لا تُشبِهُهُ كلُّ الجروحُ

إنّهُ جُرحٌ أليمٌ داخِلَ القلبِ يَقيحْ

إنّهُ جُرْحُ بقايا أمّةٍ

كانَ فيها عِزّةٌ تسمو ورُوحْ

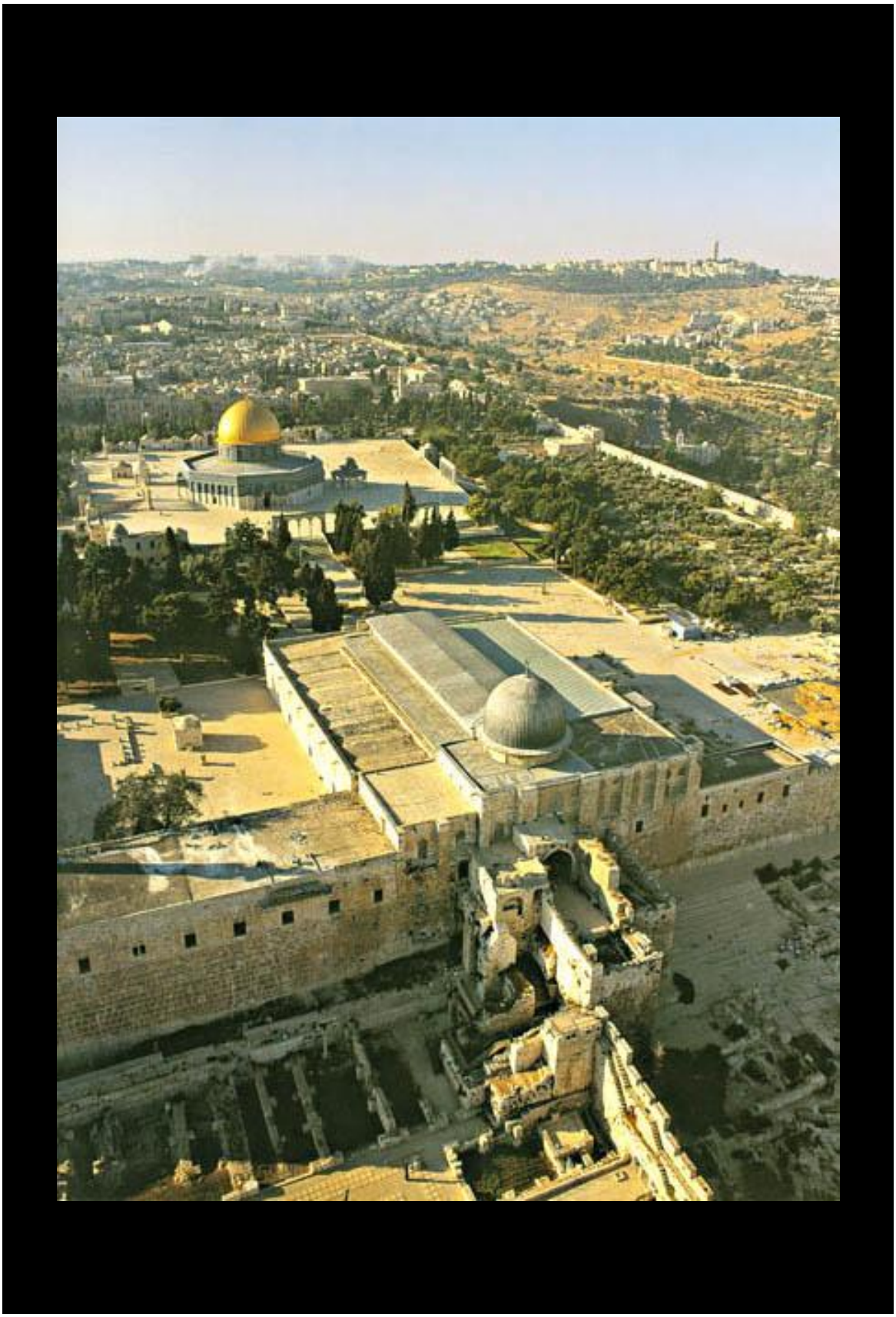

يا سيدي المسجد الحرام تقبل عتبي

فادي الخلف

عتاب من عروق قلبي وسويدائه إلى عروق الرخام الأبيض الطاهر وسواد ستار الكعبة الشريفة، في جنبات بيت الله الحرام

يا بيتَ الله اشتقتُ وكم	للهفة شوقٌ لا يرحمْ
اشتقت إليك فطهّرني	واغسل أدراني من زمزمْ
وأحبك يشهد باريها	روحٌ من حبك لا تسأمْ
قد جئتُ لأعرفَ عن كثبٍ	أخطيبكَ ميْتٌ أم أبكمْ؟
يا بيت الله اقبل عتبي	قد ضاقَ القلبُ بما يكتمْ
وسئمتُ أدبّج أعذارًا	لسكوتك. والقول تلعثمْ
فحضورك صوتٌ مخنوقٌ	وغيابك سرّ لا يُفهمْ
ويقومُ الكونُ ويقعدُ لا	تعنيكَ جراحٌ تتكلمْ
وتُبادُ شعوبٌ مسلمةٌ	والكعبة "آخر من يعلمْ"
فتذكّرنا بأبابيلٍ	وتغضّ الطرفَ عن الأشرمْ
لم أسمعْ منكَ سوى سجعٍ	يحتاج إلى ألف مترجمْ
خطبٌ وطباقٌ وجناسٌ	تتوخّى السلْم، بل الأسلمْ
حاشا طهرُ سوادِكَ يا منْ	لك عشقٌ أبدًا لا يهرمْ
لكن انطقني عتْبُ فتىً	في حبك مجنونٌ مغرمْ

حبي وتقديري لمقام المسجد الحرام وأئمته

لك الله مساجد الله

الشاعر هلال الفارع

ويرثي الشاعر الفلسطيني هلال محمد الفارع حال الأمة، وعقمها الجهادي والحضاري والقيمي، وانهزامها، وضعف فاعليتها، كما يرثى عقم المنابر التي لا تثير حمية، ولا ترفع همت بعد أن كانت تحرك الأحجار، فيقول:

مَسَاجِدَ اللهِ.. نوحي في بَوادينَا	واسْتَمْطِري مِنْ هَوانٍ صَدْحَ آمينا
وَأَذِّنِي في مَواتٍ ليسَ يوقِظُهُ	صَوتُ الأَذانِ ولا صَمْتُ المُصَلِّينا
والصَّمتُ مَوتٌ لذي مَجْدٍ وذي شَرَفٍ	وَحُرمَةٌ.. مَنْ أَتاها لا يُوالينا
تَهْفو إليكِ قُلُوبٌ رَجَّها وَلَهٌ	لِلَحظَةٍ مِنْ عَزيزِ البَأْسِ يَأْتينا
لا خالِدٌ، لا صلاحٌ، لا أخو شَرَفٍ	يَهُزُّ شامِخَةَ الراياتِ يشفينا
كَأَنَّما عَقُمَتْ فَوقَ الثَّرى جُثَثٌ	مَبْتورَةُ النَّبْضِ، لا دُنيا ولا دينا
صَبَتْ إليكِ كِلابُ الغاصبينَ فما	يَرُدُّها عنكِ سَيفٌ قائِمٌ فينا
ولا يَهُبُّ لِبَيتِ اللهِ مُمْتَشِقٌ	رُجُولَةً، خَبَرَتْ فيها الميادينا
يا وَيلَتاهُ لِعِرْضٍ باتَ مُفْتَرَشًا	نُؤْوي إليهِ نَجاساتٍ بِأَيدينا
وَيُسْتَباحُ، ونحنُ الواقفونَ على	أَنَّاتِهِ.. وَبِأَيدينا مواضِينا
بِئسَتْ صَنائِعُنا، واللهِ لو نَطَقَتْ	لَكَشَّفَتْ عُرْيَنا.. نحنُ الميامينا
إنْ نَمْشِ نَعْثَرْ وإنْ نَصْمُتْ نَقُل سَفَهًا	والحُمْقُ أَفْخَرُ مَعنًى في مَعانينا
ثاراتُنا؟ أَيُّ أُسْدٍ في سَواعِدِنا	على ذَوي رَحِمٍ، أو في نوادينا؟!
وبَأْسُنا بينَنا هَولٌ وَنائِبَةٌ	تَدورُ مِنَّا علينا، ليسَ تُخْطينا
فانْ أَناخَ العِدا فينا مَهابَتَهُم	ذابَتْ فَرائِصُنا، واعتَلَّ حَامِينا
حمائِمُ الأُفْقِ في ضَعْفٍ، وفي تَرَفٍ	والأُفْقُ تزْحَمُهُ الدُّنيا شَواهينا

تَوَحَّدَ الشَّرُّ والأشْرارُ وانْطَفَأَتْ	فينا الحَمِيَّةُ، فاسْوَدَّتْ لياليا
نَشُقُّ عنّا جيوبَ المجْدِ في هَوَسٍ	حينًا، ونَرْفُلُ في ثَوبِ الخَنا حينا
نغفو على عِلَّةٍ في الروحِ قاتِلَةٍ	ولا نُفيقُ عَلى عِزٍّ يُواسينا
أهذهِ أُمَّةٌ كانتْ مآثِرُها	تَضوعُ في الأرضِ رَيحانًا وَنِسرينا؟
أهذه أُمَّةٌ طارتْ عَزائِمُها	خيلًا، تُرَتِّبُ للزَّهْوِ العَناوينا؟
وَتُمْطِرُ الأُفْقَ وَشْيًا مِنْ سنابِكِها	وَتُبْطِرُ الشَّوقَ مِنْ أبْهى أمانينا؟
ما لي أراها مَسِيخًا سَفَّ واضطَرَبَتْ	أركانُها.. فهَوَتْ خِزْيًا يُغَشِّينا
شاهَتْ بَصيرَتُها، تاهَتْ قَصِيرَتُها	عاهَتْ نَصيرَتُها ذُلًا وتَخوينا
تَكادُ تُطْلِقُنا صُبْحًا يُجَلِّلُهُ	عارٌ، وَتُغْرِقُنا هَمًّا يُمَسِّينا
مساجِدَ اللهِ.. لا عُذْرٌ لنا فلقد	أدْمَتْ مَنابِرُكِ الثَّكلى مآقينا
وَحَرَّكَتْ هِمَمَ الأحْجارِ مِنْ زَمَنٍ	وَلَمْ تُحَرِّكْ لدينا بَعْضَ ماضينا
يا ربِّ.. لُطْفَكَ، لا تَفْجعْ حَرائِرَنا	يومًا بِعِرْضٍ، ولا تُخْفِضْ نَواصينا
ولا تَكِلنا – اذا ما شِئْتَ نَكْبَتَنا –	إلى عَدُوٍّ، وَجَنِّبْنا السَّلاطينا
سَليطَةٌ بَعضُ كِلماتي، ويائِسَةٌ	القَهرُ يقلِبُ في الشِّعرِ المَوازينا

انتهاك المسجد العمري في درعا

أبو عبد الله الجبوري

الجامع العمَري في درعا هو أحد الجوامع الأثرية وسط مدينة درعا " القديمة، وارتبط اسمه باسم سيدنا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي أمر ببنائه عند زيارته لحوران، ويعتبر رمزًا من رموز الثورة السورية حيث ارتبطت به أحداثها منذ الانطلاقة الحقيقة لها في 18 مارس 2011 م وفي 13 إبريل 2013 تعرض المسجد لاعتداء من جيش النظام السوري المجرم؛ ما أدى إلى هدم مئذنته، وتدميره جزء واسع منه، يقول الجبوري:

أسرج جِيادَكَ فالأَبرارُ قد قُتِلوا... ومَسْجِدٌ بِدماهُم باتَ يَغْتَسِلُ
هناك بالشّامِ إذْ عاثَتْ ثَعالِبُها... في هَدْأَةِ الفجرِ والأقوامُ تَبْتَهِلُ
يَدْعونَ ربًّا لهم عَونًا وعافِيَةً... وما لَهُم سَبَبٌ بالخَلقِ يَتَّصِلُ
جاءَتْ كِلابُ العِدا غَدْرًا لِتَقْتُلَهم... وقَلبُهُم في هَوى الرّحمنِ مُنْشَغِلُ
تَبًّا لها جَمَعَتْ دينَ المَجُوسِ إلى... دِينٍ لِعَفْلَقَ حيثُ الشَّرُّ يَكْتَمِلُ
ما أشْبَهَ اليومَ بالأَمْسِ القريبِ إذا... سراةُ قَومٍ غَدَتْ بالظُّلمِ تَنْجَدِلُ
ما خَيَّب الابنُ ظَنَّ الوالدَينِ بِهِ... ففي حَماةَ بَدَا جُرْمٌ لهم جَلَلُ
كَمْ قَتَّلوا من شَبابٍ عاطِرٍ نَظِرٍ... كَمْ يَتَّموا من صِغارٍ ليس تَحْتَمِلُ
كم هَدَّموا مِن بُيوتٍ فَوقَ ساكِنِها... وقاعُها بِدَمِ النِّسوانِ مُنْخَضِلُ
وَسِجْنُ تَدْمُرَ إذْ هَدُّوا حِجارَتَه... فَوقَ الأَسارى فَلا يُدرى لَهُمْ طَلَلُ

وَها هُوَ اليومَ في دَرْعا وَمَسجِدِها... يُجَدِدُ النَّذْلُ جُرْحًا ليسَ يَنْدَمِلُ
أسرج جِيادَكَ وارْفَعْ فَوقَ صَهْوَتِها... بَيارقَ الحَقِّ والتَّوحيدِ يا رَجُلُ
واهْتِفْ بِصَوتِ الهُدى في كُلِّ رابِيةٍ... يُجيبُكَ الغَورُ في حَورانَ والجَبَلُ
ماعادَ يُجدي سُكوتًا عن جَرائِمِهِم... فَشَرُّهُم دُونَهُ الجَّوزاءُ بّل زُحَلُ
يا مسْجِدًا عُمَرِيًّا كان يَجْمَعُهُم... تِهْ عاليًا بِخِضابٍ مِنْه تَكْتَحِلُ
ما أَعْظمَ اليومَ بُنْيانًا يُخَضِّبُهُ... دَمُ الشِّهادةِ في دَرْعا فَيَحْتَمِلُ
دَمُ الشَّهادةِ عُنوانٌ لِعِزَّتِنا... إذا رأته العِدا يَوما سَتَنْخَذِلُ
يا أَهْلَنا في بلادِ الشَّامِ لاتَهِنُوا... فَنَصْرُكُم قد أَتى والكُلُّ يَحْتَفِلُ
تبارَكَ اللهُ إذْ أَسرى بِسَيِّدِنا... على البُراقِ لأَرْضِ الشَّامِ يَنْتَقِلُ
عُودي الينا فَقَدْ طالَتْ مُصيبَتُنا... وأَدْمُعُ العَينِ سَحَّاءٌ وَتَنْهَمِلُ

الأقصى يناديكم

الشاعر الدكتور عبدالرحمن العشماوي

قُطع الطريقُ عليّ يا أحبابي **** ووقفتُ بين مكابر ومحابِ

ذكرى احتراقي ما تزالُ حكاية **** تُروى لكم مبتورة الأسبابِ

في كل عامٍ تقرؤون فصولَها **** لكنكم لا تمنعون جَنابي

أوَ ما سمعتم ما تقول مآذني **** عنها، وما يُدلي به محرابي؟

أوَ ما قرأتم في ملامح صخرتي **** ما سطّرته معاولُ الإرهابِ؟

أوَ ما رأيتم خنجرَ البغي الذي **** غرسته كفُّ الغدر بين قِبَابي؟

أخَواي في البلد الحرامِ وطيبةٍ **** يترقبانِ على الطريقِ إيابي

يتساءلان متى الرجوع إليهما؟ **** يا ليتني أسطيعُ ردّ جوابِ

وَأنا هُنا في قبضة وحشيّة **** يقف اليهوديُّ العنيدُ ببابي

في كفّه الرشاش يُلقي نظرة **** نارية مسمومةَ الأهدابِ

يرمي به صَدرَ المصلّي كلُما **** وافى إليّ مطهّرَ الأثوابِ

وإذا رأى في ساحتي متوجّهًا **** للهِ.. أغلقَ دونَه أبوابي

يا ليتني أستطيعُ أن ألقاهما **** وأرى رحابَهما تضمُّ رحابي

أَوَلستُ ثالثَ مسجدينِ إليهما **** شدّتْ رِحالُ المسلم الأوّابِ؟

أوَ لم أكن مهدَ النبوّاتِ التي **** فتحت نوافذَ حكمةٍ وصوابِ؟

أوَ لم أكن معراجَ خير مبلّغٍ **** عن ربّه للناس خيرَ كتابِ؟

أنا مسجد الإسراء أفخرُ أنني **** شاهدتُه في جيئة وذَهابِ

يا ويحكم يا مسلمون، كانّما **** عَقِمَتْ كرامتكم عن الإنجابِ

وكأنَّ مأساتي تزيدُ خضوعكم **** ونكوص همّتكم على الأعقابِ

وكأنّ ظُلمَ المعتدين يسرُّكم **** وكأنّكم تستحسنون عذابي

غيّبتموني في سراديب الأسى **** يا ويلَ قلبي من أشدّ غيابِ

عهدي بشدْو بلابلي يسري إلى **** قلبي، فكيف غدا نعيقَ غُرابِ؟!

وهلال مئذنتي يعانق ما علا **** من أنجمٍ وكواكبٍ وسحابِ

أفتأذنون لغاصبٍ متطاولٍ **** أنْ يدفن العلياء تحت ترابي؟!

يا مسلمون، إلى متى يبقى لكم **** رَجعُ الصدى، وحُثالةُ الأكوابِ؟؟

يا مسلمون أما لديكم هِمّة **** تجتاز بالإيمان كلّ حجابِ؟؟

أنا ثالث البيتين هل أدركتمُ **** أبعادَ سرّ تواصُل الأقطابِ؟!

إني رأيتُ عيونَ من ضحكوا لكم **** وأنا الخبيرُ بها، عيونَ ذئابِ

هم صافحوكم والدماءُ خضابُهم **** واحرّ قلبي من أعزّ خَضَابِ

هذي دماءُ مناضلٍ ومنافحٍ **** عن عرضه.. ومقاوم وثّابِ

ودماءُ شيخٍ كان يحملُ مصحفًا **** يتلو خواتَم سورة الأحزابِ

ودماءُ طفلٍ كان يسألُ أمّهُ **** عن سرّ قتل أبيه عندَ البابِ

إني لأخشى أن تروا في كفّ مَن **** صافحتموه، سنابلَ الإغضابِ
هم قدّموا حطبًا لموقد ناركم **** وتظاهروا بعداوة الحطّابِ
عجَبًا أيرعى للسلام عهوده **** مَنْ كان معتادًا على الإرهابِ!؟
من مسجد الإسراء أدعوكم إلى **** سفْرِ الزمان ودفتر الأحقابِ
فلعلّكم تجدون في صفحاتهِ **** ما قلتُهُ.. وتُثمّنون خطابي

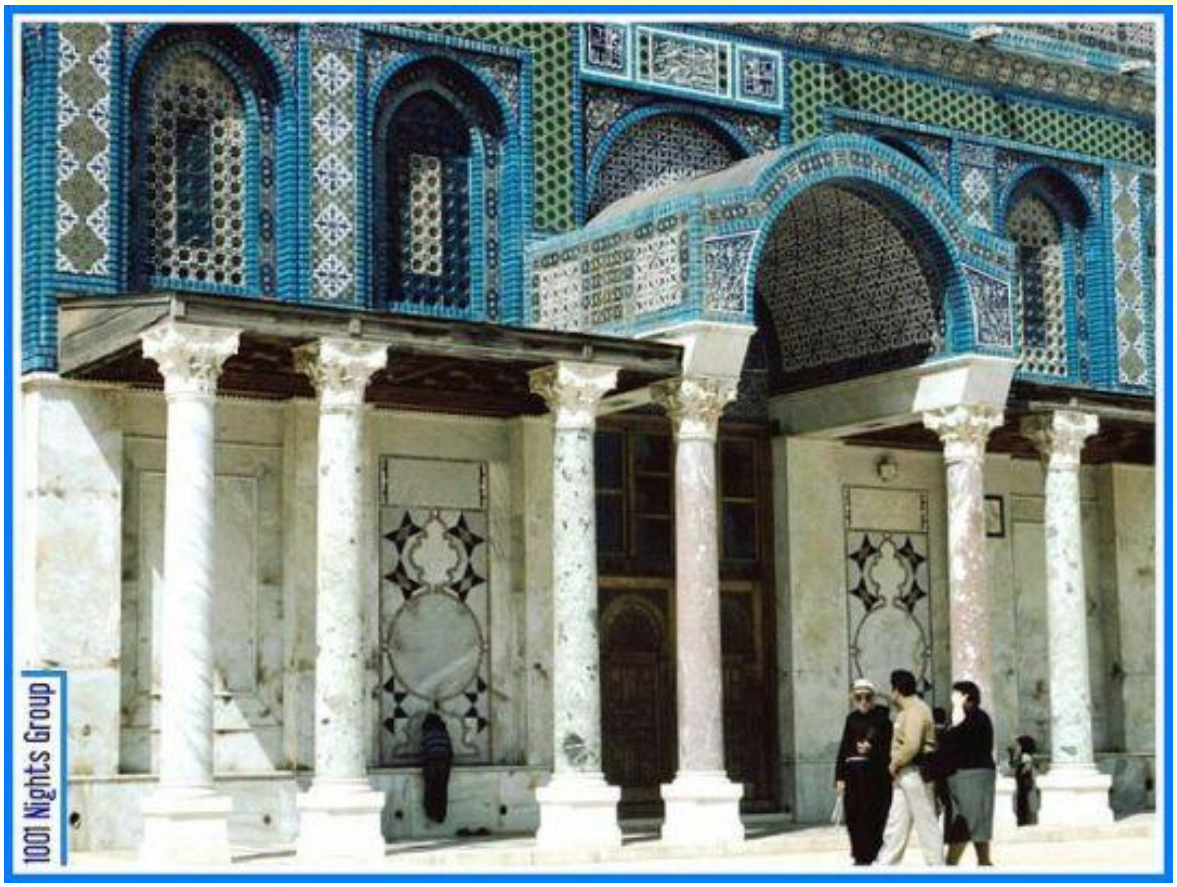

المسجد الأقصى

الشاعر الدكتور عدنان النحوي

المسجدُ الأقصى رفيفُ حَنِينِه رَيَّا نَسِيمٍ بالأَرِيج مُحَمَّل

المسْجِدُ الأقْصَى على رَبواتِه ورحَابِه قَصص الهُدى المتنَزِّلِ

نورٌ مع التاريخ مُؤْتَلِقُ به يَغْنى بلألأة الهُداةِ وينجلي

مَهْوى قُلوبِ المؤمنين وقِبْلَةٌ أولى على حَقٍّ نَدِيٍّ مُخْضَلِ

وربى ملأْلِئَةُ يَشعّ بها الهُدى من كلِّ رُكْن بالبَهاءِ مُجَلَّلِ

شَعَّتْ بأنوار النبُوَّة وازدَهَتْ بمكبِّرٍ في سَاحها ومهلِّل

ضَمّت ميادين الجِهادِ وفوّحَت بالعطِر مِنْ دمِ صادقٍ مُسْتبْسِلِ

هي ملكُ أُمّةِ أحمدٍ وجنودِه والسائرين على هُداهُ الأمْثَلِ

صفًّا بَنَتْهُ رسالةٌ فعلا بها للهِ ما تبني بذاك وتعتلي

وتلفَّتَ الأقصى وبينَ أنينِه وحنينِهِ شكوى وصرْخةُ أعْزَلِ

وكأنَّ صرخَتَه تغيبُ مع المَدَى يُطْوى الصّدى ويغيبُ كلُّ مؤمَّل

ودمٌ يسيلُ كأنّه عَبقُ الجنا نِ ونفْحَةُ الأمَلِ النديّ الأجْملِ

ودمٌ يسيل! ودمعةٌ تنسَابُ في عُتبى على صمتٍ مُبينٍ مُذهِلِ

ودمٌ يَسِيلُ ولَفْتَةٌ.. فأَشَاحَ عَنْ سَاحٍ تَمُوجُ على هَوَانٍ مُخْجِل

المسجِدُ الأقْصَى! فيا لأَنينِه وحنينِهِ وإسارِه المتذَلَّل

وتلفّتَ الأقْصى! ومكّةُ بالهوى ترْنو وطيبةُ، بالحنينِ الأوَّلِ

لله درُّ منائرٍ طَلَعَ الهُدى منْها وعمَّ الكونَ بالنورِ الجلي

المسجدُ الأقصى! ولهْفَةُ مكّةٍ وحنينُ طيبَةَ! يا منائر أقْبِلي

شُدِّي على العَهْدِ الموثّقِ وانهضي للهِ في زحْفٍ أبَرَّ مُعَجَّل

زحفٍ يَضمُّ المؤمنين! يشقُّ دَرْ بَ النّصر! يجْلو من مناهُ ويجْتَلي

الكون كلُّ الكونِ فوقَ قبابها نورٌ يموجُ وآية الله العَلي

أين المحاريب

الشاعر الدكتور حسن الأمراني

أين المحاريب ازدهت	من ذكر ساجدة وساجد؟
من كل أروع فاضل	وفتى كريم الخلق راشد؟
قالت: محدثتي وقد	لمست أسى قلب يجالد
لا تعذل المنفيَّ إن	العذل يوقد ما نكابد
النَّفي ما كان اختيارًا	يا أخي.. والله شاهد
عربيةٌ لُغتي ولكن	أرضعوني ما تشاهد
هي عجمة عقلت لسا	ني غير أن القلب راشد
الدينُ من خلقي وإن	حسروا قناة لا تزايد
سنغادرُ المنفى وإن	طالت بنا ظلماتُ جاحد
وستنشر الزَّيتونةُ ال	خضراءُ ما طوت المكائد
وتعودُ كل غزالة	لكناسها ويعود شارد
أتظنّ أن الفجرَ مُع	تقل وأن النَّهر راكد؟
اللّيل يعقبه الصباحُ	وليس بطشُهم بخالد

سجود المآذن

رقية القضاة

الله أكبر كبري يا أمتي*** الله أكبر أعلني التكبيرا

الله أكبر والمآذن سجدًا *** خرت بغزة عزة ونفيرا

أهل البطولة أقدموا

بصدورهم صدوا الرصاص

وما رضوا ذل السبات

المسرجون العاديات الصافنات

الراكبون على جناح الريح أسدا

المشرعون رماحهم في وجه أعداء الحياة

وسيوفهم بدم اليهود الماجنين مخضبات

لا لا نزايد فوق أفعال الرجال

الصامدين الداحرين جحافل الكفر الغزاة

المسبلين على الجراح عباءة الصبر الجميل

وإذا تأوه جرحهم ضحكوا له

فتبسم الجرح النبيل

من غنت الأحجار في أيديهم

من زغردت لهم غرانيق النخيل

من حطت الأطيار في عتباتهم

وتنسمت من وحي عزتهم

جنى الحرية العذب العليل

هم أهل غزة علموا الدنيا الإباء!

وعلموا الأحجار كيف تقول آه

وتعج بالتكبير تنطق إن علا صوت الآذان

مع البكور وفي المساء

أولاء هم أهل الشهامة والصمود

أولاء هم دحروا اليهود

وذللوا كل الصعاب

ومرغوا بالوحل هامات الكلاب

وأوجعوا بثباتهم أكباد إخوان القرود

صنعوا ملاحم من بطولات عظيمة

شيبًا وشبانًا وأطفالًا وكل عزيزة شما كريمة

يا أمتي حتام نعشق ذلة النوم القتول

حتام تخرس ألسن منا ويعرونا الذهول

وإلام تبقى شمس مجدك في أفول

قومي فما للحر إلا سيفه

يحمي حماه به يصول به يجول

أولاء هم شهداء غزة

أوقدوا بدمائهم وجراحهم نور الحياة

لكنهم بالرغم من كل التصبر والثبات

يتطلعون إلى القلوب المشفقات

أكوام أتربة غدت تلك البيوت الطيبات

ومآذن التوحيد خرت ساجدات

ساجدات ليس إلا ساجدات

بالذكر والتهليل غر صادحات

هدم المساجد حربهم

حرب مع الله الذي يحمي حماه متى أراد

من أول التاريخ فاقرأ إن أردت

نهاية الأقوام من إرم وعاد

فهم الذين بنوا أشادوا أبدعوا

ما لم يشد كل العباد

لما أراد الله إهلاك العتاة المارقين

(كن) قال رب العرش

فارتدت حضارتهم رماد

أوما قرأتم سورة الفيل التي

جعلت هلاك الأشرم المشؤوم ذكرى للعباد!؟

النصر آتٍ للذين على الهدى ساروا

وفي دمهم لهيب المكرمات

ما غرهم بالله تعداد الطغاة

ما ولوا الأدبار يوم الزحف

ما فقدوا الرجاء بربهم

ما أسمعوا التاريخ إلا زمجرات زمجرات زمجرات

الله أكبر كيف صار الثكل عرسًا

في قلوب الأمهات

الصابرات على البلاء مجاهدات مؤمنات

يا ويح من حرقوا ابتسامات الطفولة

وتجردوا من كل إنسانية الإنسان

من قيم الرجولة

من ضجت الدنيا وضاقت من مهانتهم

وصارت من وجودهم خجولة

أما الذين على النفاق مضوا

وفي أحضانه مردوا

فصار لهم دويلة

وصارت دوحة الزقوم لاجتماعهم خميلة

أهداهم التاريخ مزبلة... بها يحيون

ثم أهال فوق رؤوسهم من دون إشفاق وُحوله

شتان ما بين الثريا والثرى

شتان ما بين القتاد المر والزهر الجميل

شتان ما بين الميوعة والرجولة

شتان ما بين التأرجح فوق حبل البهلوان

وبين من قدميه في أرض الرباط

وسيفه يروي القصائد للغد الآتي

ويسقي نخل أمته دماه... سلسبيله

النصر آت لا نشك به

فقد وعد الإله به

فسبحان الذي في قوله صِدق المقولة

يأيها البطل الذي عشق الشهامة والبطولة

أقدم ولا يغررك إرجاف اليهود

واصبر فإن الصبر هدام السدود

وارفض معاني الذل إرهاق القيود

حتى ولو كانت قيودًا من حرير

فالذل يا أهل العقيدة في القيود

أيًا تكن تلك القيود

والذل أن نحني الجباه

نسير في ركب اليهود

والذل لا نرضاه مهما كان هول الخطب في الهيجا شديد

لنقاتلن بني اليهود

حتى يقول الصخر والأحجار يا مسلم

تعال فثم من خلفي يهود

أقدم وردد يا فتى الإسلام تكبير الشهيد

ما فاز في عليائه إلا الشهيد

ما فاز بالجنات أو روضاتها إلا الشهيد

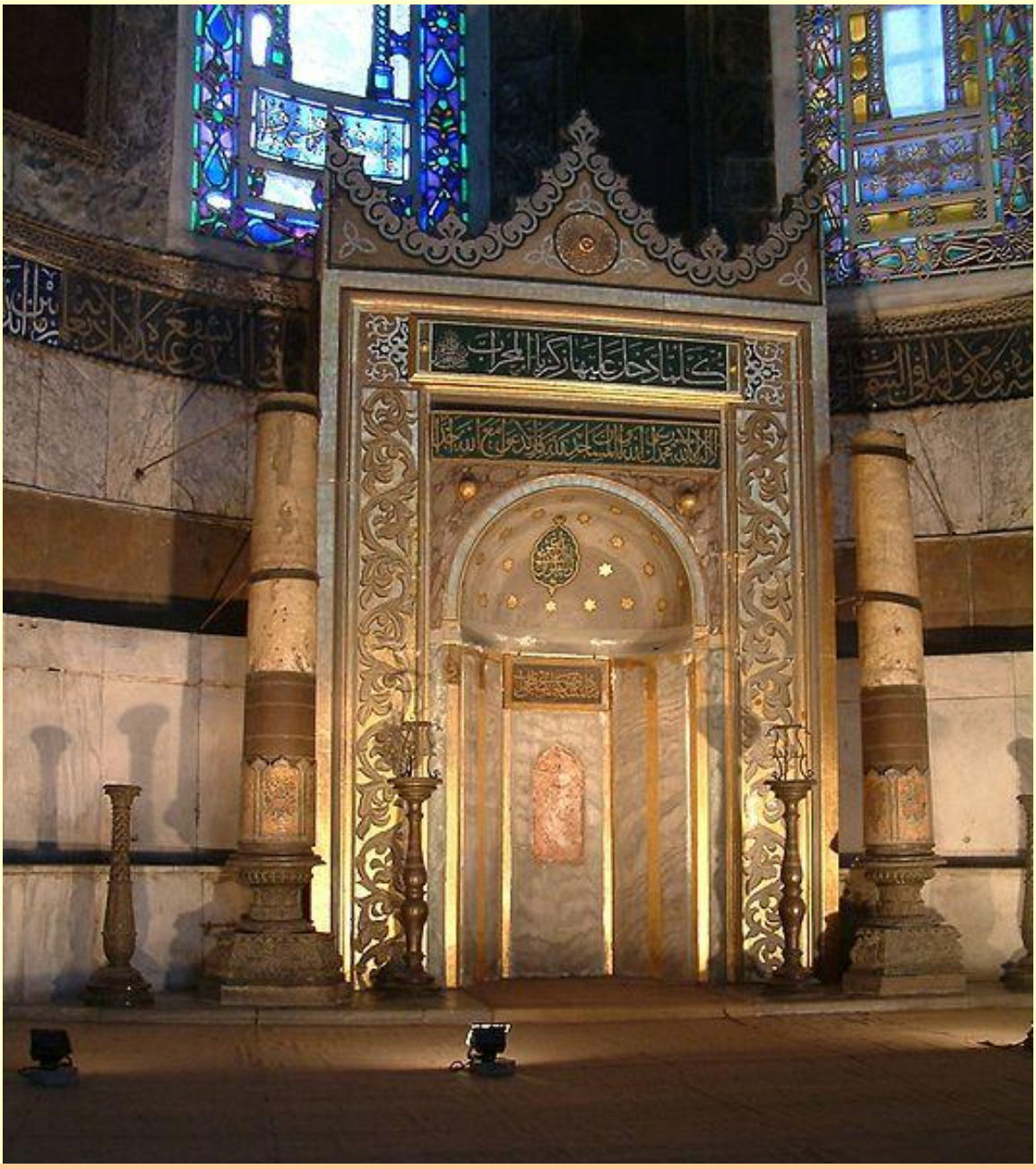

أيا تلكَ المآذنُ خبِّرينا

الشيخ: حامد العلي

أيا تلكَ المآذنُ خبِّرينا	بما فعلَ الطّغاةُ المجرمُونا
وماذا حلَّ في حُرُماتِ دينٍ	يدكُّ البعثُ مسجدَه المصُونا
فيبقى البيتُ بيتُ الله يبكي	ولا غوثٌ له في الصَّامتينا
أيا تلك المآذنُ فاسألينا	أما فيكم سليلُ الماجدينا
أما فيكمْ صلاحُ الدين يأتي	فيحمي حُرمةَ الإسلامِ فينا
ألاَ يا صامتوُن ألاَ أفيقوا	من الذلِّ الذي قطع الوتينا
وثورُوا ثورةَ الآسادِ تبْغي	نهوضًا مثل عزِّ الأوَّلينا
على الطاغينَ متحدِّين قومُوا	ودكُّوا دولةَ المتجبِّرينا
هم الأشرارُ والإسلامُ يدعُو	لجعل الشرِّ مندحرًا مهينا
وقد سادوُا على الأوطانِ زوُرا	وعاثوا في البلاد ليفسدونا
فشبُّوا في مضاربهم لهيبًا	يذيبُ مضاربَ المتكبِّرينا
يذيقُ الخائنينَ جزاءَ بغيٍ	ويخسفهم لأسفلَ سافلينا
ليصبحَ حزبُ بشارٍ ذليلًا	ويلعنُهم جميعُ اللاّعنينا
ويصبحَ شعبُنا حرًّا عزيزًا	كريمًا لا يرى جَنَفًا وهوُنا

صوت المآذن

ماجد الراوي

صوت الآذان في بلاد المسلمين نفحة روحية تميزها عن بلاد الأرض جميعها..
ولها طابعها الأكثر سحرًا في رمضان

إذا ما دعا داعي الهدى في المآذنِ
وجالَ صَداهُ في القُرى والمَدائنِ
أُصَلّي على المختارِ طه وصَحْبِه
نبيِّ الورى المنصورِ صافي المعادنِ
رأيتُ تهاليلَ المنائرِ مُؤْنسي
إذا ما لها غيري بشادٍ وشادِنِ

وهل بُعِثَ الإيمانُ إلاّ بصوتِها = ورَفَّتْ تباشيرُ الهدى في المواطِنِ
إذا شدَّني صوتُ الأذانِ بسحْرِهِ = فما عادَ يُغْريني هزارُ الجنائِنِ
يُغَلغِلُ في صدري شعاعًا من الهدى = أراهُ من الأسقامِ والهمِّ صائِني
فألقى طيوفَ الأتقياءِ مواكبًا = تُطاردُ إبليسَ الذي كان شائني
إذا ما سرى صوتُ المُؤَذِنِ غَطَّني = بنورٍ شفاني من جميع البراثِنِ
وعامَ فؤادي في خِضَمٍّ من التقى = به تهتدي في النائِباتِ سفائني
فكمْ أذكرُ الرحمنَ جَهْرًا فأنتشي = وأذكرهُ حينًا بِسِرّي وباطني
وأجعلُ لَفظَ اللهِ حِرْزًا يصونني = من الشَرِّ في صدري وفوق مساكني
رأيتُ اسمهُ في المئذناتِ وفي السما = وفي الكوكبِ السَّاري وفي كُلِّ كائنِ
فكم باسْمِهِ أردى قويًا مُماذِقًا = وكم باسْمِهِ رَدَّ الحقوقَ لواهِنِ
وكم باسْمِهِ أحيا المواطنَ بالحيا = وجادَ على أهلِ البوادي بمازِنِ
فيا مئذنات في المساجدِ أذِّني = وهيجي بلمْحِ النورِ فَيضَ كوامِني

المآذن

محمود عبد الحميد طاهر

نبهت للصلاة من كان أغفى ** رددت (حي) فاستجاب وخفا

وتداعى العباد من كل صوب ** ليؤدوا الصلاة صفًّا فصفا

غيرها يوقظ العيون.. ولكن ** هي قد أيقظت فؤادًا وطرفا

من جمادٍ وقد أقامت صلاتٍ ** ووداداً مع القلوب وإلفا

كل وقتٍ لها نداء جميل ** بلغ المنتهي جلالًا ووصفا

شهدَت.. كبرت بأسمى بلاغٍ ** ودعت ربها رجاءً وخوفا

يزحف الناس للمساجد زحفًا ** يهرع الطير نحو وردٍ مصفى

حملت مصحفًا بكل جناحٍ ** هل رأيت الطيور تحمل صحفا؟

زيني الجيد إن يجئ رمضان ** بالثريات يصبح النور ضعفا

كل قلبٍ وقد حملت إليه ** نبأ الصوم يملأ الكون عزفا

ويرجّى عطاء يوم كريمٍ ** وإلى الله ينشد القرب زلفى

يختفى النور بعض حينٍ ويبدو ** وشعاع اليقين هيهات يخفى

ودعوة النور منذ نادى (بلال) ** تتعالى.. وتملأ الأرض زحفا

باكثير في إستانبول

لما رأيت منائر إستانبول أول مرة وقع في روعي أنها رماح مشرعة، كأنها إعلان دائم للجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، وغلّب في ذهني فكرة الرماح كونها رشيقة، شديدة الطول، رفيعة الطرف، كأنه زج رمح..

ثم وجدت الشاعر الإسلامي والأديب الكبير علي أحمد باكثير قد انطبع بالانطباع ذاته حين رآها، وزاد عليه أن القباب خوذات المجاهدين، فقال:

كأنّ قبابها خوذاتُ صلبٍ وُضِعْنَ على رؤوسِ مجاهدينا
ومن ينظرْ مآذنَها يجدْها رماحًا في صدور الكافرينا

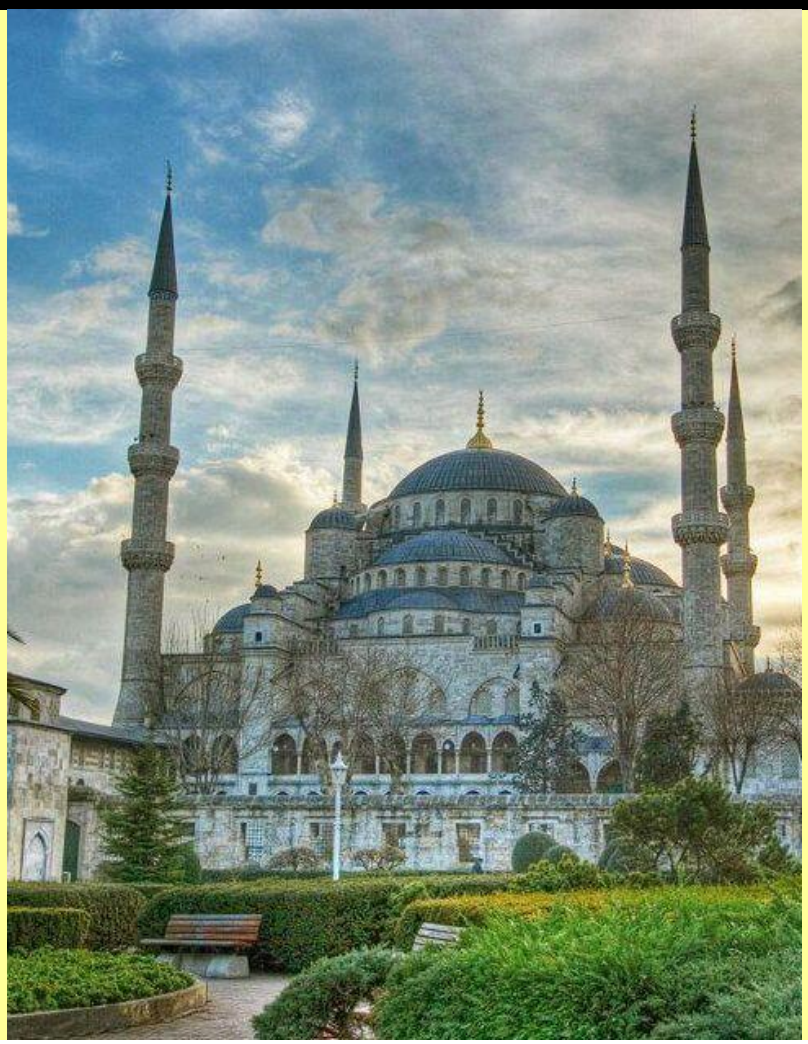

أميريات.. عن المساجد:

مختارات من شعر شاعر الإنسانية المؤمنة: عمر بهاء الدين الأميري

اتئد يا إمام

اتئد يا إمام، لا ترفع الرأس...سريعًا، من السجود لربي
أنا، لما تنسم الروح، عبر...الأفق، عرفًا عن أشرف الخلق ينبي
وتطلعت، خاشعا مستهامًا...بجنان مولهٍ مشرئب
فتراءت لعين قلبي أنوارُ...نبي الهدى.. الرسول المربي
هام قلبي بين السموات والأفلاك...يسعى إليه من كل دربي
ثم لما سجدت في الروضة الغراء...أرمي عن كاهلي عبء ذنبي
خلت قلبي ألقى النياط جذورًا...في جنان الهوى، لغرسةِ حبي
فاتئد يا إمام؛ لا ترفع الرأس...سريعًا.. تكاد تجتث قلبي

سجدة روح

دخلت، وقلبي قد طار مني...ولكنه عاد لما دخلتُ
دخلت الرحاب وأسلمت نفسي...إلى تلف الوجد حتى سلمت
وكان المقام العظيم العظيم...عليه يخيم نور وصمت
فطوّف بي من جلال الرسول...ذهولٌ فهِمتُ وهمتُ وهمتُ
شعرْت كأنّ السمواتِ أرضي...وأني عليها بروحي سجدْتُ

راية الفتح

مزجت عيناي في غمضها...الواله المرسل نحو "الحَضْرةِ"
خضرة الروضة في إشراقها...بجلال في سوار الكعبةِ
وظلال المسجد المخزون في ..."القدس" والقبة فوق الصخرة
والدموع الغر كالدر على...خدي المحراب من "قرطبةِ"
بدم الصِّيد الذين استشهدوا...في رضا الله ومجد الملةِ

فإذا بي، وأنا في سهوتي...هائمًا في سبحات السجدة
تحشد الآمال والآلام لي...عسكر "الفتح" وجند النجدةِ
فأراني صغت أوطاني التي...قطعت وانتثرتْ.. في وَحدةِ
وحدة سامية هادية...أمرها بالحب لا بالسطوة
وإذا الألوان هاتيك التي...مزجتها أعيني في غمضتي
بُدِّدَتْ... ثم تلاقت صفحة...رصعت بالبأس والمرحمة
وتعالت في ذرى إسلامنا...حيث صارت "راية" للأمةِ

في محراب الرسول صلى الله عليه وسلم

تأله قلبي لما سجدتُ...أهيم بمحراب خير الأنامْ
وأرسل من شفتيه الدعاء...وجيبًا وفي السمع سجع الحمامْ
وفي أعيني من سنا الله برق...يُحَسُّ، ولكنه لا يشامْ
له في خلاياي دفعٌ ورفعٌ...إلى شرفات حمىً لا يرامْ
تحف بروحي عوالم وَلهَى...كأني بها كُوِّنتُ من سلامْ
أغيب، كمن نام في نشوةٍ...ونفسي عيون هوىً لا تنامْ
وأشعر أن كياني تمدد...حتى تخطى الدنى والحُطَامْ
أقولُ سموتُ؟! وفوق السمو...أقول ثَمِلتُ؟!وما من مُدامْ
أقول ارتويتُ؟! أجل؛ لا ولا...وكيف ارتويت وكلي أُوَامْ
ألا إنها نُعْمَيَاتُ التجلي...هيان سجود يفوق الهيام
فسبحانك الله ملء الوجودِ وملءَ السجودِ وملءَ القيامْ

صراط الخلود

وقفت قبالة محرابه...وبيني وبين سناه حشودْ
أرامقُ ملمحه في هوىً...وقد حاجزتنا وفود وفودْ
وللنعميات بنفسي صدىً...وللذكريات حنين شَرودْ

فوجهت وجهي وفي أعيني...لوامع من فيض رب الوجودْ
ورحت أصلي صلاة الصفاء...صلاة الوفاء لربٍ ودودْ
***
أنيتُ.. وقد سجد الراكعون...فأسفر محرابه عن شهود
فلما سجدت شعرت بقلبي...تسرب من أضلعي في صعود
وخُيِّلَ لي أنّ عنْقي تطا... ولَ حتى تخطى رقاب السجودْ
وألقى بجبهة رأسي على...ثراه، فعشت المنى والسعودْ
***
هنا سجد "المصطفى" والدموع...تخط أخاديدَ فوق الخدودْ
سجود تجلى بإشراقه...عليه الإله ففاقَ السجودْ
سجود تلبث من روضه...شذًا ملؤه نَفَحات وجود
يدور مع الدهر في كل قلبٍ...نقي وفي كل عَود يعود
وهام الهوى بجناني بعيدًا...بعيدًا وراء الرؤى والحدود
فطالعت والوجد يحدو خيالي...صحائف من سِفر مجد الجدود
وقد كتب الدهر عنوانه...بنور الجهاد: "صلاة الخلود"
فأومض في غور عينيَّ برقُ...الفتوح، وخفق القنا والبنودْ
وآبَ المكان، وغاب الزمانُ...وشمْتُ* بروحي تلك العهودْ

أشواق وإشراق

على جناحين من ذكرى وأشواق ... حلّقت في سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاق، لواعِجُه ... تعدو به ومَضَائي ملء أحداقي
يسري بي الشعر، من دنيا يدور بنا ... دولابها، بين إرهاق وإرهاقِ
إلى عوالم من أمن ومن دعة ... إلى ندى الله، من هدي وإشراق
إلى المدينة نور الله نورها ... أفك روحي بها من أسر أغلاق

أحيا "بروضتها" حب الرسول على ... ذكرى مضت، وهُيام خالد باق
"محمد" الخير، هادي العلمين بما ... أوحى به الله، من شرع وأخلاق
على جناحين من ذكرى وأشواق ... حلقت من سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاق لواعجه ... تعدو به، ومضائي ملء أحداقي
أرنو إلى الغد، والهم الكبير له ... شكوى تؤُجّ بنفسي، ذات إحراق
ما "العيد"، والقدس في الأغلال رازحة ... والمسلمات سبيات لفساق؟!
وأستجير برب البيت في قلقي ... على "المدينة" من فتك وازهاق
وأرسل الدعوة الحرّى، على ثقة ... بالله، في صبر فذ العزم عملاق
فالنصر في قدر الله الحكيم على ... وعد مع الصبر، في إيمان سبّاق
على جناحين من ذكرى وأشواق ... حلقت من سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاق، لواعجه ... تعدو به، ومَضَائي ملء أحداقي
حب النبي رسول الله، ينفحني ... عزمًا، ويجري دمي نورًا بأعراقي
والشعر يعرج بي من الثرى لذرىً ... يزاحم النجم فيها، مد أعناقي
أطهر النفس من أدرانها بسنىً ... من التقى والنّقا والوجد دفاق
أسمو إلى جنة الرضوان، في خلدي ... كأن فردوسها الأعلى بأعماقي
أرقى إلى الله، لكن ساجدًا ولهًا ... وليس كالساجد الولهان من راق

في روضة النّور

تنسّمي يا خلايا القلبِ ملء مدى		عوالِم النور عَرْفَ النور وانتعشي
وأترعي رئة الولهان.. مُصعدةً		بروح جنّاتِ عدن الوَجْدِ واعترشي
وحلِّقي في سماء الوصل هائمة		وعانقي ذِروة الجوزاءِ وافترشي
وضاعفي يا خلايا القلب خفقتهُ		وأرعشي دمه الدفّاق وارتعشي
فهذه روضة النور التي ورَفَت		أفنانُها بالرسول المصطفى القرشي

في حضرة المصطفى

الرّوضـــة الغـــرّاء فـــي ملمســـي ... في نفسي...في أعيُني..في الضُّلوعْ
وقفـــتُ منهـــا هائمًـــا والهًـــا ... وقـــوفَ صـــبٍّ مســـتطارٍ ولـــوع
رانيـــــة... دانيـــــة كـــــالجنى ... ســـنًا جِنانيًـــا يفـــوقُ الســـطوعْ
فاخْتلجَـت فـي حضـرة المصـطفى ... حُشاشـتي، وكـاد روحـي يضـوعْ
وغَشـــيَتْني رهبـــة لعْثمَـــتْ ... نطقـي، وأعْشـى نـاظريَّ الخشـوعْ
فلـــم أحِـــر، حتّـــى ولا دعـــوةً ... حَـرَّى، كـأنّي مـن دعـائي جـزوعْ
تحيَّتـــي وَجْـــدٌ، وبثـــي جَـــوَىً ... ورُبَّ صـــمتٍ ترجمَتـــه دمـــوعْ
قلـتُ: أصـلِّي، فـإذا السـهوُ فـي ... صـحْوي، وأسـترجِعُ؛ مـا مـن رجـوعْ
واخْتلطـــت! فـــوقْفَتِي ســـجْدة! ... وأســـتوي، وقـــد أردتُ الرّكـــوعْ!
وغبْـتُ عـن ذاتـي فلـم أسْـتبِنْ ... أيـنَ أنـا؟ وأيـنَ منِّـي الرُّبـوعْ!
اللهُ... يـــا اللهُ... ردَّدْتهـــا ... وكـــل ذراتـــي أوام وجـــوع
ولاحَ بـــرْقٌ خـــاطِفٌ، يـــا لـــهُ ... قـد أوقـدت فـي الـنفس منـه شـموع
وعُـــدْتُ أسْتشْـــعرُ أنِّـــي هنـــا! ... لكننـــي فـــوق المنـــى والنـــزوع
وجدتُني في حضرة المصطفى ... بصيرتي يقظى، وروحي سجوع

تم هذا الجزء بفضل الله تعالى، ويأتي بعده: مساجد لها خصوصية، نسأله تعالى التوفيق والسداد.. التاسع من رمضان المعظم 1434 الموافق 17/ 7/ 2013

كلما دخل عليها زكريا المحراب

من أعمال المؤلف.. أبجديًّا:	
رقم	اسم الكتاب أو البحث
1.	إسلاميون ثورجية
2.	الأب في الكتاب والسنة (الأسرة)
3.	الإعلام الإسلامي في مواجهة الغزو الإعلامي الغربي(الإعلام)
4.	الإفك والتزوير في الإعلام المعاصر(الإعلام)
5.	الألوهية في العقائد الشعبية (في العقيدة)
6.	الأندلسي (من أدب الرحلات وفكرها)
7.	الإيثار في عالم نذل (أخلاق معرضة للانقراض)
8.	البشائر في الكتاب والسنة
9.	التبيان في آداب حملة القرآن (تحقيق)
10.	التشبه والمتشبهون
11.	النلفزيون: السم اللذيذ (الإعلام)
12.	الرق وما ملكت اليمين (عرض صوري)
13.	العفة وأهل العفاف (أخلاق معرضة للانقراض)
14.	العنف الأسري (الأسرة)
15.	الغيرة في البيت النبوي الشريف (أخلاق معرضة للانقراض)
16.	القرضاوي شاعرًا (ترجمات/ أدب)
17.	الله تعالى في منظور الأديان (عرض صوري)
18.	المساجد وأهلها 1 (دعوة / فقه وأحكام)
19.	المساجد ذات الخصوصية 2 ((دعوة / فقه وأحكام)
20.	المرأة في الإسلام (الأسرة)

21.	المليحة في الخمار الشفتشي (أدب ساخر)
22.	أنا ألبي دليلي (أدب ساخر/ فكر)
23.	أيها المهتدي أحبك في الله (دعوة)
24.	المعارضات المعاصرة لبردة البوصيري (أدب)
25.	تقسيم مصر والعالم العربي: رؤية صادمة (تاريخ/ فكر)
26.	وهل في الإسلام حرية للرأي (فكر)
27.	حريص عليكم (سيرة شريفة)
28.	حقك وفوقه شوطة (أدب ساخر/ فكر)
29.	خطاطات معاصرات (فنون إسلامية)
30.	دعاة ومشاهير عرفتهم (تراجم/ دعوة)
31.	ديوان أحمد ياسين (شعر)
32.	ديوان الذئبة التائبة (شعر)
33.	ديوان زهرة (شعر)
34.	ديوان صلاة قلب (شعر)
35.	ديوان عذرًا يا سيد خلق الله (شعر)
36.	ديوان مراميات (شعر)
37.	رجال أثاروا جدلا (تراجم)
38.	رجل اسمه نرجس (أدب ساخر/ فكر)
39.	رمضان في تاريخ المستعين بالله البسيوني (تاريخ)
40.	زفتى التي في خاطري 1/ التبرعم (سيرة ذاتية)
41.	زفتى التي في خاطري 2 /الإيراق (سيرة ذاتية)
42.	ستر الله تعالى على عباده (أخلاق معرضة للانقراض)
43.	شيوخ ظرفاء (تراجم/ أدب ساخر)

44.	صفحات سود من تاريخ التعذيب (تاريخ/ مصور)
45.	طرائف وظرائف (أدب ومختارات)
46.	فقه الأذان (فقه وأحكام)
47.	فن قلة الأدب: الحرب على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
48.	في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى (عقيدة)
49.	في فقه الواقع (دعوة)
50.	قال الراوي (تاريخ/ فقه الواقع)
51.	قراءة في السلفية المعاصرة (دعوة)
52.	قصيدة: اسكن فؤادي أو فجن (شعر)
53.	قصيدة: ياليل الصب ومعارضاتها (أدب)
54.	كتاب المحجوبين عن رؤية رب العالمين (عقيدة)
55.	كلام في الثورة (فكر/ تاريخ)
56.	لا إله إلا الله في عيون الخطاطين (فن إسلامي)
57.	لطوف: يسقط حكم العسكر (فنون/ تاريخ)
58.	لله يا زمري (دعوة)
59.	ماذا يريدون من المرأة (الأسرة والمرأة)
60.	محمد صلى الله عليه وسلم في أعمال اثنين من المستشرقين (سيرة وتاريخ)
61.	محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الخطاطين 1/ صفاته (فن إسلامي)
62.	محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الخطاطين 2/ (فن إسلامي)
63.	مسرحية الحراني (مسرح شعري)
64.	مسرحية الحرباء (مسرح شعري)
65.	ملائح المدائح (شعر/ أدب)
66.	من بدع القراء في المساجد (دعوة/ فقه وأحكام)

67.	من صور الحرب على الإسلام (تاريخ/ فقه الواقع)
68.	نسوات عديمات الأنوثة (المرأة والأسرة/ أدب ساخر)
69.	نظرات في سورة القدر (تفسير/ فقه واقع)
70.	نونية القرضاوي (أدب)
71.	وقال نسوة (المرأة والأسرة/ أدب ساخر)
72.	وكتب أخرى كثيرة

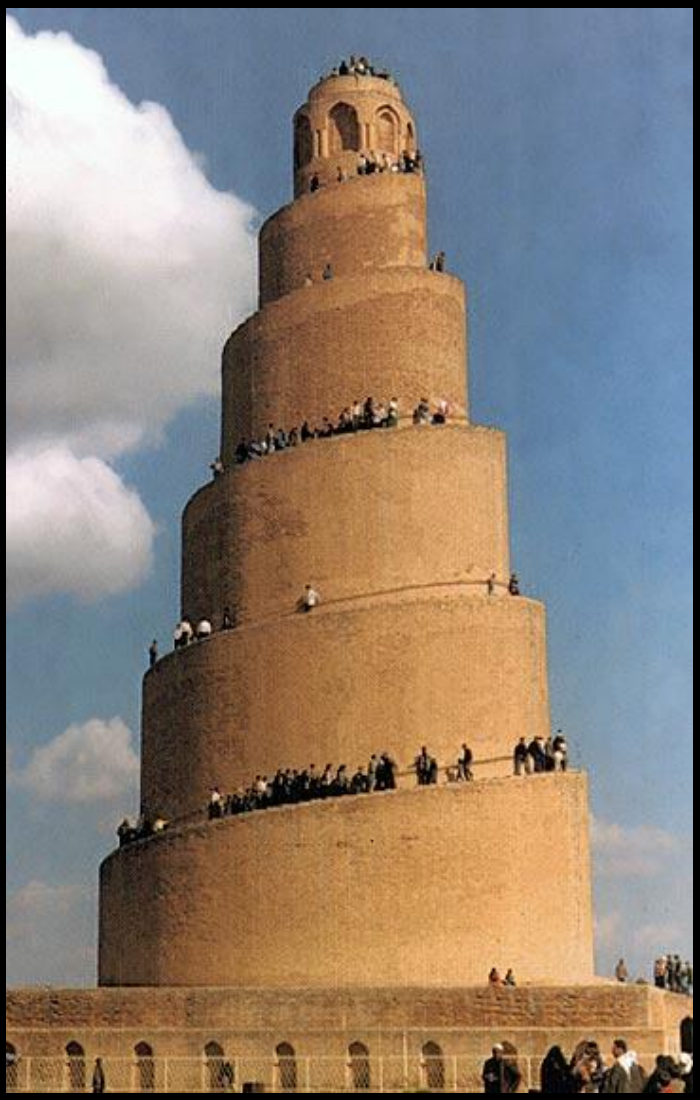

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة ضرورية	4
إطلالة لغوية	8
توقيعات	11
كيف وردت لفظة المسجد في القرآن الكريم	13
فضل المساجد	30
دور المسجد	40
المساجد والواقع الكنود	41
الدور الإيماني للمسجد	43
الدور الاجتماعي للمسجد	47
الدور التعليمي للمسجد	54
الدور التربوي للمسجد	58
الأطفال في المسجد	62
الدور السياسي للمسجد	63
الدور الحضاري والترفيهي للمسجد	69
المحاريب: هل هي بدعة؟	71
المحاريب في المساجد:	72
المحراب في اللغة	72
المحراب في التاريخ	75
المحراب في فتاوى العلماء	76
المساجد في البيوت	81

أهل المساجد	90
النساء والمساجد	112
بدعة كفى الله الأمة شرها	127
هل الذكورة شرط في خطيب الجمعة وإمام الصلاة؟	127
من أخطاء النساء في المساجد	132
أخطاء الناس في المساجد	134
أخطاء متعلقة بالبناء	135
أخطاء متعلقة بالبناء بالعقيدة والعبادة	140
أخطاء متعلقة بالبناء بالسلوك والمعاملات	149
من لطائف المساجد وروادها	153
حمامة المسجد	154
مات من آية	155
الشيخ محمد المدمس: القارئ الذي لا يتوقف	155
نعم الميتة	156
الموت أثناء الصلاة	157
البكاء في المسجد	165
المسجد في المنام	166
الجامع في المنام	167
سر عاشق المساجد المهجورة	169
العجوز والملك وبيت الله تعالى	173
موازنة بين المسجد والسوق	175
القصاص والمساجد	178
من أكاذيبهم على الله تعالى	187

من أكاذيبهم على جبريل عليه السلام	188
من أكاذيبهم على إبليس عليه لعائن الله تعالى	188
من أكاذيبهم على سيدنا موسى عليه السلام	189
من أكاذيبهم على سيدنا عيسى عليه السلام	190
من أكاذيبهم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم	190
من أكاذيبهم على الصحابة رضوان الله عليهم	191
من أكاذيبهم على الأئمة رحمهم الله تعالى	192
يخترعون مخالفات للشريعة	192
المسجد في الشعر العربي	194
قم في فم الدنيا وحي الأزهرا لشوقي	196
وهاشم الرفاعي ينعاه	199
السهو عن الذات في محاريب الصلاة لحكمت صالح	202
يا قدس ليوسف العظم	206
المسجد الحريق لبرهان الدين العبوشي	210
رسالة الأقصى للمسلمين للدكتور عدنان النحوي	212
من حراس الأقصى للدكتور عبد الغني التميمي	215
رسالة من المسجد الأقصى للدكتور عبد الغني التميمي	225
ياسيدي المسجد الأقصى تقبل عتبي لفادي الخلف	247
لك الله يا مساجد الله لهلال الفارع	248
انتهاك المسجد العمري في درعا لأبي عبد الله الجبوري	250
الأقصى يناديكم للدكتور العشماوي	252
المسجد الأقصى للدكتور عدنان النحوي	255
أين المحاريب للدكتور حسن الأمراني	257

أيا تلك المآذن خبرين للشيخ حامد العلي	264
صوت المآذن لماجد الراوي	265
المآذن لمحمود طاهر	266
باكثير في إستانبول	267
أميريات عن المساجد	268
من أعمال المؤلف	274